الجزء الثالث المجلد التاسع والسبعون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

((مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا))

جمادى الأولى ١٤٢٥هـ
تموز ٢٠٠٤م

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م

١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونَها بها ويقصرونَها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الثالث المجلد التاسع والسبعون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

((مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا))

جمادى الأولى ١٤٢٥هـ
تموز ٢٠٠٤م

لجنة المجلة

الـــــدكتور شـــــاكر الفحـــــام
الــدكتور محمــد إحــسان الــنص
الدكتور محمد عبد الرزاق قـدورة
الــدكتور محمــد زهــير البابــا
الأســـــتاذ جـــــورج صـــــدّقني
الـــــدكتورة ليلـــــى الـــــصباغ
الـــــدكتور محمـــــود الـــــسيد

أمين المجلة

الـــــسيد ســـــامر اليامـــــاني

تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي

الدكتور عبدالله واثق شهيد

نشأ تعريب التعليم في بلاد الشام مع حركة النهضة القومية والإحياء اللغوي في القرن التاسع عشر. ويمكن العودة ببدايات النهضة إلى عهد الأمير بشير الشهابي[1] (١٧٨٩-١٨٤٠) الذي جعل قصره منتدى ازدحم فيه الكتاب والشعراء، ونشأ فيه رواد النهضة الأوائل كناصيف اليازجي ونقولا الترك وبطرس كرامة...

وكثر الرواد في مطلع القرن التاسع عشر، وتعددت مشارب الإحياء اللغوي، إلا أنها يمكن أن تصنف في مدرستين رئيسيتين، مدرسة شبّت في الجامعين الأمويين في دمشق وحلب،وعمل روادها بالتدريس فيهما، على إحياء القديم في خط تقليدي، وأخرى أصاب روادها نصيبًا من الثقافة الغربية، فأدخلت أفكارًا جديدة إلى بلاد الشام في وقت مبكر، وكان الشدياق رأس هذه المدرسة التي يمكن أن نطلق عليها بحق اسم مدرسة الآباء

(١) حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام: نشأة ظبيان — دار التقدم، دمشق ١٩٧٦، الصفحتان ٢٦٩-٢٧٠.

اليسوعيين[١]. كما يعيد أعلام تعريب العلوم في الشام جذور نهضة تعريب تعليم العلوم إلى أوائل القرن التاسع عشر[٢] أيضًا.

ومن العوامل التي هيأت لهذه النهضة دفعًا قويًا صدور الدستور العثماني في عام ١٨٧٠، وفيه دعوة واضحة إلى التتريك وطمس عروبة الولايات العربية، وتلاه دستور عام ١٩٠٨ تأكيدًا له ودعما. وقامت جمعية الاتحاد والترقي بالإشراف على تطبيقهما بحزم، فساعدت بذلك على تجسيد فكرة البعث القومي، وبلورتها الروح الطورانية التي انبثّت في نصوص الدستورين. وتجاوبت المدارس الأجنبية في البداية مع هذا المد القومي، فعلّمت باللغة العربية خدمةً لأهدافها في توهين السلطة العثمانية وإضعاف نفوذها وتزيين افتتان طلابها بثقافة بلدانها[٣]، وحظيت المدرسة الإنجيلية (الكلية الأمريكية) بمعلم العربية الشيخ ناصيف اليازجي كما حظيت بثلاثة أطباء أجانب درسوا اللغة العربية وأتقنوها ثم صنعوا لفنونهم المؤلفات العربية وعنوا العناية البالغة بتحري الكلمات العربية لمصطلحات فنونهم، وتخرج على أيديهم الرعيل الأول لنشر العربية في الجبل والساحل فكانوا الدعامة الأولى للتعليم العالي العربي في ديار الشام.

---

(٢) المرجع السابق الصفحة ٢٧١.

(١) طرائق نقل المصطلحات العلمية إلى اللغة العربية: الأمير مصطفى الشهابي – مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد العاشر، الصفحة ٢١١.

(٢) حاضر اللغة العربية في بلاد الشام: سعيد الأفغاني – معهد الدراسات العربية العالية (جامعة الدول العربية) – القاهرة ١٩٦٢ الصفحتان ١٧-١٨.

وازدادت حركة الإحياء اللغوي قوة وتحفزًا بظهور فئةٍ استهدفت شق صفوف الحركة وزعزعة كيانها فدعت إلى تبني اللهجة العامية، وصدرت كتب بها لمارون عبود وشكري الخوري وغيرهما، وطور بعضهم هذه الدعوة ووسعها لتشمل استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي، فاستحثت هذه البدعة الوعي القومي. وأدركت المدارس الأجنبية أنها خسرت الرهان فنبذت الجامعة الأمريكية التعليم باللغة العربية في عام ١٨٨٠ بادعاء قصورها عن استيعاب منجزات العصر العلمية، فأثارت المزيد من النقمة في النفوس التي وطدت عزمها على تعزيز حركة الإحياء اللغوي، وأسست الجمعيات لتحقيق هذا الهدف بإنشاء المدارس الأهلية والنوادي. وحققت الجمعية[١] الخيرية التي أُسست في دمشق نهضة تعليمية باللغة العربية في أيام الوالي المصلح مدحت باشا، فأنشأت بين عامي ١٨٩٤و١٨٩٥ ثماني مدارس للذكور ومدرستين للإناث في دمشق، وعين مدحت باشا الشيخ طاهر الجزائري مفتشًا عامًا للمدارس في ولاية سورية التي كانت بيروت وملحقاتها تابعة لها. وساهم خريجو المدارس الأهلية الخاصة الإعدادية والثانوية بنصيبٍ وافرٍ في إثراء الثقافة ونشر اللغة العربية. ورجع من ذهب منهم للتخصص في أوروبا[٢] «على المبادئ الطيبة المغروسة فيهم في تلك المدارس، فلما وكل إلى بعضهم التدريس في الجامعة الناشئة أيام الحكم العربي، أنفوا كل الأنفة من أن يدرسوا بفرنسية أو إنكليزية وأخذوا على عواتقهم رد الاعتبار إلى اللغة العربية التي نهضت من

(١) المرجع السابق الصفحتان ٥٥ و ٦٥.

(٢) المرجع السابق، الصفحة ٣٠.

تحت الأنقاض. فدأبوا ليل نهار حتى قدموا أحسن الخدمات إلى التعليم العالي وهي تعريبه على الأسس الراسخة السليمة».

ولقد طالبت جميع الجمعيات والمدارس والنوادي بتعريب التعليم وبحظٍ من الإدارة المستقلة للبلاد العربية، وتوجت هذه المساعي كلها بمؤتمر باريس الذي عقد في صيف عام ١٩١٣ وكان من أهم مقرراته: «اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية». وقامت في الشام (في دمشق وبيروت) مظاهرات شعبية عنيفة اقترنت بإضرابات واسعة النطاق دعمًا لهذا القرار وابتهاجًا به، فاضطرت الحكومة آخر الأمر– سنة ١٩١٣ إلى مفاوضة زعماء الحركة الإصلاحية، واتفق على كيفية تنفيذ الإرادة السنيّة التي صدرت في هذا العام والآتي نصها:

«يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي يتكلم أكثرية سكانها هذه اللغة، في المدارس الابتدائية والإعدادية، وينظر من الآن في الوسائل التي تؤدي إلى جعل التعليم العالي في البلاد باللغة العربية». «وفي سنة ١٩١٢أنشئ معهد الحقوق[١]... وكانت دروس المجلة وأصول الفقه وأحكام الأوقاف وغيرها من العلوم الفقهية تلقى فيه باللغة العربية...». وهكذا فإن

(١) جاء في خطاب الأستاذ سعيد الغزي في حفلة توزيع الشهادات (ينظر، مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد الثامن، الصفحات ٥٢ –٥٨) ما يلي: «أذاعت الحكومة العثمانية بلاغًا جاء في مواده أن تكون اللغة العربية لغة التدريس في المدارس الابتدائية والثانوية ولغة المرافعات في المحاكم النظامية والشرعية في البلاد العربية، وأن تعنى الحكومة بإنشاء مدارس عالية للطب والحقوق في البلاد العربية، وفي سنة ١٩١٢ أنشئ معهد الحقوق... ».

تعريب تعليم الحقوق، قد بدأ في سورية قبل الحرب العالمية الأولى، ونشأ بمفاهيمه ومصطلحاته في بيئة عربية إسلامية فتطور فيها تدريجيًا، وتكاملت المفاهيم الجديدة ومصطلحاتها في مدرسة تلك البيئة بيسر. كانت هذه بداية تعريب التعليم العالي رسميًا في سورية، وكان تعريب العلوم الإنسانية، ومنها الآداب بخاصة، مبكرًا أيضا، كما يمكن أن يكون قد اتضح من عرضنا الملخص لحركة الإحياء اللغوي في بلادنا. فقد قامت الحركة الأدبية والثقافية عامة في أصقاع المشرق العربي بنقل روائع الأدب الغربي إلى اللغة العربية في وقت أبكر، لهذا كله فإن تعريب التعليم العالي في مختلف مجالات العلوم الإنسانية لم يكن قضية معقدة ولم يُثِر أبدًا إشكالات تتضارب حولها الآراء.

ويذكر الدكتور جميل الخاني[1]، أنه شرع يدرِّس العلوم الطبيعية والرياضية باللغة العربية قبيل الحرب العالمية الأولى، إذ يقول في دراسةٍ له عن المصطلحات العلمية، نشرت عام ١٩٣٤: «منذ شرعت تدريس العلوم الطبيعية والرياضية في المدارس العربية بدمشق، أي منذ عشرين عامًا، كنت أرجح أن آخذ هذه العلوم عن الكتب الغربية، إذ لا مشاحة في أن بلاد الغرب هي منبع هذه العلوم في هذا العصر، لكنني كنت ألاقي في سبيل الوصول إلى غايتي عقباتٍ جمة في ترجمة المصطلحات الأعجمية إلى اللغة العربية». وهذا يعني أن بلاغ الحكومة العثمانية الذي جاء فيه أن تكون اللغة العربية لغة التدريس في المدارس الابتدائية والثانوية قد طبق في جميع المجالات، وأن التعريب قد بدأ رسميًا منذ ذلك الحين.

(١) الأستاذ الدكتور جميل الخاني: مصطلحات علمية — مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد التاسع، الصفحة٢٣٥.

وواقع الأمر فإن تعريب التعليم عامةً، وتعريب تعليم العلوم في المراحل المختلفة، ومنها مرحلة التعليم العالي خاصة، لم يطرح هو أيضًا إشكالات ولم تختلف حوله الآراء.

كان تعريب التعليم في جميع مراحله مطلبًا جماهيريًا منذ بدايات النهضة العربية الحديثة وحركة الإحياء اللغوي التي رافقتها كما بيّنا. وكان الدافع لتبني جميع أبناء الوطن التعليم باللغة العربية، في جميع مراحله، هو حب الوطن والثقةُ بالنفس، الثقة بقدرتنا على إثبات وجودنا أمام العالم كله وبكفاءتنا للنهوض من الكبوة. والتمسكُ باللغة تعبير عن التمسك بالوطن والتاريخ. إنه العامل النفسي كما يقول الدكتور عبد السلام العجيلي[1]: «هذا العامل موجود وراسخ في أعماق نفوسنا... هذا التعلق العاطفي باللغة الأم، في مجموعة بشرية هو دلالة من دلالات ثقة هذه المجموعة بنفسها، كما هو نقطة ارتكازٍ لابد منها لكي تنتج هذه المجموعة إنتاجًا حضاريًا ذا قيمة أصيلة». هذا العامل النفسي هو الذي يدفع كل شعب من شعوب العالم للاعتزاز بلغته، وللتعليم بها في جميع مراحل التعليم مهما كان تعداد سكانه،قلّ أو كثر، إنها هويته أو أبرز ما فيها.ولكم توارت في خضم التطورات الحضارية والثقافية التي نشهدها في هذا العصر، لغات لم تشارك في بناء حضارته، ولم يكن لها من قبل مشاركة مشهودة في هذا المضمار. لقد اندثرت في هذا الخضم مئات اللغات في القرن الماضي، بينما أحيت عدوتنا إسرائيل اللغة العبرية بعد موتها وجعلتها نقطة الارتكاز، التي أشار إليها الدكتور العجيلي، لوجودها العدواني

(١) عبد السلام العجيلي: لغة العلوم الحلقة الرابعة – مجلة المعرفة، الصفحات ٦- ٣٣ وبخاصة الصفحات ١٨ –٢٢ منها.

ولغةَ التعليم في جميع مراحله. أما لغتنا العربية فلها من القرآن الكريم حرز، ومن الحضارة العربية الإسلامية ركن شديد، ولها في نفس كل عربي وكل مسلم قدسية أضفاها عليها القرآن الكريم والدين الإسلامي الحنيف، وها هو محمد كرد علي، مؤسس مجمع اللغة العربية بدمشق المتحدّر من أصول كردية شركسية قد اعتز بلغة القرآن الكريم لسانًا وفاخر بحمل لواء العروبة وبحب وطنها الكبير.واللغة العربية هي التي أبدعت مصطلحات علوم الحضارة العربية الإسلامية وكانت في تلك الحضارة لغة العلم والثقافة، وانتشرت بها في أصقاع العالم كله فأنارت ظلمات العصور الوسطى ومهدت لعصر التنوير، وإنها قمينة بالعلم والحضارة وبالمساهمة في بنائهما وتطويرهما.

لقد رافق قيامَ الدولة العربية في سورية شعور بالعزة والقوة والكرامة، استبد بأفئدة جميع فئات الأمة، فاندفع الجميع، معلمون وصحافيون وكتاب وشعراء وموظفون وسياسيون مثقفون، للقضاء على ما خلف التتريك من آثار مهينة امتدت إلى اللغة والثقافة.

لقد كان إذن خيار تعريب التعليم في جميع مراحله هو الخيار الوحيد الذي توجه إليه المثقفون في سورية، بل الشعب كله. واتسق قرار الدولة العربية الفتيّة مع هذا الخيار، فكان هو أيضًا خيارها الوحيد. إنه نفير عام كان على الدولة توجيهه والوصول به إلى الغاية المرجوّة بأنجع السبل وأقصر مدة. فأنشئت شعبة للتأليف عَقِبَ تأليف الدولة العربية في عام ١٩١٨، مهمتها النظر في المصطلحات التركية، التي كانت سياسة التتريك قد أدّت إلى تفشي استخدامها في دوائر الدولة، وترجمتها إلى مصطلحات عربية. واستُعين لأجل

تحقيق هذه الفكرة بعدد من الأدباء والشعراء ورجال السياسة المثقفين... وكلفت الحكومة هؤلاء العلماء الأعلام تدريس الموظفين اللغة العربية والإنشاء[١]. وفي عام ١٩١٩ أسست الحكومة «ديوان المعارف» برئاسة الأستاذ محمد كرد علي، صاحب جريدة المقتبس، وكانت مهمة هذا الديوان النظر في أمور المعارف وتأسيس دار للآثار والعناية بالمكتبات، وبدار الكتب الظاهرية منها خاصة. ولما اتسعت أعمال هذا الديوان، أسست الدولة «المجمع العلمي العربي» في ١٩١٩/٦/٨، وعهد برئاسته إلى العلامة محمد كرد علي، وكان أعضاؤه العاملون والشرفيون هم الذين شاركوا في شعبة التأليف وترجمة المصطلحات وفي ديوان المعارف.

كانت أعباء المجمع مرهقة، وكان أهمها: البحث في الألفاظ المتداولة في أكثر دوائر الحكومة، وتقرير الفصيح منها اعتمادًا على أمهات كتب التراث، وتعهد آثار البلاد بالعناية والرعاية، وجمع ما يتوافر له منها لتكون نواة «لدار الآثار العربية»، وإنشاء مجلة باسم «المجمع العلمي العربي» وإنشاء «دار للكتب العربية» تكون دار الكتب الظاهرية التي نيط بالمجمع إدارتها، نواة لها، واتخذ المجمع لذلك المدرسة العادلية التي تقع قبالة الظاهرية مقرًا له. كل شيء عربي وليس سوريًا، إنه الاعتزاز بالعربية والإيمان بالعروبة: المجمع العلمي العربي، ودار الكتب العربية، ودار الآثار العربية. ولقد اضطرت الدولة الفتيّة، في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي رافقت قيامها، إلى توقيف أعمال المجمع توقيفًا مؤقتًا وأبقت من أعضائه عضوين فقط لكي يشرفا على أعماله

(١) أحمد الجندي: المجمع العلمي العربي – مجلة المعرفة، السنة الرابعة، العدد ٤٢، الصفحات ٣٩-٤٤.

ومحتوياته فلا تغتالها أيدي الضياع[١]. وفي سنة ١٩٢١، وهي السنة التي أصدر فيها المجمع مجلته، كان عدد أعضائه العاملين أربعة يؤازرهم عدد من الأعضاء الشرفيين. وكان مما قام به في تلك السنة:

ـ إصلاح الكتب المدرسية في المدارس المدنية والعسكرية بعد أن قرر مجلس المعارف الكبير في ١٧ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢١ إحالتها على المجمع ليصحح أسلوب إنشائها، ويضع المصطلحات العلمية العربية أو يحققها.

– إصلاح لغة الكتّاب، فكان ينشر على صفحات مجلته وغيرها من الصحف مقالات في باب سُمي «عثرات الأقلام» وأخرى عنوانها «في الوضع والتعريب» ، وأذاع نشرة يطلب فيها من دوائر الحكومة ومعاهد التدريس أن تنبئه بما تحتاج إليه من الألفاظ وضعًا وتعريبا[٢].

– وأخذت تنهال عليه رغبات دوائر الدولة كلها – المعارف والأوقاف والشرطة وغيرها – في أن ينظر في كلمات وتعابير كثيرة، فنظر فيها بعناية وقدمها بتواضع شديد، ولم يشأ فرض منجزاته على الناس المتلهفين لالتقاطها، لعل بعضهم يقترح ما هو أصلح، ذلك لأن الأصلح كان هو الغاية. لقد كانت توجهات المجمع في سنواته الأولى إصلاح لغة الدواوين والكتّاب والصحف ووضع المصطلحات الأكثر تداولاً وإلحاحًا، وجلها يقع في مجال ألفاظ الحضارة والحياة العامة.

(1) عبد القادر المغربي: نشأة المجمع العلمي العربي – مجلة المجمع، المجلد ١، الصفحة ٥.

(2) عبد القادر المغربي: خلاصة عن مجمعنا وأعماله في هذه السنة – مجلة المجمع، المجلد١، الصفحة ٣٩٢.

لقد نجح المجمع في العاجل من مهمته، فعرّب الدواوين وأصلح لغة التعليم في المدارس والصحافة في مدة قصيرة نسبيًا، والتف حوله كل فئات الشعب وأنصار العربية في البلاد الإسلامية عامة وفي الأقطار العربية كلها خاصة. وامتلأت صفحات مجلته بآرائهم ودراساتهم في المشكلات التي كانت تعرض على صفحاتها أيضًا.

كان أعضاء المجمع الأوائل العاملون والشرفيون، لغويين في المقام الأول، وكان معظم المشكلات المطروحة في البداية، إصلاح لغة الكتاب والدواوين ووضع المصطلحات الأكثر تداولاً وإلحاحًا، وهي كما ذكرنا مصطلحات ألفاظ الحضارة والحياة العامة. أما مصطلحات العلوم الأساسية والتطبيقية في الفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة، فكان على الاختصاصيين في المعهد الطبي العربي القيام بوضعها والتدقيق فيها، إذ لا يجوز إلقاء أعباء هذه المهمة على لغويي المجمع ، أعضائه العاملين والشرفيين، وتلقف ما يقترحونه عليهم من المصطلحات والركون إليها. فعلى الرغم من الجهود المضنية التي قام بها أولئك العلماء اللغويون في البحث في كتب التراث لاختيار ما يعتقدون أنه الأصلح، فإن مصطلحات كتب التراث وضعت لمعانٍ علميةٍ حددت في حينها وليس بإمكان غير الاختصاصيين في العلم الأساسي أو التطبيقي المعني استعارتها لمعانٍ علمية أخرى. ويبقى الاحتكام إلى اللغويين في المصطلحات والتعابير في كثير من المشكلات ضروريًا. وقد نبّه إلى هذه الحقيقة من قبل، وبصور مختلفة، كل من مرشد خاطر ومصطفى

الشهابي ومنيف العائدي على الأقل[١].

يعدّ ما قام به أعضاء هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي من أروع إنجازات مراحل تعريب التعليم العالي في القرن العشرين، إنه يشبه من وجوهٍ عدة ما قام به أسلافهم في القرن التاسع عشر في مصر والشام. لم يتردد أي من أعضاء هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي في متابعة مسيرة تعريب تعليم الطب وما يرافقه من الصيدلة والعلوم الحيوية والكيمياء والفيزياء، بل لم يساور التردد أحدًا منهم. إنه النفير العام كما ذكرنا قبل قليل، وهم معنيون به ومن صانعيه كما يستخلص مما أوردناه في الصفحات السابقة من هذه الدراسة.

لقد كانت مهام أساتذة المعهد الطبي العربي عظيمة الشأن ومرهقة، وكان النجاح فيها هو خيارهم الوحيد. واخترت على سبيل المثال، لتقديم صورة عن جسامة التحدي الذي يطرحه النجاح فيها، ما تصدى له الطبيب محمد جميل الخاني، أستاذ أمراض الجلد ومدرس العلوم الطبيعية في المعهد. وقد اخترته من بين زملائه، لأنه كان يعدّ محاضراته في اختصاصين، في أمراض الجلد وفي الفيزياء، والبعد بينهما شاسع، فهو يبحث في الجديد في الاختصاصَيْن، ويضع المصطلحات العلمية لما يدرِّسه، ويعمل على تقويم ما اعوج من أساليب اللغة العلمية، ويعرض ما يرتئيه على صفحات مجلتي المعهد ومجمع اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا)، على الأطباء واللغويين لنقده أو الأخذ به. حقًا يستحق المرء على نجاحه في أداء هذه الأعمال التي تتطلب استقصاء المعارف في الاختصاصين وإجادة تعليمهما معرَّبَيْن، أعلى

(1) نبه إليها مصطفى الشهابي في الصفحتين و ١٢٧و٢١١ من المجلد العاشر من مجلة المعهد الطبي العربي ومرشد خاطر في الصفحة ١١٧منه، والعائدي في الصفحة ١٨١ منه.

درجات التقدير. يقول الأستاذ الخاني في الحلقة الأولى من سلسلة مقالاته «اللغة العلمية»[١]:... «ولذلك أحببنا أن نبيّن للقراء هذه الأغلاط ليشاركونا في الانتباه إلى ما انطبع في أدمغتنا من الكلمات غير الصحيحة ونستبدل بها صحيحها خدمة للعلم واللغة وسنوالي مقالاتنا في هذا الموضوع تحت عنوان (اللغة العلمية)... ولا نقصد بذلك أن نختص بهذا الباب دون غيرنا، بل إنه باب مفتوح لكل من يطرقه، ونسدي أطيب الشكر لكل من يؤازرنا في هذا المشروع من إخواننا الأطباء وغيرهم، ألهمنا المولى إلى ما فيه نفع العلوم وإعلاء شأن لغتنا المحبوبة...». وارتأى في مقالته الأولى هذه، ضرورة تغيير عدد من المصطلحات، كان من بينها: الأوعية الدموية، واللنفا، والأوعية الشعرية...فقال: «... ومنها قولهم أوعية شعرية، اسمًا للعروق الصغار وهو اسم خطأ فادح... على أن العرب سمت هذه المجاري بالعروق الدقاق، فيجب استعمال هذا اللفظ الصحيح وترك ذاك اللفظ الذي ليس من العربية في شيء». وكان الأب أنستاس ماري الكرملي في بغداد، مستنفرًا لنصرة التعريب كغيره من العرب، يتابع ما ينشر في مجلتي المجمع والمعهد حول مسيرة التعريب في دمشق، وينشر فيهما ما يراه دعمًا لها. فكتب إلى مجلة المعهد مشجعًا، ومعلقًا على ما نشر فيها، مقالةً بعنوان: «محاسن مجلة المعهد الطبي العربي» [٢]، جاء فيها، تعليقًا على مقالة الأستاذ الخاني، نقد مصطلحاته والاعتراض على استخدامه

(1) محمد جميل الخاني:اللغة العلمية – مجلة المعهد الطبي العربي – المجلد الأول (١٩٢٤) الصفحة ٦٠.

(2) الأب أنستاس ماري الكرملي: محاسن مجلة المعهد الطبي العربي – مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد الأول، الصفحات ٤٢٦-٤٣١.

فيها حروف: على، وعن، واللام في له، وعند، في غير المواضع الصحيحة في رأيه، واستشهد بالقزويني في كتابه عجائب المخلوقات، على صحة استخدام مصطلح الأوعية الشعرية... فرد الخاني في العدد التالي من المجلة، بعنوان «رد انتقاد»[1] وبرّر استخدامه «عند» للزمان في المواضع التي استخدمها فيها مستشهدًا بالنووي والدماميني، ورفض استشهاد الأب الكرملي بالقزويني المتأخر قائلاً: فهل القزويني عربي يتخذ كلامه حجة في اللغة؟ ...

لقد سقتُ بعض ما جرى بين الخاني والكرملي لتصوير واقع تفاعل المجتمع العلمي في المشرق العربي في بداية مسيرة التعريب. وكان ما سقته طرفًا من صورة أشمل لواقع ذلك التفاعل، اخترته لبيان المستوى الرفيع من المعارف اللغوية والعلمية الذي كان يتوفر في عضو هيئة التدريس في التعليم العالي:

١- في اللغة (أو اللغات) الأجنبية التي يستقي منها علومه.

٢- وفي اختصاصه العلمي وهو محور مهمته التعليمية، والذي لا يُحسن دون إجادته، انتقاء ما ينقل والتمكن من فهمه.

٣- وفي اللغة العربية التي يصوغ بها أفكاره العلمية، وينتقي من ذخيرتها الواسعة وزمر معانيها المتقاربة والمترادفة، مصطلحاته العلمية.

ولا يبلغ عضو هيئة التدريس في المعهد الطبي هذا الشأن في اللغة العربية، إلا إذا أنفق من عمره سنوات في دراستها فأحب صحبتها. وهذا شرط رابع يجب توفره في الرواد من أعضاء هيئة التدريس للنجاح في هذه المهمة الريادية. وهل كان بإمكان الخاني رد انتقاد الكرملي بتلك السرعة لو لم يكن

(1) الدكتور جميل الخاني: رد انتقاد – مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد الأول، الصفحات ٤٩٤-٥٠١.

قد بلغ ذلك الشأن في اللغة العربية فيستشهد في استخدام (عند) للزمان، بتحرير النووي في قوله عند الليل، وفي قول الدماميني: عند الصدمة الأولى. قلت لقد سقت طرفًا مما جرى بين الخاني والكرملي، والواقع أنّ ما كان بينهما من نقاش، امتد ليشمل: العروق والأوعيه الدموية، والعروق الدقاق والأوعية الشعرية، والبلغم واللنفة أو اللنفا... ولم يكن الأب الكرملي الوحيد الذي تناول مصطلحات الخاني بالنقد، فقد تناولها أيضًا الدكتور أمين المعلوف مدير الأمور الطبّية في الجيش العراقي، وبعض زملائه في المعهد. كما لم يكن الخاني وحده موضوع مقالة الأب الكرملي تلك، أوموضوع مقالاته الأخرى.

قد يكون من المناسب سوق جوانب أخرى من مسيرة تعريب التعليم العالي في بداياتها، جوانب من تخليص اللغة العلمية العربية مما داخلها من التركية، ومن تعريب بعض المصطلحات دون ترجمتها. فقد دعا أمين المعلوف مجلةَ المعهد الطبي العربي إلى إصلاح المصطلحات التي وضعت في مدرسة الآستانة ومعظمها منقول عن مؤلفات أساتذة قصر العيني[1]. وذكر «من المصطلحات المصرية التي غيّرها الترك لفظة خلية فقالوا الحجيرة... ومنها قولهم النسيج المنضم وصوابه الضام...» وقدم حججه، وأبدى رأيه في ترجمة بعض الألفاظ كالفوصفور والكربون، ورأى تعريبها لضرورة التمييز مثلاً بين أصناف الكربون كالفحم والماس، وبيّن أن اختيار الأتراك كلمة فحم العربية للدلالة على الكربون قد يكون مقبولاً عندهم، إذ تبقى مميزة عن كلمة كومور التركية التي تقابل كلمة فحم في لغتنا، واستخلص فيما بعد أن اللغة العربية احتلت

(1) الدكتور أمين معلوف: لغة العلم – مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد ١، الصفحات ٤٨١ – ٤٨٩.

في وضع المصطلحات التركية موقع اللغتين اليونانية واللاتينية ومكانتهما في وضع المصطلحات عند أهل الغرب[١]. وأثارت آراؤه هذه اهتمام الدكتور أحمد حمدي الخياط في المعهد الطبّي العربي، ومنها خاصة ما يتعلق بتعريب كلمة كربون وهيدروجين وآزوت وما يماثلها، فأعاد المعلوف[٢] مبررات تعريبها جميعًا فقال «فلو أمكن ترجمة الهيدروجين بكلمة عربية واحدة ونحت لفظةٍ من كلمتين، كما قالوا الماورد، لزال الاعتراض، ثم إن البقلي في معجمه جرى على تعريب أمثال هذه اللفظة وترجمتها، فقال الآزوت ومعدم الحياة، والأيدروجين ومولد الماء،... فبقي التعريب شائعًا إلى يومنا هذا في مدارس مصر وبيروت وأهملت الترجمة جريًا على سنة بقاء الأصلح...» وما «قولك لو ترجمناها (يريد لفظة الآزوت) بمعدم الحياة، وجرينا على طريقتهم (طريقه الأتراك) في تسمية النترات والنتريت، فهل نقول معدمية الحياة، ومعدميتي الحياة، أو على الطريقة المصرية فنقول معدمات الحياة ومعدميت الحياة، أليس الأفضل أن نقول كما تقول الآن مدارس مصر والشام نترات وآزوتات، ونتريت وآزوتيت». واقترح أن يكون التعريب عن الأصل اللاتيني أو اليوناني لئلا نقع في الفوضى. ورفض الدعوة إلى اتباع الطريقة التركية في التعبير عن المركبات الكيميائية. وكان الخاني[٣] من قبل قد نبّه إلى ضرورة إعادة النظر في مصطلحات الآستانة

(1) الفريق أمين باشا المعلوف: توحيد المصطلحات العلمية- مجلة المعهد، المجلد التاسع، الصفحة ٥٢.

(2) الدكتور أمين معلوف: لغة العلم — مجلة المعهد، المجلد ٢، الصفحات ٢٢٧-٢٣٣.

(3) الدكتور محمد جميل الخاني: اللغة العلمية «٢» مجلة المعهد، المجلد ١، الصفحات ١٨٠-١٨٣.

المنقولة عن العربية، «لأنها وضعت في قالب يناسب اللغة التركية، كقولهم في النسب: زهره وي، ومعده وي وغدّه وي، وأن صوابها في العربية: زهري ومعدي وغدّي، لأن القاعدة عند العرب في النسب إلى ما فيه تاء تأنيث هي حذفها مطلقًا».

ويعود الخاني بعد ست سنوات من بداية الحملة على الدخيل من اللغة التركية فيعلن أن الحملة نجحت في طرد الكلمات المغلوطة التي ورثتها ألسنة الأطباء عن العثمانيين، وأن «كثيرًا من تلك الكلمات المغلوطة أخذت تصلح بطبيعتها شيئًا فشيئًا تبعًا لقاعدة زوال السبب بزوال المسبب، لكنه قد بقي منها مالايزال متأصلاً في ألسنة بعضنا مؤديًا إلى تخديش الأسماع عند النطق، فرأينا من الواجب أن نعود إلى التنبيه إليها والله الموفق»[1]، فَشَكَلَ في مقالته هذه بعض الكلمات التي كانت تلفظ على وجوهٍ مغلوطة كعظم «(العَقَب) لمؤخر القدم وصوابه كسر القاف ويجوز السكون، وهي مؤنثة لا مذكرة...» ثم تلاها بذكر فوائد في تفريع الأسماء الثلاثية المجردة وأنهى مقالته ببيان بعض الأسماء الثلاثية المجردة لأعضاء الجسم.

استكمل أساتذة المعهد الطبي العربي وضع مصطلحاتهم والتدقيق فيها، ودخل تعريب العلوم في التعليم العالي مرحلةً جديدة، هي المرحلة الثانية، مرحلة تنقيح المصطلحات العلمية وتكاملها. فظهرت مصطلحات الفيزياء في أعمال الدكتور جميل الخاني، ومصطلحات الكيمياء والصيدلة في أعمال الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي، ومصطلحات الطب في أعمال الأطباء،

(1) الدكتور جميل الخاني: أبحاث لغوية – مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد الثامن (١٩٣١)، الصفحات ١٠٩-١١٤.

جميل الخاني في أمراض الجلد، ومرشد خاطر في الأمراض الجراحية، وأحمد حمدي الخياط في الجراثيم، وحسني سبح في الأمراض الباطنة... نشرت تلك المصطلحات في مجلة المجمع، ونوقشت ونقحت على صفحاتها. وقد تدرج هؤلاء الأطباء في تفاعلهم مع المجمع فانتُخبوا أعضاء مراسلين ومؤازرين، ثم أعضاء عاملين فيه. ولوّنت أعمالُهم ما ينشر في مجلة المجمع بلونها العلمي الأساسي والتطبيقي الخاص، وأوجدت في المجمع البيئة المواتية لنشوء مدرسة لها شخصيتها المميزة في معالجة قضايا المصطلح. وضمت هذه المدرسة الدكتور جميل الخاني الذي وضع مصطلحات الفيزياء وأمراض الجلد وشرع يضع معجمه الذي سمّاه «الدرّ المتواصف في لغة المترادف» ، وصل فيه إلى حرف العين وعاجلته المنون فترك مخطوطا[1].

وتمّم المهندس الزراعي الأمير مصطفى الشهابي، عضو المجمع ورئيسه فيما بعد، بأعماله صورة لشخصية تلك المدرسة، إذ توسع في بحوثه، فجمع أسس وضع المصطلح المتوارثة ونسّق بينها وبين ما استجد من محاولات، وأضاف إليها، فنشر في عام ١٩٥٥ خلاصة تلك الأعمال في كتابه «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث». كان الشهابي في حصيلة أعماله مهندسًا زراعيًا، وعالمًا لغويًا عالج مشكلات النحت والاشتقاق والأوزان العربية، والكواسع والصدور، وكتابة الحروف الأعجمية، وقواعد رسم الهمزة، ومعظم ما يمت في اللغة العربية بصلة إلى مشكلات

(1) حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام. الصفحة ١٢٦ — مرجع سابق.

المصطلح العلمي العربي، وأنار بكتابه في المصطلحات العلمية، مسالك وضع المصطلح للأجيال العربية.

وأولى الكواكبي النحت عنايةً خاصة، واقترح في بحوثه وكتبه ومعجماته، الكثير من المصطلحات المنحوتة، مؤيدًا رأيه بالعديد مما جمعه من شواهد من التراث العربي. وخص دراسة الأوزان العربية بجهد مرموق، واقترح القياس على ما قدّم من أوزان في وضع المصطلح. وكثيرًا ما حركت مقترحاته تلك قرائح اللغويين، فأثنوا عليه، وطوروا بعض مقترحاته، أو نقدوها وعدلوا فيها وعرضوا ما انتهوا إليه على صفحات مجلة المجمع. وكانت أعمال الكواكبي في مجملها بدايات منهج مدرسة أخرى في وضع المصطلح.

وبلغ معظم أساتذة المعهد الطبي العربي بفروعه الثلاثة، الطب البشري وطب الأسنان، والصيدلة، منزلة رفيعة في تعريب العلوم ووضع مصطلحاتها، وأدى هذا التطور في وضع مصطلحات العلوم إلى التوجه إلى صنع معجمات مختصة في فروع العلوم التطبيقية في المعهد. وقد بدأت هذه المرحلة، وهي الثالثة من مراحل تعريب التعليم العالي عامة وتعريب تعليم العلوم فيه خاصة، في وقت مبكر نسبيًا، ومتداخلة مع المرحلة الثانية عند بعض الرواد، أي في أواخر العشرينيات من القرن الماضي. إلا أن ما يمكن عده معجمًا مختصًا لم يظهر إلا في الثلاثينيات منه[1]. وكانت المعجمات المختصة الأولى التي نشرت، متدرجة في شمولها جوانب الاختصاص وفي دقة التعريف ووضوح المنهج. فكان منها مالا يتجاوز محتواه محتوى ما استخدم من المصطلحات في كتاب، لا يتضح في

(1) الدكتور عبد الله واثق شهيد: تطور المصطلح العلمي العربي في مجمع اللغة العربية بدمشق– مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٧٧، الصفحة ٤٥٣.

وضعها منهج، ولا تشمل جوانب الاختصاص المترامية. إلا أن وضع معجم مختص متكامل، أصبح في هذه المرحلة، مطمحَ الأعضاء المجمعيين في كلية الطب بفروعها الثلاثة[١]. وعزم ثلاثةٌ من مجمعيّي الكلية، مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي على صنع معجم للمصطلحات الطبية، واتفقوا على نقل معجم كليرفيل المتعدد اللغات إلى اللغة العربية، ليصبح معجمًا طبيًا شاملاً باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية والألمانية واللاتينية. وقد طبع النص العربي من هذا المعجم في مطبعة الجامعة السورية في سنة ١٩٥٦، وبلغ عدد كلماته ١٤٥٣٤، وعدد صفحاته ٩٦٠صفحة[٢]. ولن نتحدث عن تطور هذا العمل وعلاقته فيما بعد بالمعجم الطبي الموحد، لئلا نخرج عن هدف هذه الدراسة الذي هو وصف التجربة السورية في تعريب التعليم العالي العلمي وتحليلها. ولئن تأخر نشر معجم «مصطلحات تعويض الأسنان» الذي وضعه المجمعي الدكتور ميشيل خوري، فإنه لم يتأخر كثيرًا عن زملائه في الطموح إلى وضع معجم مختص.

إن مرحلة صنع المعجمات المختصة هذه تعد مرحلة نضج تعريب التعليم العالي العلمي، ذلك لأن توافر المصطلحات العربية لمختلف فروع العلوم المراد تعريبها، هو حجر الأساس في تعريب التعليم العالي، وقد بلغ تعريب التعليم العالي العلمي هذه المرحلة في بداية الثلاثينيات كما ذكرنا. وهذا لا

(1) تحول معهدا الطب والحقوق وملحقاتهما إلى كليتي الطب والحقوق في الجامعة السورية التي أحدثت في ١٥/٦/ ١٩٢٣.

(2) حسني سبح: المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي – مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٥٩، الصفحتان ٢٣٧-٢٣٨.

يعني أن المصطلحات قد استقرت منذ ذلك الحين، ولكنها توافرت للتعليم كاملةً، وتطورت تدريجيًا، ما بين الثلاثينيات والخمسينيات من القرن الماضي، حسب الحال، إلى أن بلغت مستوى استحقت به إخراجها في معجم. وستوالي تطورها أيضًا، ويعد استمرار تطورها دليل صحة وتقدم.

بلغ تعليم الطب بفروعه الثلاثة مستوى مرموقًا في الثلاثينيات من القرن الماضي، وتابع تطوره وتحسنه. فقد توافرت له جميع المزايا لبلوغ ذلك المستوى، فالتعليم فيه باللغة العربية، وأعضاء هيئة التدريس عرب وقلة من الفرنسيين الجامعيين، والطلاب يتقنون بالضرورة، من اللغات الأجنبية، اللغة الفرنسية على الأقل. والمواد (أو المقررات) التي يدرّسها الفرنسيون قد تكون سريرية وقد تكون محاضرات نظرية، ولكنها تتغير بتغير اختصاص الأستاذ المنتدب للتدريس. وتوفِّر هذه المشاركة شهادة عادلة بتقويم جودة التعليم ومستواه مقارنة بما هو مقبول في الجامعات الأوربية. وقد كان خريجو الجامعة السورية موضع ترحيب لاستكمال دراساتهم العليا في الجامعات الفرنسية. وشارك كثير منهم، وهم طلاب، في الكتابة في مجلة المعهد. فكتب فيها صلاح الدين الكواكبي، وكان لا يزال طالبًا في السنة الأخيرة[1] من فرع الصيدلة بالمعهد، ونشر فيها شوكة القنواتي وهو طالب طبٍ في الصف الخامس في المعهد، بحثًا بالتعاونٍ مع الأستاذ ترابو [2]...

(1) أحاديث اليوم عن عجائب الراديوم: صلاح الدين مسعود الكواكبي، طالب صيدلة – مجلة المعهد، المجلد الأول، الصفحات ٢٤٦-٢٥٥.

(2) ترابو وشوكة القنواتي: أنزف أم تلين أم خثرة – مجلة المعهد، المجلد الخامس. الصفحات ٤٢٤-٤٢٨.

ووجه أعضاء هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي بحوثهم الطبية إلى معالجة الأمراض البيئية المستوطنة، وكانت ضافية «في البرداء والزحار والضنك وبثرة حلب وداء الجلبان، الذي كان للمعهد الفضل في اكتشافه، ذلك الداء الذي أقعد عددًا كبيرًا من أهالي قرية التل عن السعي والعمل...» [١]، وشارك ترابو والخياط والصباغ في المؤتمر الطبي العربي الأول ببحث عن الزحار العصوي في سورية[٢]، ونشروا بحوثهم في مجلة المعهد الطبي العربي و في غيرها من المجلات العلمية المحكّمة. فنشر، على سبيل المثال، مرشد خاطر مع الأستاذ ترابو زميله الفرنسي في مجلة الجراحة الفرنسية ومجلة المعهد[٣]...

وكان المعهد الطبي العربي يفاخر في أنه المعهد الوحيد في البلاد العربية الذي تدرس فيه العلوم باللغة العربية، وما كان مدير المعهد يفوّت فرصةً للمفاخرة بهذه المأثرة. لقد جاء مما قال عن المعهد في إحدى خطبه: «إنه المعهد الوحيد في البلاد العربية الذي تدرس فيه العلوم باللغة العربية، ويتوافد عليه الطلبة من جميع الأقطار العربية المجاورة والبعيدة. فإن لدينا طلبة من بلاد سورية ولبنان والحجاز والعراق ومصر وتونس وغيرها...ولا يحول دون مجيء الكثيرين غير (عدم) اعتراف الحكومتين المصرية والفلسطينية بإجازة هذا المعهد

(1) حفلة توزيع الشهادات – مجلة المعهد، المجلد الثامن، الصفحة ٤٣٨.

(2) ترابو والخياط والصباغ: الزحار العصوي في سورية – مجلة المعهد، المجلد السادس، الصفحات ١٤٦-١٥٤.

(3) ترابو ومرشد خاطر: ضيق الأمعاء بلجم سلّية – مجلة المعهد، المجلد التاسع. الصفحة ١٣، وفي حاشيتها إشارة إلى موضع نشرها في مجلة جمعية الجراحة الفرنسية (المجلد ٥٩، الجزء ١٨).

والسماح لحامليها بممارسة مهنتهم (في مصر وفلسطين) كزملائهم من خريجي المعاهد الأخرى... كيف لا والحكومة المصرية كانت تسمح لخريجي هذا المعهد بممارسة مهنتهم في زمن الحكومة التركية ولم يكن معهدنا حينذاك في الدرجة التي نراه فيها الآن» [1]. وكما نلاحظ هنا فإن اختلاف النفوذ الأجنبي الذي كان مسيطرًا في مصر وفلسطين، وهو البريطاني، عن ذاك الذي كان مسيطرًا في سورية ولبنان وتونس، أي الفرنسي، وتضارب مصالح هاتين الدولتين في بلادنا العربية، كان هو السبب في عدم سماح البريطانيين بممارسة خريجي المعهد مهنتهم في مصر وفلسطين. لقد أوقفت بريطانيا التعليم باللغة العربية في الجامعات المصرية وحولته إلى الإنكليزية. أما الفرنسيون، فبعد أن أدركوا أن ليس بإمكانهم زحزحة السوريين عن مطلب تعريب التعليم، الذي أصبحوا أشد تمسكًا به تعبيرًا عن رفضهم الانتداب، رأوا في تشجيع الحكومة السورية على متابعة التعليم الجامعي باللغة العربية خدمة مضاعفةً لمصالحهم. إنه من جهة، محاولة لتخفيف نفور المثقفين الجامعيين من الوجود الفرنسي في الوطن، وفيه من جهة أخرى محاربة للنفوذ البريطاني في البلاد العربية عامة، وفي المشرق العربي خاصة. إن تعليم مصريين وفلسطينيين الطب باللغة العربية في دمشق وإعادتهم إلى أوطانهم أطباء أقدر – بلغتهم الطبية العربية– على الاتصال بمواطنيهم من زملائهم خريجي المدارس المصرية، وبمستوى علمي منافس، هو سلاح دعائي تتحاشى بريطانيا خطره عليها هناك.

(1) خطاب رئيس المعهد الطبي الأستاذ رضا سعيد بك– مجلة المعهد، المجلد الثالث، الصفحة ٣٢٣.

لقد اطمأن الأطباء الجامعيون ومناصرو التعريب في الوطن العربي إلى النجاح الذي حققه تعريب تعليم الطب في المعهد الطبي العربي، والذي يعدّ النجاح فيه المدخل الآمن إلى تعريب تعليم العلوم وتعريب مناشطها الأخرى كتوليد المعارف العلمية والتقانية ونقلها ونشرها. ودعا المعهد الطبي العربي، منذ بواكير نجاحه، أي منذ عام ١٩٢٤[١]، إلى توحيد المصطلحات العلمية العربية، وتتالت الدعوات[٢]، وعقد مؤتمر أول وتلته اقتراحات في سبل توحيد المصطلحات العلمية[٣] وكانت الدعوة إلى توحيد المصطلح فقرة هامة في جميع جداول أعمال الجمعيات الطبية العربية، ثم تطورت إلى اقتراح إنشاء مجمع مصري سوري عراقي لتأليف معجم طبي[٤]. ولا تزال تتردد أصداء هذه الدعوات، وتتجدد صيغها، فتقام المؤتمرات والندوات، وتقر مبادئ وأساليب لتوحيد المصطلح وإشاعته، وتنشأ هيئات من أهم أغراضها تحقيق هذا الهدف، كاتحاد مجامع اللغة العربية، واتحاد الأطباء العرب (المعجم الطبي الموحد)... ومكتب تنسيق التعريب الذي أنشئ خِصِّيْصى لتحقيق توحيد المصطلح. وقد أنجزت فعلاً مراحل هامة لبلوغ الغاية التي كانت التجربة السورية فيها

(1) الأستاذ عبد القادر سري: كتب جديدة — مجلة المعهد، المجلد الأول، الصفحة ٢٤٤.

(2) ١- الفريق الدكتور أمين باشا المعلوف: توحيد المصطلحات العلمية- مجلة المعهد، المجلد التاسع، الصفحات ٥١-٥٩ و١١٧-١٢٤ و ١٧٧-١٨١.

٢- الدكتور الأستاذ جميل الخاني: مصطلحات علمية — مجلة المعهد، المجلد التاسع، الصفحة ٢٣٧.

(3) المرجع السابق (الفريق المعلوف) الصفحة ١٢٣ والصفحتان ١٨١-١٨٢.

(4) مجلة المعهد الطبي العربي المجلد الثاني عشر، الصفحة ٥٨٢.

هي المرحلة الأولى، وكانت في عزم روادها الأوائل ومنهجهم العلمي الذي اتبعوه تجربة رائدة، وطدت بنجاحها تعريب التعليم في جميع مراحله وأنواعه، بل تعريب المناشط العلمية كلها من التعليم إلى نشر المعارف مرورًا بالبحث العلمي والتطوير التقاني.

للبحث صلة

العناصر البلاغية والنقدية في شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي

الدكتورة إلهام السوسي العبد اللوي

إن كتاب شرح ديوان الحماسة للقاضي المرزوقي قد جمع بين دفتيه حسنيين اثنتين. أولاهما هذه المجموعة الطيبة الرائعة من شعر العرب القديم التي اختارها الشاعر الكبير أبو تمام، ومجموعة الأشعار من الشواهد التي أوردها المرزوقي نفسه خلال شرحه. والحسنى الثانية هذه الشروح الضافية الجميلة التي أنارت ألفاظ هذه الأشعار ومعانيها وأضاءت صورها الفنية. وقربت كل ذلك من ذهن القارئ المتلقي في أبهى صورة وأقوم مقال. والحقيقة أن هذا الكتاب بمجموعه، أشعاره وشروحه، سفر فخم من التراث العربي، يضم بين دفتيه طوائف فاخرة من شعر العرب القديم، وجملاً صالحة من شروح المعاني. وكل ذلك يجعل منه ينبوعًا ثرًا صافيًا ينمي الذوق الفني عند القارئ، ويثقف عنده ملكة فهم الشعر وإدراك أساليبه وأسراره الجمالية.

* * *

يعتمد المرزوقي كثيرًا في شرح الشعر على عناصر التشبيه والاستعارة والكناية.

١ – التشبيه:

يعرض المرزوقي عند شرح معاني الأشعار للتشبيهات الواردة فيها ويعمد لبيانها وإيضاحها. «والتشبيه يزيد المعنى وضوحًا، ويكسبه تأكيدًا»[1]. كما يقول شيخ البلاغيين أبو هلال العسكري. ونزيد على قوله فنقول: ويلبسه جمالاً وزينة. والوضوح والتأكيد والجمال هي فائدة التشبيه في التعبير الأدبي وجدواه.

(1) كتاب الصناعتين (٢٤٩).

وهذه الحقيقة الفنية هي التي جعلت المرزوقي يعرض للتشبيهات كثيرًا ويعمد لشرح معانيها وتحليل الصور الشعرية فيها.

فهو مرة يشرح التشبيه الذي يعين على فهم معاني الأشعار فهمًا أعمق وأوسع.

١ – كما جاء في شرح البيت التالي: [الهزج]

وطَعْنٍ كَفَمِ الزِّقَّ غذا والزِّقُّ مَلآنُ

«وهذا التشبيه أبرزَ ما يَقِلُّ في الاعتياد في صورة ما يكثُر فيه. ومثله:

فَجبَهْناهُمُ بضربٍ كما يَخْ رُجُ من خُرْبَةِ المزادِ الماءُ

أي وبطعن في اتساعه وخروج الدم منه كفم الزق إذا سال بما فيه وهو مملوء»[1].

وقوله: «أبرز ما يقلّ في الاعتياد في صورة ما يكثر فيه».هو ما أراده أبو هلال العسكري في قوله: «إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة» [2]. أي في التشبيه.

ومؤدى الكلام واحد عند هذين العالمين. وصورة ما يكثر اعتياده هو رؤية اندلاق الماء من فم الزق. وصورة ما يقل اعتياد رؤيته هو سيلان دم الطعنة. فلهذا شبه الشاعر الطعنة بفم الزق لتهويل قوة الطعنة. فجاء المرزوقي وشرح مراد الشاعر بقوله: «وبطعن في اتساعه وخروج الدم منه...».

وفي مرات أخرى كثيرة يذكر التشبيه ويحلله ويشرحه شرحًا وافيًا لتوضيح معنى الشعر وتعميق فهمه. والأمثلة كثيرة ومتنوعة سنقتصر على ذكر جملة

(1) شرح ديوان الحماسة (١/ ٣٧). والبيت للحارث بن حلزة من معلقته في شرح القصائد السبع الطوال (٤٩٤.) وانظر مثالاً آخر على ذلك (٢/ ٧٩٥).

(2) كتاب الصناعتين (٢٤٧).

منها[1].

٢ – قال هشام أخو ذي الرمة: [الطويل]

خَوَى المسجِدُ المعمورُ بعد ابن دَلْهَمٍ وأمْسَى بأوْفى قَوْمُهُ قد تَضَعْضَعُوا

«أراد أن يشبه تضعضع القوم بموت أوفى، بخراب المسجد بموت ابن دلهم فلم يأت بلفظ التشبيه إذ كان معناه من الكلام مفهومًا»[2].

إن التشبيه هنا ضمني يصعب على القارئ المتلقي أن يدرك صورته ومعناه للوهلة الأولى. فعمد المرزوقي إلى بيان ذلك. والحق أن خواء المسجد من المصلين، ووقف الصلاة فيه شيء عظيم. وأراد الشاعر تعظيم خسارة القوم بموت أوفى فجعل تضعضعهم بعده أمرًا عظيمًا كخراب المسجد، كما قال المرزوقي.

والحق أن هذا التشبيه يُعدُّ من أجمل ما جاء في الشعر الوارد في الكتاب. وكذلك شرح المؤلف يعد من أجود وأبرع ما جاء في شرح الصورة الشعرية.

٣ – قال المرزوقي حين شرح التشبيه في بيت دريد بن الصمة: [الطويل]

وكنتُ كذاتِ البوِّ رِيعَتْ فأقبلَتْ إلى جَلَدٍ من مَسْكِ سَقبٍ مُقدَّدِ

«بيَّن ماذا أدرك من أخيه لما أراد وقايته والذب عنه فقال: كنت كناقة لها ولد، فأفزعت فيه لما تباعدت عنه في مرعاها، فأقبلت نحوه، فإذا هو بجلد مقطع، وشلو مبدد. كأنه انتهى إلى أخيه، وقد فرغ من قتله ومُزق كل مُمَزَّق. والبو: أصله جلد فصيل يحشى تبنًا لتدر عليه، فاستعاره للولد»[3].

لقد فصل الشارح في شرح هذا التشبيه هاهنا وأجاد في تحليل عناصره،

---

(1) انظر على سبيل المثال: (١/ ٣٦، ٩٠)، (٢/ ٥٤١، ٧٢١)، (٣/ ١١٤٦).

(2) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٧٩٥).

(3) المصدر نفسه (٢/ ٨١٧) .

ولاسيما بيان مدى الحزن الناشئ من الروع والفزع اللذين انتابا الناقة المفجوعة بولدها الممزق، وأصابا الشاعر المفجوع برؤية أخيه المقتول.

٤ – قال المرزوقي في شرح البيت: [بسيط]

والحربُ يَلْحَقُ فيها الكارِهُونَ، كما تَدْنُو الصِّحاحُ إلى الجَرْبَى فتُعْدِيها

«يقول: شر الحرب يعدي إعداء الجرب. فترى الكاره لها يلتحق بها، وإن كان غيرَ عازم لها. وتلقى البعيد منها يصطلي بحرها، وإن لم يذكها، ولم يُشَيّع مُوقدَهَا. وفي هذا التشبيه خروج المشبه من الكمون إلى الظهور، ومن الخفاء إلى البروز. حتى يتجلى لمتأمله والمفكِّر فيه على بعده في التصور تجلي القريب في العرف والاعتياد. وهذا هو غاية المراد من التشبيهات»(1).

إن المشبه الكامن الخفي، أي غير الواضح وغير الظاهر في هذا البيت، هم الناس الكارهون للحرب وشعورهم بكره الحرب كامن خفي في نفوسهم ولكنهم يسيرون للحرب مكرهين، اتباعًا لجمهور الناس. والمشبه به الواضح المعروف بالرؤية والاعتياد في الواقع هو صحاح الإبل التي تدنو من الإبل الجربى فيصيبها الجرب بالعدوى.

والنتيجة أن التشبيه في هذا البيت يوضِّح معناه، ويُجلّيه بالتصوير. وهذا الوضوح يجعل المعنى أوقع في النفس وأرسخ فيها. وهذه هي فائدة التشبيه التوضيحي إلى جانب جدواه الفني الجمالي التي يكتسبها المعنى.

٥ – قال المرزوقي في شرح بيت يزيد بن حِمَّان السَّكُونِي: [بسيط]

ومن تَكَرُّمِهِمْ في المحْلِ أنهُمُ لا يعلمُ الجارُ فيهمْ أنهُ الجارُ
حتى يكونَ عزيزًا من نُفوسِهِمُ أو أنْ يَبِيَنَ جميعًا وهو مُختارُ
كأنَّهُ صَدَعٌ في رأسِ شاهِقةٍ من دُونِهِ لِعِتاقِ الطَّيْرِ أوكارُ

(1) شرح ديوان الحماسة (١/ ٤٠٨) .

إن التشبيه في هذه الصورة الشعرية الواردة في الأبيات جرى على شكل تمثيل حال بحال. ونعني تمثيل منعة الجار، وتعززَه عند جيرانه الأقوياء، بتَحَصُّن الوعل من الصيادين في قمة جبل شاهقة. وهذا هو مؤدى قول المرزوقي بعد شرح معنى البيت الثالث: «فالتشبيه تناول ما ذكرت من التمنع والتحصن»[1]. وهو يعني بذلك تمثيل حال الجار المتمنِّع عند جيرانه بحال الوعل المتحصن بقمة الجبل كما ذكرنا.

٦– وقال في قول حُسَيْل بن سَجيح: [الطويل]

وأرْهَبْتُ أُولى القوم حتى تَنَهْنَهُوا كما ذُدْتَ يومَ الوِردِ هِيمًا خَوامِسَا

«يقول: خوفتُ أوائلهم حتى كفوا وتنكسوا، كما تكف إبلا عطاشًا وردت لخمس. فازدحمت على الماء يوم الورود... وهذا التشبيه من باب التصوير»[2].

ولقد أصاب المرزوقي حين قال إن التشبيه جاء تصويرًا في هذا البيت، فقد تصدى الشاعر المحارب لأوائل المهاجمين من الأعداء حتى ردهم على أعقابهم. فبيَّن هذا المعنى في صورة ذياد الإبل العطاش عن حوض الماء لكيلا تزدحم. وهي صورة استقاها الشاعر مما يراه في بيئته عند ورود الإبل للماء.

٢– الاستعارة:

يسير المرزوقي في الاستعارة على المنوال نفسه الذي اتبعه في شرح التشبيه، ويعنى بها كل العناية. فهو يشرح الاستعارة لتوضيح وبيان معنى الصورة الشعرية.

والاستعارة أبلغ من الحقيقة، لأنها تعبير تصويري، ونعني أنها تعبر عن المعنى في صورة تتشكل في ذهن القارئ المتلقي، فتكون لذلك أوقع في نفسه، وأعمق تأثيرًا فيها، لأن الصورة أبين وأظهر. وكأن القارئ يشاهد المعنى ويعاينه.

(1) شرح ديوان الحماسة (١/ ٣٠١– ٣٠٣) .

(2) المصدر نفسه (٢/ ٥٦٩) .

والمشاهدة أدعى وأبلغ في الإدراك. وهذا هو فضل الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة، أي: «أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعل في الحقيقة»[١]. كما قال أبو هلال العسكري. وقال في المعنى نفسه: «والاستعارة أبلغ، لأنها إخراج ما لا يرى إلى ما يرى»[٢].

١ – ونمثِّل لذلك بقول تأبط شرًا: [المديد]

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلى هُذيْلٍ وتَرى الذئبَ لها يَسْتَهِلُّ
وعِتاقُ الطيْرِ تَهْفُو بِطانًا تَتَخَطّاهُمْ فما تَسْتَقِلُّ

«استعار الضحك للضبع، والاستهلال للذئب. وأصل التهلل والاستهلال في الفرح والصياح. والمراد رغد العيش لهما»[٣].

ومراد الشاعر أنهم قد أوقعوا في قبيلة هذيل وقعة عظيمة، حتى كثرت فيهم القتلى، فعبَّر عن هذا المعنى المراد بفرح الضبع والذئب بجثث القتلى، فاستعار للضبع الضحك، وللذئب الاستهلال وهو الصياح عند الفرح.

٢ – وقال أبو صخر الهذلي[٤]: [الوافر]

رأيتُ فضيلة القرشِيَّ لما رأيتُ الخيلَ تُشْجَرُ بالرِّماحِ
ورَنَّقتِ المنيَّةُ فهي ظلٌّ على الأبطالِ دانيةُ الجناحِ

في البيت الثاني استعارة انتبه إليها المرزوقي، وشرحها مع بيان وجوه تركيبها. ولكن العجيب في الأمر أنه لم يصرِّح في أن في البيت استعارة.

والحق أن الاستعارة هنا غنية التركيب كما بيَّن المرزوقي في شرحه. وهي

(1) كتاب الصناعتين(٢٧٥) .
(2) المصدر نفسه (٢٧٧) .
(3) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٨٣٧). وانظر كذلك: (٢/ ٥١٩، ٥٢١، ٦٧٥) .
(4) المصدر نفسه (١/ ٣٢٧– ٣٢٨) .

ذات أبعاد وأجزاء عديدة. يتجمع بعضها إلى بعض، وتتآلف فيما بينها وتؤلف صورة شعرية واحدة قوية الدلالة والإيحاء.

أ – فالاستعارة تبدأ بقول الشاعر «ورنقت المنية»، أي برزت المنية في صورة طائر الموت، وهو يحلق فوق الأبطال في ساحة القتال. وهذا تصوير لشدة القتال والتحام الأبطال.

ب – وتتسع الاستعارة بقول الشاعر «فهي ظل على الأبطال»، أي أن المنية – الطائر لها ظل واسع يمتد ويظلل الأبطال جميعًا. وهذا تصوير لكثرة القتلى في هذه الحرب وشمول البلاء كل المحاربين.

ج – ويؤكد الشاعر الاستعارة ويقويها بقوله «دانية الجناح» فتبلغ ذروة الإيحاء بالموت.

فالصورة الاستعارية بوجوه تركيبها وكل أجزائها تدل على شدة الحرب وشمول البلاء، وتوحي بتحليق الموت فوق رؤوس الأبطال. وقد أشار المرزوقي إلى كل ذلك حين شرح المعاني دون تصريح بالاستعارة.

وكل ما قاله العمري في هذه الاستعارة: «فإنه كما قال المرزوقي (جعل للمنية ظلاً تحقيقًا للاستعارة من الطائر لأنه يُوقع ظله في تلك الحالة...)»[1]. لا يعدو كونَه إشارة عابرة للاستعارة، من غير تحليل لعناصرها التصويرية، ولا بيان لدلالتها الرمزية، وهي: «شدة الحرب وشمول البلاء» كما قلنا.

٣ – وقال سعد بن ناشب: [الطويل]

فإنَّا، إذا ما الحربُ ألقتْ قِناعَها بها حينَ يَجْفُوها بَنُوها، لأبْرارُ

الاستعارة في هذا البيت «الحرب ألقت قناعها». وقد أشار إليها

(1) شروح الشعر الجاهلي (٢/ ١٩٨) .

المرزوقي بقوله: «وقوله: (ألقت قناعها) مثل»[1]. ومثل بمعنى تمثيل، أي تصوير. وهو يريد بذلك الاستعارة. وقد شرح المرزوقي الصورة الاستعارية هنا فأحسن شرحها. يريد أن مثل هذه الاستعارة «مشهور في عاداتهم وطرائقهم» يعني عادات الشعراء وطرائقهم في أشعارهم.

٤ – قول أبي الغول الطهوي في الفخر بشجاعة قومه: [الوافر]

ولا تَبْلى بَسالتُهُمْ وإنْ هُمْ صَلُوا بالحَربِ حينًا بعد حينِ

والاستعارة في قوله: «ولا تبلى بسالتهم». وقد شرحها المرزوقي فقال: «يقال: بلي الثوب، يبلى بلى وبلاء. ويستعار فيقال: لبست فلانًا وبليته، إذا استمتعت به وتمليته. وإنما يصفهم بالاستمرار على حالة واحدة في مزاولة الحرب، وأن شجاعتهم لا تنقص، ولا تبلى عند امتداد الشر، واتصال البلاء»[2].

وهذا شرح واضح للصورة الاستعارية، يفيد في بيان معنى البيت. ويزيد في قوة هذه الصورة قول الشاعر «صلوا بالحرب»، وهو تعميق لمعنى الاستعارة، إذ جعل الشاعر الحرب نارًا يصلى بها الفرسان المحاربون.

* * *

هناك مسألة أثارت انتباهي حين استعراض جملة من الاستعارات في أقوال الشعراء. وهي أن المرزوقي يهمل أحيانًا ذكر الاستعارات فيها. بل يمر بها مر الكرام، من غير عناية أو اهتمام، ومن غير شرح ولا تحليل. مثال ذلك قول الشاعر:

ساقَيْتُهُ كأسَ الرَّدَى بأسِنَّةٍ دُلُقٍ مُؤَلَّلةِ الشِّفارِ حِدادِ

(1) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٦٦٩) .

(2) المصدر نفسه (١/ ٤١) .

في هذا البيت استعارة في قول الشاعر «كأس الردى»[١]. وهي استعارة بارزة للعيان، وظاهرة غير خافية. وقد مر بها المرزوقي مر الكرام من غير إشارة أو تلميح. ولم يكلف نفسه عناء شرح الصورة فيها وبيانها.

وأمثال هذا الصنيع كثيرة في الكتاب. منها إهماله ذكر الاستعارة في قول القَتّال الكلابي:

قرى الهَمَّ، إذْ ضافَ، الزَّماعَ، فأصبحتْ منازِلُهُ تَعْتَسُّ فيها الثَّعالِبُ

والاستعارة هنا في قول الشاعر «قرى الهم، إذ ضاف الزماع»[٢]، ولم يشر إليها المرزوقي كما لم يعمد إلى شرحها.

ويشبه هذا المثال قول الشاعر خلف بن خَلِيفة: [الطويل]

وبالدَّيْرِ أشْجانِي، وكَمْ مِنْ شَجٍ لهُ دُوَينَ المصَلَّى بالبِقيع شُجُونُ

رُبِيَ حولها أمثالُها، إنْ أتَيتَهَا قَرَينَكَ أشْجانًا، وهُنَّ سُكُونُ

والاستعارة هنا في قول الشاعر «قرينك أشجانًا»[٣].ولم يشرحها المرزوقي.

ويبدو لنا أن تعليل هذه المسألة أي إعراض المرزوقي عن الإشارة إلى أمثال هذه الاستعارات وامتناعه عن شرحها، هو وضوحها وضعف جانب التصوير فيها. وكأنه قد أدرك أن تحليلها لن يفيد كثيرًا في إدراك معاني الأشعار التي وردت فيها.

٣ – الكناية:

إن الكناية أبلغ من الإفصاح المباشر للمعاني. قال عبد القاهر الجرجاني: « قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح،

(1) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٦٧٣) .

(2) المصدر نفسه (٢/ ٦٥٢) .

(3) المصدر نفسه (٢/ ٨٨٩) .

وأن للاستعارة مزية وفضلاً، وأن المجاز أبدًا أبلغ من الحقيقة»[1]. وفاعلية الكناية البلاغية تأتي من كونها نمطًا من أنماط التصوير البياني. وتتجلى جدواها في توضيح معاني الشعر وتقويتها وتجميلها، وتحسين وقعها في النفوس في نتيجة هذا الوضوح وهذا الجمال. وقد اهتدى المرزوقي لهذه العبقرية الكامنة في التعبير الكنائي الأدبي فأولاها عناية فائقة في شرح معاني الأشعار.

١ – قال عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثي، ويقال إنه للسموءل ابن عاديا اليهودي: [الطويل]

إذا المرءُ لمْ يَدْنَسْ منَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ فكلُّ رِداءٍ يَرتَدِيهِ جَميلُ

والكناية هاهنا ظاهرة في الشطر الثاني من البيت. وقد فطن المرزوقي لهذه الصورة الكنائية فقال في شرح معناها الظاهري: «فأي ملبس لبسه بعد ذلك كان حسنًا».ثم عمد إلى شرح الصورة فقال: «وذكر الرداء هاهنا مستعار. وقد قيل: رداه الله رداء عمله. فجعله كناية عن مكافأة العبد بما يعمله، أو تشهيره به، كما جعله هذا الشاعر كناية عن الفعل نفسه. وتحقيقه: فأي عمل عمله بعد تجنب اللؤم كان حسنًا»[2].

والحق أن الشاعر لم يقصد في كلامه المعنى الحقيقي للرداء. وإنما كنى به عن أعمال الرجل الكريم، السليم العرض، البعيد عن اللؤم. وقد زانت الصورة الكنائية هاهنا قول الشاعر، وجاءت بالمعنى الذي قصده في حلة جميلة، أبهى من المعنى المباشر لو قال: « فأي ملبس لبسه بعد ذلك كان حسنًا جميلاً». كما أفاد المرزوقي في شرح المعنى الظاهري لقول الشاعر.

وهذا الذي بيَّناه من دلالة الصورة الكنائية على معنى وراء المعنى المباشر

(1) دلائل الإعجاز (١٠٨) .

(2) شرح ديوان الحماسة (١/ ١١٠) .

الظاهري للكلام بيَّنه عبد القاهر الجرجاني، وسمّاه **معنى المعنى**. فقال في معرض كلامه على الكناية وأثرها في جمال الكلام وبلاغته: وإذ قد عرفت هذه الجملة فهاهنا عبارة مختصرة. وهي أن تقول: **المعنى، ومعنى المعنى**. تعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة. وبمعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر. وإذ قد عرفت ذلك، فإذا رأيتهم يجعلون الألفاظ زينة للمعاني وحلية عليها، أو يجعلون المعاني كالجواري، والألفاظ كالمعارض لها، وكالوشي المحبر، واللباس الفاخر، والكسوة الرائقة، إلى أشباه ذلك مما يفخمون به أمر اللفظ. ويجعلون المعنى ينبل به ويشرف. فاعلم أنهم يضعون كلامًا قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه، من طريق معنى المعنى. فكنَّى، وعرَّض، ومثَّل واستعار. ثم أحسن في ذلك كله، وأصاب، ووضع كل شيء منه في موضعه، وأصاب به شاكلته. وعمد فيما كنَّى به، وشبه، ومثل، لما حسن مأخذه، ودق مسلكه، ولطفت إشارته. وأن المعرض وما في معناه، ليس هو اللفظ المنطوق به، ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني. كمعنى قوله: [وافر]

... ... فإنِّي جَبانُ الكلبِ، مَهْزُولُ الفَصيلِ

الذي هو دليل على أنه مضياف»[1].

٢ – قال القتّال الكلابي: [الطويل]

فلما رأيت أنهُ غيرُ مُنْتَهٍ أمَلْتُ له كَفِّي بلدنٍ مُقوَّمِ

ونرى الكناية هاهنا في الشطر الثاني من البيت وقد أشار إليها المرزوقي

(1) دلائل الإعجاز (٢٥٨– ٢٥٩) . وتمام هذا البيت الذي استشهد به:

وما يك فيَّ من عيب فإني

وهو مما أنشده أبو تمام في ديوان الحماسة (٥٤٠) .

بقوله: «وقوله: (أملت له) أي من أجله. (كفي بلدن) من فصيح الكلام وبليغ الكنايات»[1]. وأبدى إعجابه ببلاغة هذه الكناية. ولكنه وقف عن شرحها وبيان سر بلاغتها.

والحق أن الكناية هنا بليغة جميلة. وسر بلاغتها وجمالها آت من كونها صورة لمعنى الفعل الذي أراده الشاعر وهو فعل الطعن بالرمح. والصورة تجعل المتلقي يدرك المعنى بالمشاهدة وتصور الحركة. وقد جاءت الصورة الكنائية في جزأين اثنين:

أولهما: «أملتُ له كفي». وهو تصوير لحركة الطعن.

والجزء الثاني: «بلدن مقوم» أي الرمح.

وقد حذف الشاعر الاسم الموصوف، وأقام مقامه صفة (لدن) وهي تفيد اللين وحركة الاهتزاز. وصفة (مقوم) وهي تفيد حسن تقويم الرمح. وقد أفاد الجزء الثاني من الصورة معنى قوة الطعنة. وهكذا اشترك الجزءان في تشكيل صورة متكاملة قوية للمعنى الذي أراده الشاعر وهو قوة الطعنة. ولو ترك الشاعر هذا التعبير التصويري، وعمد إلى التعبير المباشر فقال: طعنته بالرمح، لجاء هذا التعبير ضعيفًا باهتًا، بعيدًا عن البيان الشعري.

٣ – قال المرزوقي في قول عبد الله بن عنمة: [البسيط]

فازْجُرْ حِمارَكَ لا يَرْتَعْ برَوْضَتِنَا إذًا يُرَدُّ، وقيْدُ العَيْرِ مَكْروبُ

«هذا مثل»[2] أي تمثيل، بمعنى تصوير. وهو يريد الكناية في صدر البيت.

وقد شرح المرزوقي الصورة وبين أبعادها بتفصيل فقال: «والمعنى: انقبض عن التعرض لنا، والدخول في حرمتنا، ورعي سوامك روضتنا. فإنك إن لم

(1) شرح ديوان الحماسة (١/ ٢٠٢) .

(2) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٥٨٦) .

تفعل ذلك ذممت عاقبة أمرك، وعدت خاسر الصفقة، وخيم الرتعة. جعل إرسال الحمار في حماهم كناية عن التحكك بهم، والتعرض لمساءتهم. ولا حمار ثَمَّ ولا روض»[1].

وقد شملت صورة الكناية هنا البيت كله. وجاءت في صورتين اثنتين. تجلت الأولى في قول الشاعر:

فازْجُرْ حِمارَكَ لا يَرْتَعْ برَوْضَتِنَا

وقد جادت الكناية هنا بقول الشاعر (حمارك)، لأنها جاءت مناسبة للمعنى المراد وهو الزجر والذم.

وتجلت الثانية في قوله:

يُرَدُّ، وقيْدُ العَيْرِ مَكْروبُ

وقد عززت هذه الصورةُ الصورةَ الأولى، وأضافت إليها ملمحًا جديدًا في المعنى يوحي بالوعيد بالعقاب في نتيجة عدم إذعان الخصم للزجر. ومجموع الصورتين نسيج جميل لتصوير المعنى الذي أراده الشاعر في هذا السياق الشعري.

٤ – ونورد مثالاً آخر يدخل في الإطار نفسه. وهو قول أبي ثمامة: [وافر]

فجارُكَ عندَ بيتِكَ لحمُ ظبْيٍ وجاري عند بيتي لا يُرامُ

وقد شرح المرزوقي الصورة الكنائية فيه شرحًا وافيًا رائعًا فقال: «يصفهم بسوء الوفاء، وقلة المحافظة على عقد الجوار، فيقول: جارك كالصيد لمن يطلبه، وبغرض الأكل والاستباحة لمن يريده. وهذا وهو في فنائك، وغير مفارق لدارك، لضعف حشمتك وسقوط همتك، واستسخاف الناس لقدرك ووزنك. وجاري لا يطلب ولا يطمع فيه، لتحصن مكانه في فنائي، وتعززه بي، مادام

(1) المصدر نفسه (٢/ ٥٨٦– ٥٨٧) .

متمسكًا بحبلي، أو معتصمًا بحلفي. وإنما قال ذلك لأن النزاع بينهما كان بسبب جار. وإضافة اللحم إلى الظبي في نهاية الموافقة للمعنى الذي يقصده، والغرض الذي كان يرميه. وقد جاء اللحم غير مضاف إلى اسم الصيد في الكناية عن الذل والاهتضام. على هذا قولهم: هو لحم موضع، وهو لحم على وضم»[1].

ولسنا في حاجة إلى زيادة كلام على قوله[2]. وإنما نقول إن شرحه لهذين المثالين في التصوير الكنائي يعد من أبرع شرح وأجوده في بيان المعاني الكامنة وراء الصور الشعرية التي أبدعها الشعراء.

لم يجد المرزوقي في المسائل البلاغية الأخرى أشياء ذات بال في أشعار ديوان الحماسة. وذلك لقلة ورودها فيها.

١ – الطباق: نورد شرحه للطباق.

---

(1) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٥٨١– ٥٨٢). وانظر أمثلة أخرى: (١/ ١٤٢، ٣٣٩). و(٢/ ٤٨٧، ٦٣٦– ٦٣٧) .

(2) انظر تعليق الدكتور العمري، في كتابه، على مضمون الكناية عند المرزوقي قال: «وكعهدنا دائمًا بالمرزوقي، لا يقف عند العرض والسرد والتحليل الظاهري لمضمون الكناية ومقصود الشاعر. بل يربط بين هذا الفن والوسائل التقديريةالقائمة على التقويم، تلك التي ترفع من قيمة الصور الفنية التي رسمها الشعراء بوسائلهم وتعبيراتهم. يقول في تفسير قول الشاعر:

فجارك عند بيتك لحم ظبي وجاري عند بيتي لا يرام

كان الشاعر (يصفهم بسوء الوفاء، وقلة المحافظة على عقد الجوار، وقد جاء اللحم غير مضاف إلى اسم الصيد في الكناية عن الذل والاهتضام. وإضافة اللحم إلى الظبي في نهاية الموافقة للمعنى الذي يقصده، والغرض الذي كان يرميه). شروح الشعر الجاهلي (٢/ ٢٠٠) .

١ – بيت بعض شعراء بلعنبر: [بسيط]

إذًا لقامَ بنصري مَعشَرٌ خُشُنٌ عند الحفيظة إن ذو لوثةٍ لانَا

«وقد طابق الخشونة باللين فظهرت الصنعة به، وجاد البيت له، كأنه قال معشر خشنون عند الحفيظة إن كان ذوو اللوثة لينين عندها»[(١)].

لقد شرح المرزوقي الطباق ونبّه فيه القارئ المتلقي إلى الجمال الفني الذي وفره هذا الطباق في البيت. وصنيعه هذا يعين على فهم معنى الصورة الشعرية فيه فهما أوسع وأعمق. وقد زاد على الشرح فأدلى برأيه في موطن الحسن والجودة فيه.

٢ – وقال تأبط شرًّا: [الطويل]

قليلُ التشكِّي للمُهِمِّ يُصِيبُهُ كثير الهوى شَتَّى النَّوى والمسالِكِ

«وقوله: (كثير الهوى) طابق القليل بقوله كثير، من حيث اللفظ لا أنه أثبت بالأول شيئًا نزرًا فقابله بكثير. والمعنى أنه كثير الهم، مختلف الوجه والطرق. لا يوقف منه على مدى غوره في الأمور، ولا يقف به أمله على فن لا يتجاوزه إلى الفنون»[(٢)].

في هذا المثال أشار المرزوقي إلى الطباق الوارد فيه. وأبرز أنه يقوي تعبير الشاعر عن المعنى وترسيخه في ذهن القارئ المتلقي. ويظهر لنا ذلك من تفصيله لشرح هذه المطابقة.

٣ – وقال بشامة النهشليُّ: [بسيط]

إنَّا لنُرْخِصُ يومَ الرَّوْعِ أنفُسَنا ولو نُسامُ بها في الأمنِ أُغْلِينَا

«فيقول: نبتذل أنفسنا في الحروب ولا نصونها، ولو عرض علينا إذالتها

(1) شرح ديوان الحماسة (١/ ٢٧).

(2) المصدر نفسه (١/ ٩٥) .

في غيرها لامتنعنا. وفي البيت طباق بذكر الإرخاص والإغلاء، والروع والأمن في موضعين. وهو حسن جيد»[١].

أشار المرزوقي هنا إلى الطباق إشارة خاطفة وجيزة بعد شرح معنى البيت، مدليًا برأيه النقدي في استحسانه لهذا الطباق بقوله: «وهو حسن جيد». وقد أصاب في هذا الرأي النقدي، لأن الطباق سمة بلاغية تفيد في تجلية المعاني وإبرازها بالتضاد الذي يكون بين معاني الألفاظ. «وبضدها تتبين الأشياء»[٢]. كما قال المتنبي.

٢ – الجناس: لم نعثر في الجناس إلا على أمثلة قليلة معدودة، منها:

١ – شرح المرزوقي للجناس الواقع في بيت عبيد بن مَاوِيَّة: [متقارب]

فإنِّي لذُو مِرَّةٍ مُرَّةٍ إذا رَكِبَتْ حالةٌ حالها

قال: «ولم يرض بأن جعل لنفسه مِرة حتى وصفها بأنها مرة، يعني في فم ذائقها، وعند تجربة مزاولها. وهذا التجنيس حسن المورد»[٣].

شرح المرزوقي الصورة الشعرية الواردة في هذا البيت، ونبه المتلقي إلى أن هناك جناسًا حسنًا وجميلاً يجب الوقوف عنده لفهم معنى البيت فهمًا دقيقًا وعميقًا. ودليلنا على ذلك جملته المختصرة التي قالها بعد شرح الصورة الشعرية. وهي: «وهذا التجنيس حسن المورد».

٢ – ومن أمثلة الجناس قول الشاعر: [الطويل]

وأتبَعُ ليلى حيثُ سارَتْ ووَدَّعتْ، وما الناسُ إلا آلفٌ ومُوَدِّعُ

والجناس في هذا البيت واقع بين قوله: (ودعت) وقوله: (مودع). وقد أشار

(1) المصدر نفسه (١/ ١٠٥) . وانظر كذلك: (٢/ ٧٧٥) .

(2) وصدره: *وندمهم وبهم عرفنا فضله* وهو في ديوانه (بشرح الواحدي) (١/ ١٩٧).

(3) شرح ديوان الحماسة (٢/ ٦٠٥).

المرزوقي إلى ذلك فقال: ومثل ودعت ومودع يسمى التجنيس الناقص»[1].

ولم يعرج على بيان جدوى هذا التجنيس البلاغي وأثره في توضيح معنى البيت أو تحسينه. والحق أن الجناس مهاد إيقاعي صوتي منغوم، ينشأ من نغم تكرار الحروف. وهو بذلك يزين المعنى في السياق الشعري ويحسن وقعه في نفس المتلقي.

٣ – ومن أمثلته القليلة قول الشاعر: [الطويل]

شَيَّبَ أيامُ الفراق مفارِقِي وأنشزْن نفسي فوقَ حيثُ تكونُ

وقد لانَ أيامُ اللِّوى، ثم لم يَكَدْ من العيش شيءٌ بَعدَهُنَّ يَلِينُ

هناك جناس في البيت الأول في قول الشاعر: (الفراق مفارقي). وقد شرح المرزوقي معنى البيت شرحًا وافيًا جميلاً. ثم أشار إلى الجناس: «وقوله: (أيام الفراق مفارقي) يسمى التجنيس الناقص»[2]. واكتفى بهذه الإشارة العابرة ولم يعقب عليها بقول آخر، وكأنه لم ير في هذا التجنيس أي أثر في وضوح معنى البيت وتحسينه.

ونرى في البيت الثاني جناسًا آخر في قول الشاعر (لان – يلين) وقد شرح معنى البيت. ثم مضى من غير أن يعرج على هذا الجناس البتة. وكأنه لم ير فيه أية فاعلية في نسيج معنى البيت.

٣ – الالتفات:

١ – قال بعض بني جرم من طيئ: [وافر]

إخالكَ مُوعِدي ببني جُفَيْفٍ وهالةَ. إنَّني أنهاكِ هالا

في قول الشاعر (إنني أنهاك هالا) سمة بلاغية معروفة هي الالتفات كما

(1) المصدر نفسه (٣/ ١٣٣٨) .

(2) شرح ديوان الحماسة (٣/ ١٣٤٩) .

يسميها البلاغيون.

قال المرزوقي في شرح البيت وبيان الالتفات فيه: «يقول: أحسبك تهددني ببني جفيف وبهالة. ثم أقبل على هالة فقال: إني أزجرك عن التحكك بنا، ونصرة من ينابذنا. ومثل هذا الكلام يسمى التفاتًا. والعرب قد تجمع في الخطاب أو الإخبار بين عدة، ثم تقبل أو تلتفت من بينهم إلى واحد لكونه أكبرهم أو أحسنهم سماعًا لما يلقى إليه، أو أخصهم بالحال التي تنطق بالشكوى بينهم، فتفرده بكلام»[(١)].

ومؤدى كلامه أن الالتفات سمة بلاغية، لها جدوى في قوة المعنى وجماله في البيان العربي. وتتجلى هذه الجدوى في إرادة التخصيص، أي توجيه الكلام إلى الشيء ذي الشأن والأهمية بين أشياء أخرى. وقد فعل الشاعر ذلك حين أعرض عن خطاب خصمه ووجه الخطاب إلى قبيلة (هالة). وهي القبيلة الفاعلة ذات الشأن بين خصوم الشاعر، فيما يبدو. وقد أفاد هذا الالتفات تقوية المعنى إذ بيَّن الوعيد في قول الشاعر (إنني أنهاك هالا). وهذا الوعيد الذي أفاده الالتفات أكَّده الشاعر في البيت الموالي[(٢)]: [وافر]

فإلاَّ تنتّهي، يا هَالَ، عَنِّي أدَعْكِ لمنْ يُعادِينِي نكالاً

٢ – وقال المقنع الكنديُّ: [الطويل]

ولا أحْمِلُ الحِقدَ القديمَ عليهِمُ وليس رئيسُ القومِ مَنْ يَحمِلُ الحِقدَا
لهمْ جلُّ مالِي إن تتابعَ لي غِنىً وإنْ قلَّ مالِي لم أكَلِّفْهُمُ رِفدَا
وإنِّي لعبدُ الضَّيفِ مادامَ نازِلاً وما شِيمَةٌ لِي غيرَها تُشبهُ العَبدَا

أثبت لنفسه الرياسة عليهم في هذا البيت... وقوله: «(وليس رئيس

(1) المصدر نفسه (١/ ٢٤٨) .

(2) شرح ديوان الحماسة (١/ ٢٤٩) .

القوم من يحمل الحقدا) يجري مجرى الالتفات. فليتأمل الناظر في هذا الباب وفي مثل هذه الأبيات، وتصرف قائلها فيها بلا اعتساف ولا تكلف، وسلاسة ألفاظها، وصحة معانيها، فهو عفو الطبع، وصفو القرض»[1].

فالمرزوقي هنا يبيِّن مدى إعجابه باللغة الشعرية التي عبَّر بها الشاعر وسلاستها، ومدى إعجابه كذلك بجودة المعاني التي ساقها. والنتيجة أن الالتفات سمة بلاغية تفيد قوة المعنى وتأكيده.

إن هذه الأنماط البلاغية من الطباق والجناس والالتفات عناصر معروفة في الشعر العربي القديم. لكنها لا تجيء فيه إلا قليلاً بل نادرًا. فلم يكن الشعراء القدامى يتصنعون في نظم أشعارهم. فإذا جاءهم الطباق أو الجناس أو ما أشبه عفوًا صفوًا أخذوه واستخدموه من غير أن يتكلفوا الإتيان به عن قصد كما رأينا في المثالين. وإنما تكلَّف ذلك وتصنَّعه الشعراء المحدثون في العصر العباسي، ابتداء من صريع الغواني مسلم بن الوليد في القرن الثاني من الهجرة، فصاعدًا إلى أبي تمام الطائي وأضرابه من أصحاب الصنعة في القرن الثالث الهجري.

وهذا على عكس التشبيهات والاستعارات والكنايات وأنماط المجاز الأخرى التي كثرت وشاعت في الشعر القديم. والسبب في ذلك فيما نرى هو أن الشعر محل التصوير، أي الإيحاء بالتشبيه والاستعارة والكناية فلذلك كثر في أشعار الشعراء القدماء. وكلما كثر التصوير في الشعر كان أجود وأبرع. وإذا قلَّ فيه كان ضعيفًا باهتًا، قليل الماء والرُّواء.

لقد اعتمد المرزوقي في شرح أشعار ديوان الحماسة على عدة عناصر سبق الحديث عنها بتفصيل. ولم يفته الإدلاء بآراء نقدية خلال شروح الأشعار.

---

(1) المصدر السابق نفسه (٣/ ١١٨٣) .

وعند استعراضنا لهذه الآراء النقدية نرى أنه يهتم بنقد الأشعار اهتمامًا بالغًا، لا يقل عن اهتمامه بعناصر الشعر الأخرى. إلا أن أحكامه النقدية تتراوح ما بين أحكام مختصرة سريعة لا تجدي كثيرًا في فهم المعاني، وبين أحكام أخرى فيها تفصيل، وبيان يفيد في فهم المعاني وتوضيح الصور الشعرية وإظهار حسنها. والأحكام النقدية المختصرة هي الأكثر في الكتاب بالقياس إلى الأحكام الأخرى.

١ – الأحكام النقدية المختصرة:

١ – قال ابن زيابة التيمي: [سريع]

نُبِّيتُ عَمْرًا غارِزًا رأسَهُ في سِنَةٍ، يُوعِدُ أخوالهُ

قال المرزوقي: «وأراد بالسنة الغفلة. وهي ما يحدث من أوائل النوم في العين، ولم يستحكم بعد. وهذا من أحسن التشبيه، وأبلغ التعريض. والإيعاد إذا كان على ما وصف حقيق بالتهجين»(١).

لقد استحسن الشارح التشبيه في هذا البيت أي تشبيه الغفلة بسنة النوم، واكتفى بذلك، ولم يكلف نفسه شرح وجه إحسان الشاعر في تشكيل الصورة الشعرية سوى قوله بضعف أثر الإيعاد في حال الغفلة. والإيعاد في الحق يقتضي اليقظة والغضب والتوتر النفسي.

٢ – قال بعض بني فقعس: [الطويل]

فهلاَّ أعَدُّوني لمثلِي، تفاقدوا، إذ الخَصْمُ أبْزى، مائِلُ الرأس أنْكَبُ

قال المرزوقي: «وهذا تصوير لحال المقاتل إذا انتصب في وجه مقصوده. وهو أبلغ في الوصف من كل تشبيه. ومثله قول الآخر:

جاؤُوا بمَذْقٍ، هل رأيتَ الذئبَ قطْ؟

(1) شرح ديوان الحماسة (١/ ١٤٢) .

ألا ترى أنه صور لون المذق لما قال: هل رأيت الذئب قط؟»[1].

نفهم من هذا الكلام أن المرزوقي معجب بالصورة الشعرية لدى الشاعر الأول في تصويره لحال المقاتل:

إذ الخَصْمُ أبْزى، مائِلُ الرأس أنْكَبُ

وقد أبدى إعجابه بقوله: «وهو أبلغ في الوصف من كل تشبيه». من غير أن يعمد إلى بيان وجه البلاغة في هذه الصورة وتحليل عناصرها. والحق أن الصورة الشعرية بليغة، شكَّلها الشاعر بألفاظ اللغة الموحية فحسب، من غير تشبيه أو استعارة. وهو معجب كذلك بالصورة في قول الشاعر الآخر:

هل رأيتَ الذئبَ قطْ ؟

من غير إظهار سبب هذا الإعجاب .

٣ – قول الشاعر: [كامل]

يا زِمْلُ إنِّي، إنْ تكنْ لِيَ حاديًا، أعْكِرْ عليكَ، وإنْ تَرُعْ لا تَسبِقِ

قال المرزوقي: «والمعنى: إني أدركك على كل حال. وقد أحسن النابغة في قوله: [الطويل]

فإنكَ كالليلِ الذي هو مُدْرِكِي وإن خِلْتُ أنَّ المُنْتأى عنكَ واسعُ»[2]

لقد شرح المرزوقي معنى بيت الشاعر الحماسي. ولم يقل شيئًا يتعلق بنقده. وإنما استحسن قول النابغة الذبياني في المعنى نفسه، وهو يصور خوفه من صولة النعمان بن المنذر ملك الحيرة، حين غضب عليه لذهابه إلى الغسانيين، وهم أعداء الملك النعمان. لكن الشارح وقف عند الاستحسان

(1) المصدر السابق نفسه (١/ ٢١٤). والرجز في الكامل (٢/ ١٠٥٤). وقال فيه المبرد: «والعرب تختصر التشبيه. وربما أومأت إليه إيماء» .

(2) شرح ديوان الحماسة (١/ ٣٨٥). وبيت النابغة في ديوانه (٣٨) .

فحسب، دون تحليل للصورة الشعرية في البيت.

والحق أن الصورة بليغة رائعة في هذا البيت، مثقلة بالإيحاء إلى معنى الخوف الذي يشعر به الشاعر. فهي تنطوي على كل معاني الخوف والرهبة والتوجس في نفس الشاعر من جهة، وعلى كل دلائل القوة والسطوة لدى الملك النعمان أخرى. وتنبثق هذه المعاني من صورة الليل البهيم الذي يدرك كل شيء في الكون، ويغشيه بالظلام الذي يثير الرهبة في نفس الخائف المتوجس مثل النابغة الذيباني في حال خوفه.

وشتان ما بين هذه الصورة البليغة التي أبدعها النابغة وبين الصورة الضعيفة الباهتة التي عبر عنها الشاعر الحماسي. ونرى أن هذا هو الدافع الأساسي الذي جعل المرزوقي يستحسن قول النابغة، ولا يقول شيئًا عن البيت الحماسي، مما يدل على معرفته بضعفه وخلوه من أي تصوير بلاغي.

إن هذه الأحكام النقدية المختصرة التي رأيناها، ولها أمثال كثيرة في الكتاب[1]، لا تفيد شيئًا في شرح معاني الأشعار. فهي ليست ذات جدوى في هذا المجال، سوى الإشارة إلى موضع إحسان الشاعر. وقد يكون في هذه الإشارة تنبيه للمتلقي لكي يتأمل نصوص الشعر ويحاول معرفة عناصر الحسن والجمال فيه.

٢ – الأحكام النقدية المفصلة:

إن الأحكام النقدية في هذا القسم هي أجدى وأثرى عند المرزوقي. وهي على العكس من الأحكام المختصرة ذات فائدة جلى في شرح معاني الشعر وكشف عناصر الجمال الفني في الصور الشعرية. فنحن نجد أنفسنا حين النظر في هذه الأحكام النقدية إزاء دراسة عملية ذات جدوى في مجال

(1) انظر أمثلة أخرى ١/ ١٠٧–١٠٨، ١٥٤–١٥٥، ١٨٣– ١٨٤، ٤٠٣، ٤٣٦–٤٣٧.

النقد الأدبي. وذلك لأنها تستنبط الأحكام من التعمق في النظر في نصوص الشعر حين شرحها وتحليلها. ونعني أن هذه الأحكام تكون نقدًا تفسيريًا، يقوم في أساسه على تفسير النصوص وبيان بلاغتها وجودتها. قال عبد القاهر الجرجاني في هذا الشأن: «وجملة ما أردت أن أبينه لك أنه لابد لكل كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك **ذلك** جهة معلومة، وعلة معقولة وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك **دليل**»(١).

وغني عن القول بأن الناقد التفسيري ينبغي له أن يكون ذا ثقافة واسعة وذوق فني رفيع وخبرة عميقة في تحليل النصوص وتشريحها حين الشرح والتفسير النقدي. قال الدكتور محمد مندور في بيان أهمية ثقافة الناقد وخبرته: «ولا يحسبن أحد أن الاتجاه التفسيري في النقد أقل مشقة من الاتجاه التقييمي والتوجيهي. ذلك لأنه إذا كان التقييم والتوجيه يحتاجان إلى التمتع بحاسة جمالية مرهفة، أو إلى الإيمان بقيم إنسانية واجتماعية معينة، فإن الاتجاه التفسيري يحتاج إلى ثقافة وخبرة بالغة»(٢).

وفي رأينا أن هذه الثقافة وهذه الخبرة تخلقان من شراح الشعر أمثال المرزوقي نقادًا أكفياء يخرج المتلقي من الاطلاع على شروحهم بفائدة جلى وثقافة أدبية رصينة واسعة.

١ – قال أبو كبير الهذلي: [كامل]

ولقد سَرَيْتُ على الظَّلام بِمِغْشَمٍ جَلْد من الفتيانِ غير مُثقَّل

قال المرزوقي: «يقال: سرى يسري سري، وأسرى إسراء بمعنى، وهو سير

(1) دلائل الإعجاز (٨٩) .

(2) النقد والنقاد المعاصرون (٢٠٩) .

الليل... فإن قال قائل: إذا كان السرى لا يكون إلا ليلاً فلم قال: على الظلام، ولم جاء في القرآن: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ [الإسراء:١]، و﴿فَأَسْرِ بِعِبادِي لَيْلاً﴾ [الدخان:٢٣]؟ قلت: المراد توسط الليل والدخول في معظمه. تقول: جاء فلان البارحة بليل، أي في معظم ظلمته وتمكن ذلك الوقت من ليلته»[١].

إن هذا الكلام شرح نقدي دقيق للصورة الشعرية. وقول الشاعر (على الظلام) ليس حشوًا أو زيادة في الكلام، بل يفيد توسيع أفق المعنى، وتلوينه بلون خاص يوفر له القوة كما يرى المرزوقي. وجدواه عون المتلقي على حسن إدراك المعنى، وتذوق جمال الشعر.

٢ – قال سبرة بن عمرو الفقعسي: [الطويل]

ونِسْوَتُكُمْ في الرَّوعِ بادٍ وُجوهُها يُخَلْنَ إماءً، والإماءُ حَرائِرُ

قال المرزوقي: «والمراد: ونساؤكم تشبهن بالإماء، مخافة السباء». ثم تابع الكلام في النقد: «ولو قال: يُخَلْنَ إماءً وهنَّ حَرائِرُ

لكان مأخذ الكلام أقرب. لكنه عدل إلى: (والإماء حرائر) ليكون الذكر به أفخم، والاقتصاص أشنع وأعظم»[٢].

لقد أتى في هذا المثال بكلام نقدي بيَّن فيه أن الشاعر قد عدل عن قرب مأخذ الكلام، أي الاستعمال المألوف في الكلام «وهن حرائر» إلى تركيب آخر له «والإماء حرائر». وقد قصد الشاعر بهذا العدول إلى تقوية المعنى المقصود، لأن ذكر الإماء في هذا التركيب يزيد في شناعة المعنى وتفخيمه. وجدوى هذا النقد هو تنبيه المتلقي إلى هذا المغزى الدقيق الذي أراده الشاعر.

(1) شرح ديوان الحماسة (١/ ٨٤– ٨٥) .

(2) المصدر نفسه (١/ ٢٣٧– ٢٣٨) .

٣ – قال قيْسُ بنُ الخَطيم الأوسي: [الطويل]

إذا ما شَرِبْتُ أرْبعًا خطَّ مِئْزَرِي وأتْبَعْتُ دلوي في السَّماحِ رِشاءَهَا

قال المرزوقي في شرح معنى البيت: «يقول: إذا شربتَ أربع أكؤس جررت مئزري، فأثر في الأرض خيلاء وكبرا. وتممت ما بقي علي من السماح في حال الصحو، كأن معظمه فَعَله صاحيا، والباقي منه تممه في حال السكر»[1]. وتابع كلامه في النقد: «وهذا أجود من قول عنترة العبسي، وإن كان مفضلاً عند كثير من الناس على قول عمرو بن كلثوم. وقول عنترة: [كامل]

وإذا انْتَشَيْتُ فإنَّني مُسْتهلِكٌ مالِي، وعرضي وافرٌ لم يُكْلَمِ

وإذا صَحَوْتُ فما أقصِّرُ عن نَدىً وكما عَلِمتِ شمائِلي وتَكرُّمِي

وبيت عمرو: [وافر]

مُشَعْشَعَة كأنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماءُ خالطَهَا سَخِينَا

لأن هذا قال: إنا نتسخى إذا شربنا الخمر ممزوجة. وما قاله عنترة في بيتين أشار إليه قيس في مصراع»[2].

إن المرزوقي يوازن بين أقوال هؤلاء الشعراء الثلاثة في المعنى نفسه الذي طرقوه. ويفضل قول قيس بن الخطيم الأوسي. ويعلل هذا التفضيل بقوله عن بيت عمرو: «لأن هذا قال: إنا نتسخى إذا شربنا الخمر ممزوجة» وهذا يعني أنه يتسخى في حال خاصة معينة، وهي حال شرب الخمر ممزوجة. ومراد المرزوقي أن قول قيس أعم وأشمل من قول عمرو، ثم قال عن عنترة: «وما قاله عنترة في

(1) شرح ديوان الحماسة (١/ ١٨٧) .

(2) المصدر نفسه (١/ ١٨٧– ١٨٨). والبيتان من قصيدة له في ديوانه (٢٠٦–٢٠٧). والبيت الأخير من معلقة عمرو بن كلثوم في شرح القصائد السبع (٣٧٢) .

بيتين أشار إليه قيس في مصراع».

ومراد المرزوقي أن قول قيس أفضلُ، لأنه أوجز إذ جاء بالمعنى في مصراع واحد، وهذا أوقع في النفس، لأن خير الكلام ما قل ودل. وهو ما أراده المرزوقي فيما نرى، أي فضيلة الإيجاز.

٤ – وقال كُثيّر: [الطويل]

وأدْنَيتِنِي حتَّى إذا ما فَتَنْتِنِي بقولٍ يُحالُ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ

تناهَيْتِ عَنِّي حينَ لا لِيَ حِيلةٌ وغادَرْتِ ما غادَرْتِ بين الجَوانِحِ

قال المرزوقي: «فإن قيل: إن كُثيِّرًا عَلمٌ في النسيب، فَلِمَ لمْ يرض بإظهار التوجع من المعاملة، والتألم من التهاجر والقطيعة، حتى اعتد على صاحبته ذنبًا، ونسب إليها خيانة ووزرا، لأن الذي وصف من افتنانها في افتتان الرجال ليس من شأن العفائف؟ قلت: إن كثيرًا لم يصف صاحبته إلا بصفة العفائف. ألم تسمع قول الآخر: [الطويل]

بَرَزْنَ عفافًا، واحتجَبْنَ تَسَتُّرًا وشِيبَ بقولِ الحقِّ منهنَّ باطِلُ

فذو الحِلْمِ مُرْتابُ، وذو الجهلِ طامعٌ، وهُنَّ عن الفحشاءِ حِيدٌ نَواكِلُ

كَواسٍ عوارٍ، صامِتاتٌ نَواطِقٌ بعَفِّ الكلامِ، باذِلاتٌ بواخِلُ

فتأمل ما قاله فإنه غاية في استقامة الطريقة، وإن هلكت نفوس، وخبلت عقول»[1].

تخيل المرزوقي إنسانًا يعترض على هذا المعنى في النسيب، ويعيب كُثيرًا فيه، وينسبه إلى الخطأ في اتهام صاحبته بالصدود عنه، وخيانة عهده، بعد الوصال والوعد الجميل بالتلاقي. ونظن أن هذا التخيل ليس إلا رأي المرزوقي في شعر كُثير للوهلة الأولى. ونظن أنه تمهل بعد ذلك

(1) شرح ديوان الحماسة (٣/ ١٣٠٢– ١٣٠٣) . أما الأبيات الثلاثة فلم أعرف قائلها.

وأعاد النظر في الشعر فرجع عن هذا الاعتراض، ورد على المعترض ردًا فنيًا، يبين جودة شعر كُثير.

وأتى هذا الرد على ثلاث مراحل:

أ – فَنَّد رأي المعترض بقوله: «إن كُثيرًا لم يصف صاحبته إلا بصفة العفائف».

وهذا يعني أن المرزوقي يرى شعر كُثير جاريًا على الطريقة المعهودة في شعر النسيب.

ب – ولم يتحبس عند هذا التفنيد. بل مضى لتقوية رأيه وإثبات صحته، فأورد نصًا آخر من شعر الغزل الجميل، يشبه في معانيه وصوره ومراميه شعر كُثير. ودعا المتلقي إلى تأمل هذا الشعر الذي جاء «غاية في استقامة الطريقة. وإن هلكت نفوس، وخبلت عقول». كما قال.

ج – ولم يكتف بكل ما قال، حتى عمد إلى دعم رأيه في جودة شعر كُثير بإعجاب الشاعر جرير به، وطربه الشديد عند سماعه، في طريق رحلته إلى الخليفة هشام بن عبد الملك في الشام. قال: «وحُدّثت عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، عن راوية كُثير قال: كنت مع جرير وهو يريد الشام، فطرب. فقال: أنشدني لأخي بني مُليح، يعني كُثيرًا، فأنشدته حتى انتهيت إلى قوله:

وأدْنَيتِني حتَّى إذا ما فَتَنْتِني

الأبيات، قال جرير: لولا أنه لا يحسن بشَيخٍ مثلي النخير، لنخرت حتى يسمع هشام على سريره»[1].

(1) شرح ديوان الحماسة (٣/ ١٣٠٣) . وانظر هذه الرواية في الأمالي لأبي علي القالي (٢/ ٢٢٦) .

* * *

وبعد فإن كتاب المرزوقي حافل بأمثال هذه النثرات النقدية الوجيزة التي أوردنا جملة منها في القسم الأول من هذا الفصل، وبأمثال النظرات النقدية التحليلية التي أوردنا جملة منها أيضًا في القسم الثاني من الفصل. ولا تكاد صفحة من صفحات كتابة تخلو من هذه النثرات أو النظرات النقدية. ويدل كل ذلك على معرفته الشاملة بشعر العرب القديم واطلاعه الواسع على معانيه وصوره، وفهمه لمواطن القوة والجودة أو الضعف الفني فيه. وهو يتمتع كذلك بالإحساس الدقيق بالطرق والمذاهب والأساليب الشعرية التي تختلف من شاعر إلى آخر. ويملك الفطنة الفنية لإيراد الشواهد المناسبة في مواضعها حين الموازنة ببين الأشعار. وقد أعانته هذه الخصال العلمية والفنية في الوصول إلى النجاح البالغ في شرح معاني الأشعار والإشارة إلى أساليبها وبيان صورها ونقدها. ويؤدي كل ذلك إلى تمكين المتلقي من فهم هذه الأشعار فهمًا صحيحًا وتذوقها تذوقًا فنيًا. وهذان هما الهدفان الأدبيان اللذان يسعى إليهما المرزوقي في شرحه وتحليلاته ونقده. ونعني أن الهدف الأول هو الفهم الصحيح، والثاني هو التذوق الأدبي. ويمكن لنا أن نجمع هذين الهدفين في تعبير جامع أوجز هو الشعور بالمتعة الفنية حين قراءة الأشعار.

إن هذه الكفاءة في النقد، والأقوال النقدية الكثيرة التي حفل بها شرحه لديوان الحماسة هي التي حدت بالدكتور علي جواد الطاهر لتأليف كتاب في موضوع النقد عند المرزوقي في هذا الكتاب سماه: (المرزوقي شارح الحماسة ناقدًا). ولم نطلع على هذا المؤلف. لكننا علمنا به من مقال كتبه الدكتور إبراهيم السامرائي بعنوان: (مع المرزوقي في مصنفاته). ونشره في مجلة العرب[1]. وقد ذكر فيه أن معظم ما قاله المرزوقي من آراء وأحكام في نقد الأشعار،

(1) مجلة العرب ج (٥-٦) . آذار، نيسان (مارس، أبريل) ١٩٩٩.

يتدرج في إطار شؤون بلاغية في الأصل، ولاسيما في علمي البيان والبديع، مثل التشبيه والاستعارة والكناية، وأشياء أخرى من البديع مثل الطباق والمقابلة والالتفات. ومؤدى قوله أن هذه الآراء والأحكام النقدية ليست من صميم النقد الأدبي. قال السامرائي في مقاله: «أقول: إن في جملة هذه المواد نظرات نقدية، نتبينها في توجه المرزوقي إلى مادته، فليس جزافًا أن ينعت المرزوقي بالناقد. ولكن أقول أيضًا: إن جملة هذه المواد تندرج في علوم البلاغة في الأصل. وجلها مواد بلاغية في علم المعاني وعلم البيان... فهل لنا أن نلغي هذه المواد العلمية الأصيلة، ونذهب إلى صفة في هذه المواد هي النقد، فنذهب لننعت المرزوقي، ونبعده عن الحيز البلاغي؟ وإني لأؤكد ما كان لدى المرزوقي في شرحه هذا من النظر النقدي»[1].

ولا يمكننا أن نبتَّ نحن في هذه المسألة الخلافية بين الدكتور علي جواد الطاهر مؤلف الكتاب الذي يظاهر المرزوقي فيما يبدو لنا، ويعتبره ناقدًا أدبيًا، وبين كاتب المقال الدكتور إبراهيم السامرائي الذي ينتقص هذا الرأي، ويعتبر المرزوقي بلاغيًا يمزج تحليلاته البلاغية بملامح من النقد الأدبي. وإنما نرى أن قصارى القول في هذا الأمر هو أن المرزوقي لم يكن ناقدًا بمعنى عالم متخصص بالنقد، يَسُن القوانين، ويضع المبادئ، ويأتي بالشواهد ليستنبط منها القواعد العامة المطلقة في النقد، مثل قدامة بن جعفر في كتابه: (نقد الشعر). وإنما كان عالمًا ضليعًا بالشعر، عارفًا بأساليبه ومعانيه وصوره وأسرار جودته وجماله الفني، كما بيَّنا آنفًا غير بعيد. وقد مكَّنه كل ذلك من نقد الأشعار في كتابه اعتمادًا على علمه الواسع بالشعر، وانطلاقًا من حسه الفني، وذوقه الأدبي. ونعني أنه كان ناقدًا ذواقة، وليس ناقدًا عالمًا يعتمد على سنن وقواعد ومبادئ

(1) المصدر نفسه (٣٣٩) .

عامة مطلقة معروفة في النقد الأدبي.

* * *

إسهامات علماء التعمية في اللسانيات العربية

د. يحيى ميرعلم

يتناول هذا البحث إسهامات أعلام التعمية في الدراسات اللغوية العربية وأثرها في تطورها، وذلك ببيان العلاقة بين التعمية واللغة، وارتباط تطور التعمية بتطور الدراسات اللغوية، والوقوف عند ما يحتاج إليه استخراج المعمّى من معارف لغوية كثيرة مثل: النحو والصرف والعروض والأصوات والمعاجم وأحكام نسج الكلمة العربية وغيرها، وأخيرًا الكشف عن أبرز إسهامات أعلام التعمية في اللسانيات العربية في مجالات عدة: كالدراسات الإحصائية للحروف، ومعرفة تواتر الحروف ومراتبها، إضافة إلى تواتر الكلمات، وكذلك استغراق قوانين الائتلاف والتنافر فيما بين الحروف، وغير ذلك من علوم لغوية كانت بعيدة الأثر في التعمية واستخراجها كالعروض والقافية، والمعاجم وغيرها.

١– العلاقة بين التعمية واللغة

تُعدّ اللغة –كما هو معلوم – مادةً لكلٍّ من التعمية واستخراج المعمّى، إذ تقوم الأولى على تحويل نص واضح إلى آخر غير مفهوم باستعمال طريقة محددة، يستطيع مَنْ يعرفها أن يفهم النص، وتقوم الثانية على عكس ذلك من تحويل النص المعمّى إلى آخر واضح. وهذه العلاقة الوثيقة بين التعمية واللغة تفسّر ارتباط تطور كلٍّ منهما بالآخر، وتفسّر كذلك حاجة كل مَنْ يعاني التعمية واستخراجها، إلى المعرفة الجيدة باللغة وعلومها وبخاصة الدراسات اللسانية النحوية والصرفية والمعجمية والعروضية والدلالية والإحصائية والصوتية،

كما تفسّر جمع عدد غير قليل من الأعلام بين علوم اللغة وعلوم التعمية، واشتراكهم في التصنيف فيهما، وشهرتهم بالتقدّم في النوعين.

لقد أوفى اهتمام العرب باللغة وعلومها على الغاية، ولا عجب في ذلك إذ كانت العربيةُ لغةً للوحي وللتنزيل الحكيم وللرسول ﷺ ولهذا الدين الحنيف، والعناية بها على أيّ صورة كانت – دراسة أو تدريسًا أو تأليفًا أو نشرًا بين المسلمين من غير العرب في أرجاء الدولة الإسلامية ممن تفيَّؤُوا ظلال هذا الدين – تُعدّ من أعظم القربات إلى الله، لما فيها من خدمة للكتاب العزيز، وصون للألسنة عن الوقوع في اللحن. ولذلك أدى اهتمام العرب بلغتهم إلى نتائج علمية مهمة في اللسانيات العربية، فقد نهضوا بدراسات صوتية هامة للحروف العربية ومخارجها وصفاتها، وأجروا دراسات كميّة وإحصائية على الحروف وتواترها وتنافرها واقترانها، وتعمقّوا في دراسة النحو والتراكيب، والصرف والأبنية، والدلالة وعلاقتها بغيرها، وسبقوا إلى وضع المعاجم اللغوية على اختلاف أنواعها ومناهج ترتيبها.

إن تقدم العرب في علوم اللسان كان من أبرز العوامل المهمة التي ساعدت العرب على إحراز قصب السبق في معالجة التعمية وحلّ المعمّى، وإرساء قواعدهما، وتدوين مصنفات مستقلة فيهما، بيد أن ثمّة عوامل أخرى كانت بعيدة الأثر في ذلك أيضًا، من مثل: نشاط حركة الترجمة من علوم الحضارات السابقة والمعاصرة إلى العربية، وتطوّر علوم الرياضيات كالجبر والمقابلة والحساب، وازدهار علوم الإدارة كالإنشاء والدواوين، وشيوع الكتابة والقراءة في الحضارة العربية الإسلامية وارتباطهما بالقرآن الكريم وعلومه، إضافةً إلى ما تعرّض إليه العالم الإسلامي من هجمات المغول في الشرق، والحملات الصليبية في الغرب[1]. على أن هذا التأثير لم يكن في اتجاه واحد، بل كان

تأثيرًا متبادلاً، فقد أسهم علماء التعمية في إغناء جوانب مهمة من الدراسات اللسانية وتطويرها، كما سيرد بيانه لاحقًا.

٢– الجمع بين علوم التعمية وعلوم العربية

تقدّمت الإشارة في صدر البحث إلى ارتباط تطوّر التعمية بتقدم الدراسات اللسانية، وأن من أظهر الأدلة على ذاك جمعَ كثير من الأعلام بين علوم العربية والتعمية واستخراجها. وقد حفلت كتب التراجم على اختلاف مناهجها بأخبار أولئك العلماء، وسنورد فيما يأتي أشهر الأعلام الذين جمعوا في الاشتغال أو التصنيف بين علوم اللغة والتعمية، مقتصرين على إيراد أسمائهم مقرونةً بتواريخ وفياتهم، وموثّقةً بالعزو إلى مصادرها[٢]:

– الخليل بن أحمد الفراهيدي: (١٠٠– ١٧٠هـ/ ٧١٨– ٧٨٦م)

نسب إليه الزبيدي في (طبقات النحويين واللغويين) [ص٥١] كتابًا في المعمّى، ولا أثر له. ونقله عنه ابن نباتة في كتابه (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) وجعله أول من وضع علم المعمّى.ثم نقله محمد بن الحنبلي عن ابن نُباتة في رسالته (شرح كنز من حاجى وعمّى في الأحاجي والمعمّى) [٣/ب– ٤/ أ] مصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية.

– ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصري:(٠٠٠– ٢٤٥هـ/ ٠٠٠– ٨٥٩م)

له كتاب (حلّ الرموز وبرء الأسقام في أصول اللغات والأقلام). ذكره الدكتور رمضان ششن في كتابه (نوادر المخطوطات في مكتبات تركيا) [٢/ ٢٧].

– سهل بن محمد بن عثمان السجستاني: (٠٠٠– ٢٤٨هـ/ ٠٠٠– ٨٦٢م)

نقل ابن النديم في (الفهرست) [ص ٩٢] عن ابن دريد أنه «كان يتبحّر في الكتب، ويُخرِج المعمّى، حاذق بذلك، دقيق النظر فيه...».

– يعقوب بن إسحاق الكندي: (٠٠٠– ٢٦٠هـ/ ٠٠٠ –٨٦٢م)

له (رسالة في استخراج المعمّى) وهي من رسائل الجزء الأول من كتاب (علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب) [١/ ٢١١- ٢٥٥].

– **محمد بن أحمد بن كيسان:** (القرن الثالث الهجري/ القرن التاسع الميلادي)

ذكر ياقوت في (معجم الأدباء) [١٧/ ١٣٧] في ترجمة سَمِيِّهِ محمد بن أحمد بن كيسان المتوفى سنة ٢٩٩هـ نقلاً عن أبي بكر الزبيدي: «وليس هذا بالقديم الذي له في العروض والمعمّى كتاب». ولم نجد هذا النقل في كتاب أبي بكر الزبيدي (طبقات النحويين واللغويين)، ولعلّه المذكور باسم كيسان [ص ١٧٨].

– **داود بن الهيثم بن إسحاق التنوخي:** (٢٢٨- ٣١٦هـ/ ٨٤٣- ٩٢٨م)

نقل ياقوت في (معجم الأدباء) [١١/ ٩٨] عن الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) أنه «كان نحويًا لغويًا حسن المعرفة بالعروض واستخراج المعمّى». ولم يخلّف شيئًا في التعمية.

– **محمد بن أحمد بن محمد بن طباطبا:** (٠٠٠- ٣٢٢هـ/ ٠٠٠- ٩٣٤م)

له (رسالة في استخراج المعمّى) وهي من رسائل الجزء الثاني من كتاب (علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب) [٢/ ٣١٢- ٣٢١].

– **محمد بن سعيد البصير الموصلي:** (القرن الرابع الهجري/ القرن العاشر الميلادي)

ترجم له ياقوت في (معجم الأدباء) [١٨/ ٢٠٣- ٢٠٤] وذكر أنه كان معاصرًا لأبي علي الفارسي المتوفى (٣٧٧هـ/ ٩٨٧م) وأنه «كان ذكيًا فهمًا.. إمامًا في استخراج المعمّى والعروض». ولم نجد مصدرًا يؤرخ لحياته بدءًا ونهاية.

– **إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب:** (نحو القرن الرابع الهجري/ نحو القرن العاشر الميلادي).

له رسالة مخطوطة تبيّن أنها في كتابه (البرهان في وجوه البيان) وهي من رسائل الجزء الثاني من كتاب (علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب) [٢/ ١٠٨- ١١٩].

– **أحمد بن عبد العزيز الشنتمري**: (كان حيًا ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م)

ذكر السيوطي في (بغية الوعاة) [١/ ٣٢٥] نقلاً عن ابن عبد الملك أنه «كان متقدمًا في العروض وفك المعمّى».

– **أسعد بن مهذّب بن مَمّاتي**: (٥٤٤– ٦٠٦هـ/ ١١٤٩– ١٢٠٩م)

له كتاب (خصائص المعرفة في المعميات) ذكره ياقوت في ترجمته في (معجم الأدباء) [٦/ ١١٨] والبغدادي في (هدية العارفين) [١/ ٢٠٥] باسم (خصائص المعروف في المعميات).

– **علي بن عَدْلان النحوي المُتَرْجِم**: (٥٨٣– ٦٦٦هـ/ ١١٨٧– ١٢٦٨م)

له كتابان:

– الأول (المؤَلَّف للملك الأشرف في حلِّ التراجم) وهي من رسائل الجزء الأول من كتاب (علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب) [١/ ٢٧٠– ٣٠٣].

– الثاني (المعْلَم) أحال عليه في رسالته الماضية [٩٨/ ب و١٠٤/ ب]. ولم تذكره مصادر ترجمته.

– **علي بن محمد بن الدُرَيْهِم**: (٧١٢– ٧٦٢هـ/ ١٣١٢– ١٣٥٩م)

له عدة مؤلفات:

– (مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز) وهي من رسائل الجزء الأول من كتاب (علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب) [١/ ٣١٩– ٣٦٠].

– (إيضاح المبْهَم في حَلّ المتَرْجَم) ذكره في مقدمة رسالته (مفتاح الكنوز) [علم التعمية ١/ ٣٢١].

– (مختصر المبْهَم في حلّ المتَرْجَم) ذكره الصفدي في (أعيان العصر) [٩٥/ ب].

– (نظم لقواعد فنِّ المتَرْجَم وضوابطه) ذكره أيضًا في مقدمة رسالته (مفتاح الكنوز) [علم التعمية ١/ ٣٢٢].

– (قصيدة في حل رموز الأقلام المكتوبة على البرابي) ذكرت في مقال (رسائل نادرة) لمحمد أحمد دهمان نُشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق [م ٥٤،

ع٢، ص ٣٦٠]. والقصيدة من رسائل المجموع رقم (١٣٩) وهو مما حوته مكتبة المرحوم أحمد تيمور باشا بالقاهرة، التي زارها الأستاذ دهمان وأثبت في المقال بعض ما اختاره من مجاميعها. ولم نُصب للقصيدة ذكرًا في أي مصدر آخر.

٣– ما تحتاج إليه علوم التعمية من الدراسات اللغوية

نص أكثر أعلام التعمية على ما يحتاج إليه مَنْ يعاني حلَّ المعمّى من صفات خاصة، ومعرفة جيدة بكثير من علوم اللغة والدراسات اللسانية، وذلك لأن استخراج المعمّى يعتمد منهجيات محددة، أساسها معرفة دوران الحروف ومراتبها في اللسان المعمّى، والعلم بقوانين الائتلاف والتنافر فيما بينها.

وأجمعُ كلامٍ في ذلك ما نصّ عليه ابنُ عَدْلان في فاتحة مقدمة رسالته (المؤَلَّف للملك الأشرف): «أما الفاتحة فإن المتَرْجَم يُستعان على حلِّه بأمور منها: الذكاء، وجلاء الخاطر، والنشاط، واللغة، والنحو، والتصاريف، والتراكيب المستعملة في اللغة وغيرها، ومعرفة العروض والقوافي، وما يكثر استعماله من الحروف ويتوسط ويقلّ، وما يتنافر ويتوافق من تراكيب الحروف، ومعرفة كلمات يكثر استعمالها ويقلّ ويتوسط ثنائية وثلاثية، ومعرفة الفواصل والتمجيدات وكثرة الرياضة بحصول التمرين والدُّرْبة..»[٣].

ويفصّل ابنُ دنينير في بيان ما يحتاج إليه المسْتخرِجُ إن كان المعمّى نثرًا أو شعرًا، فإن كان المعمّى من الكلام المنثور، احتاج المستنبِطُ – إضافةً إلى المعرفة بالحروف ودورانها ومراتبها وما يأتلف منها ويتنافر – إلى صفات خاصة، قال في كتابه (مقاصد الفصول المتَرْجمة عن حلّ الترجمة): «وينبغي للرجل الطالب لهذا العلم أن يكون ذكيًا، دقيق النظر، لطيف الحس، قوي الحدس، نقي الفكر، صائب الظن، وإن لم يكن على هذه الصفات المذكورة لم ينتفع بشيء من الطرق التي ذكرتها في الاستعانة على الاستنباط. وقد يكون من الناس مَنْ يكون أصل الترجمة بين يديه ولا يهتدي لقراءة ما عُمِّي فيها، وإذا كان كذلك فكيف يتهيأ له القدرة

على أن يعمل شيئًا كما ذكرته، أو يفهم؟»[٤].

ويستكمل ابنُ دنينير حديثه في صدر القسم الثاني من كتابه تحت عنوان (في حلّ ما عُمّي من الكلام المنظوم) فيقول: «وبعد ذلك فأقرب الدلائل على هذا العلم أن يكون المستنبِطُ عالمًا بالعروض والقوافي وعلم الشعر، بصيرًا بالكتابة، كثير الحفظ للشعر، مكَّارًا بالمعمّى، فإذا كان كذلك فلا يعسر عليه استنباطُ ما صعب منه»[٥].

ومثل ذلك ما أورده صاحب (أدب الشعراء) في مقدمة رسالته (في استخراج المعمّى من الشعر) حيث نصّ على ما ينبغي أن يكون عليه مُستخرِجُ معمى المنظوم قال: «يجب أن يكون المخرِجُ له عروضيًا، قافيًا، بصيرًا بالكتابة، شاعرًا، لطيف الحس، ألمعي الحدس، كثير الحفظ للشعر، خدّاعًا للمعمى عليه، محاملاً عليه، رزّافًا، فإذا جمع ذلك لم يتعذر عليه إخراج صعبه وسهله..»[٦]. ثم يتبع ذلك بما ينتج عنه إن نقص شيء مما سبق.

وجاء ابنُ الدُّرَيْهِم بعده فاقتصر – مما تقدم – على ضرورة معرفة اللغة، قال في رسالته (مفتاح الكنوز في إيضاح الرموز): «ولابد لمن يعاني هذا العلم من معرفة اللغة التي يروم حلّ قلمها، أو ما يُتَرْجم بلسانها وقواعدها، وما هو من الحروف أكثر وقعًا ودورانًا منها كحروف المد واللين في سائر اللغات، وكالألف في العربي، والسين في الرومي والأرمني، والنون في المغْلي..»[٧].

على أن ما تقدم بيانه ليس منبتَّ الصلة عما سبق من مصنفات التعمية، فقد سبق الكندي إلى كثير منه، غير أنه جاء مفرّقًا في رسالته أثناء حديثه عن سبل استخراج المعمّى[٨].

وبنحوه ما ذكره صاحب المقالتين (مجهول) في رسالته الأولى، حيث صدّرها ببيان ما يحتاج إليه المستخرِجُ من صفات خاصة، أكدت أهمية مراعاة الجانب النفسي في استخراج المعمّى، أوفى فيه على الغاية تفصيلاً ودقّةً، ثم تحدث بعدها عن طرق الحلّ التي تعتمد على معارف لغوية، جاءت مفرّقة عليها[٩].

وقد ظهر مما تقدم أن تعمية المنظوم أو الشعر واستخراجه كان من الأهمية بمكان لدى أكثر أعلام التعمية، ولا عجب فالشعر أحد قسمي الكلام، وهو إلى ذلك ديوان العرب، ولذلك ما وجدنا اقترانَ علم العروض والقافية بعلم التعمية لدى كثير من اللغويين والنحاة كما تقدم. والحق أن أكثر ما وقفنا عليه من مصنفات التعمية تناول المعمّى من الشعر، وطرقَ حلِّه، وما يحتاج إليه مُستخرِجُه مما تقدم بيانه ونقله، ووجدنا أمثلة ذلك في مؤلفات التعمية غير المفردة لمعمى الشعر. وأقدمهم في هذا الكنديُ الذي نصّ على ثلاثة مبادئ تستعمل في استخراجه إضافةً إلى المبادئ المستعملة في النثر وهي: معرفة القوافي، ومعرفة عدد حروف البيت وفق أوزان الشعر، ومعرفة الحروف الخُرْس (الصامتة) وما يليها من مصوتات[١٠].

وأما ابنُ عدلان فأفرد قاعدتين للأمور التي تعتمد في حلّ المعمّى من الشعر، وذلك بعد أن استوفى معالجة الكلام المنثور، أهم ما فيهما: معرفة العروض والقافية، والتشاطير والرويّ، وعدد حروف كل بحر[١١].

ومثل ذلك ما صنعه إسحاق بن وهب الكاتب، فقد تحدث عن حل المعمّى من الشعر بعد فراغه من الكلام على استخراج المعمّى من النثر، وهو في هذا لا يخرج عما تقدم[١٢].

وأما ابنُ دنينير فقد وقف القسم الثاني من كتابه على حلّ ما عُمِّي من الكلام المنظوم، وتناول جميع قضاياه بالتفصيل والشرح في ثلاثين فصلاً (ما بين ٣٦– ٦٦)[١٣]. وهذا أوسع كلام وجدناه في مصنفات التعمية غير المفردة لتعمية الشعر.

على أن أظهر دليل على خطر شأن الشعر، وارتباط علم العروض والقافية بالتعمية، كان وجودَ كثير من مصنفات التعمية، أفردها أصحابها للشعر وحده مثل رسالة أبي الحسن ابن طباطبا في استخراج المعمّى[١٤]، ورسالة استخراج المعمّى من الشعر المجردة من أدب الشعراء[١٥]. وكذلك ما نقلناه من كتاب الجرهمي ورسالته[١٦].

٤– أبرز إسهامات أعلام التعمية في اللسانيات العربية

مضت الإشارة إلى العلاقة الوثيقة بين علوم التعمية وعلوم اللغة العربية كالنحو والصرف والأصوات والعروض والمعاجم وغيرها من الدراسات اللغوية اللسانية، مثل إحصاء دوران الحروف ومراتبها، وقوانين الائتلاف والتنافر فيما بينها. ولما كان استخراج المعميات يعتمد على الدراية الجيدة بجميع ما تقدم، فقد عُني أصحاب التعمية بجوانب من الدراسات اللغوية، وأغنوها بنتائج مهمة، وأوضح ما ظهر ذلك في المجالات التالية:

أ – الدراسات الإحصائية للحروف

تعود نشأة الإحصاء اللغوي إلى الصدر الأول من العلماء الذين عُنوا بالقرآن الكريم فأحصوا حروفه وكلماته وآياته وسوره مستعينين بما رأوه مناسبًا في ضبط حسابهم آنذاك، وانتهوا إلى معرفة دوران الحروف فيه ومراتبها. وطبيعي أن تكون نتائج تلك الإحصاءات من التباين بمكان، وذلك لجملة من الأسباب لا مجال لذكرها[١٧]. أمّا ما عني به أصحاب المعاجم من حساب مَبْلَغ ما يرتفع من أبنية كلام العرب: الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية، مهملها ومستعملها، وصحيحها ومعتلها ومضاعفها، فذلك قديم مبسوط في مقدمات كثير من المعاجم وغيرها[١٨]. بيد أنه على أهميته لا يندرج فيما نحن بصدده.

غير أن ما نريده هنا هو إحصاء دوران الحروف أو تواترها في نصوص مكتوبة، ومعرفة مراتبها تبعًا لاستعمالها في النص. وهذا قد وجدناه لدى أعلام التعمية دون غيرهم، لأهمية ذلك في استخراج المعمّى إما طال النص. ولعل أول إحصاء من هذا النوع في تاريخ الدراسات الكمّيّة اللسانية على اللغة العربية كان إحصاءَ الكندي (ت ٢٦٠هـ(في رسالته في استخراج المعمّى، فقد تحدث في صدرها عن مراتب الحروف في الاستعمال، وضرورة معرفتها لاستنباط المعمّى، وأنها تختلف من لسان لآخر، ثم ذكر مراتبها وفق إحصائية قام بها بنفسه[١٩] قال: «فإذ قد أنبأنا عن ذلك فلنذكر الآن مراتب الحروف في الكثرة والقلة في اللسان العربي، فنقول:

إنّ الألف أكثر ما استعمل في اللسان العربي من الحروف، ثم ل، ثم م، ثم ه، ثم، و، ثم ي، ثم ن، ثم ر، ثم ع، ثم ف، ثم ت، ثم ب، ثم ك، جميعًا فإنهما سواء، ثم د، ثم س، ثم ق، ثم ح، ثم ج، ثم ذ، ثم ص، ثم ش، ثم ض، ثم خ، ثم ث، ثم ز، ثم ط، والغين سواء، ثم ظ.

فإذا أصبنا في سبع ورقات من العربي:

٦٠٠ ألفًا، ٤٣٧ لامًا، ٣٢٠ ميمًا، ٢٧٣ هاءً، ٢٦٢ واوًا، ٢٥٢ ياءً، ٢٢٢ نونًا، ١٥٥ راءً، ١٣١ عينًا، ١٢٢ فاءً، ١٢٠ تاءً، ١١٢ باءً، ١١٢، كافًا، ٩٢ دالاً، ٩١ سينًا، ٦٣ قافًا، ٥٧ حاءً، ٤٦ جيمًا، ٣٥ ذالاً، ٣٢ صادًا، ٢٠ خاءً، ١٧ ثاءً، ١٥ طاءً، ١٥ غينًا، وثماني ظاءات»[٢٠].

وجاء ابنُ دُنَيْنِيْر بعد أكثر من ثلاثة قرون (ت ٦٢٧هـ(فأفاد من إحصاء الكندي، وعمد إلى إجراء إحصاء للحروف في نصّ ما، فانتهى منه إلى إثبات صحة ما صنعه الكندي، قال في كتابه (مقاصد الفصول المترجمة عن حل الترجمة): «وقد اعتبرت مراتب الحروف على ما ذكره يعقوب الكندي رحمه الله، يقول: إنه عمد إلى سبعة أجلاد، فعدّ جميع مراتب الحروف منها، وذكر أنه وجد حرف الألف ستة آلاف، واللام ألفين وثلاثمئة وسبعًا وتسعين، والميم ثلاثمئة وعشرين ثم على ما ذكر. فهجس في نفسي أن أعمد إلى أوراق وأعدها وأعلم مراتب الحروف منها. فعمدت إلى ثلاث أوراق من كلام منثور مشتمل على رسائل، فعددت ألفاتها فوجدتها خمسمئة وخمسًا وسبعين ألفًا، وثلاثمئة وستين لامًا، ومئتين وخمسًا وستين ميمًا، وستين هاءً، ومئتين وخمسين واوًا، ومئتين وثلاثين ياءً، ومئتين وخمسًا وعشرين نونًا، ومئة وخمسًا وتسعين راءً، ومئة وسبعين عينًا، ومئة وخمسًا وأربعين فاءً، ومئة وخمسَ عشرة تاءً، ومئة وخمس باءات، وخمسًا وتسعين كافًا، وثمانين دالاً، وخمسًا وسبعين سينًا، وثنتين وستين قافًا، وخمسين حاءً، وثلاثًا وأربعين جيمًا، وثنتين وثلاثين ذالاً، وثمانيًا وعشرين صادًا، وسبع عشرة شينًا، وثلاث عشرة خاءً، وإحدى عشرة ثاءً، وتسع راءات، وثماني

طاءات، وسبع ظاءات، وخمسِ غينات. فعلمت صحة ما قاله يعقوب بن إسحاق رحمه الله»[٢١].

وتبعه ابنُ عدلان (ت٦٦٦هـ(الذي تحدث في القاعدة الأولى من مصنفه (المؤَلّف للملك الأشرف) عن مراتب الحروف، وجعلها ثلاثة أقسام: كثيرة ومتوسطة وقليلة، وذكر مَبْلَغ دوران كلّ حرف منها ضمن مجموعته، وذلك وفق استعماله في نص قام بإحصائه، قال:

«اعلم أن المراتب إمّا **كثيرة**، وهي سبعة يجمعها: (الموهين). فالألف إذا وقعت في كتابة ستمئة، كانت اللام أربعمئة ناقصًا أحرفًا يسيرة أو زائدًا ذلك، والميم ثلاثمئة وعشرين كذلك، والهاء مئتين وسبعين كذلك، والواو مئتين وستين كذلك، والياء مئتين وخمسين كذلك، والنون مئتين وعشرين كذلك، هذا هو الغالب، وقد تتقلب المراتب.

وإمّا **متوسطة**، وهي إحدى عشرة يجمعها: (رعفت بكدس قحج)، فالراء أولها، فإذا وقعت الراء تبعًا لما ذكرنا تكون مئة وخمسًا وخمسين ناقصًا فزائدًا، والعين مئة وثمانيًا وثلاثين كذلك، والفاء مئة واثنتين وعشرين، والتاء مئة وثماني عشرة، والباء مئة واثنتي عشرة، وكذلك الكاف، وثنتين وتسعين دالاً، وستًا وثمانين سينًا، وثلاثًا وستين قافًا، وسبعًا وخمسين حاءً، وستًا وأربعين جيمًا.

والقليلة عشرة، يجمعها بيت من الشعر، كلّ حرف منها في أول كل كلمة منه، وهو:

ظلمٌ غزا طاب زورًا ثاويا خَوْفَ ضَنىً شِبْتَ صَبًّا ذاويا

فالظاء إذا وقعت تبعًا لما ذكرنا كانت ثماني ظاءات، واثنتي عشرة غينًا، وخمس عشرة طاء، وستَ عشرة زايًا، وسبع عشرة ثاء، وعشرين خاء، وثلاثًا وعشرين ضادًا، وثمانيًا وعشرين شينًا، واثنتين وثلاثين صادًا، وخمسًا وثلاثين ذالاً»[٢٢].

وفيما يلي جدول يشتمل على دوران الحروف ومراتبها لدى كُلّ من:

الكندي وابن دُنَيْنير وابن عَدْلان، تيسيرًا للمقارنة، وجمعًا لشتات ما تفرّق آنفًا:

دوران الحروف ومراتبها لدى الكندي وابن دُنَيْنير وابن عَدْلان

	الكندي			ابن دنينير			ابن عدلان		
الحروف	مراتبها	دورانها	نسبتها	مراتبها	دورانها	نسبتها	مراتبها	دورانها	نسبتها
١	الألف	٦٠٠	١٦.٦٣	الألف	٥٧٥	١٦.٧٦	الألف	٦٠٠	١٦.٥٤
٢	اللام	٤٣٧	١٢.١١	اللام	٣٦٠	١٠.٥٠	اللام	٤٠٠	١١.٠٢
٣	الميم	٣٢٠	٨.٨٧	الميم	٢٦٥	٧.٧٣	الميم	٣٢٠	٨.٨٢
٤	الهاء	٢٧٣	٧.٥٧	الهاء	٢٦٠	٧.٥٨	الهاء	٢٧٠	٧.٤٤
٥	الواو	٢٦٢	٧.٢٦	الواو	٢٥٠	٧.٢٩	الواو	٢٦٠	٧.١٧
٦	الياء	٢٥٢	٦.٩٨	الياء	٢٣٠	٦.٧١	الياء	٢٥٠	٦.٨٩
٧	النون	٢٢١	٦.١٣	النون	٢٢٥	٦.٥٦	النون	٢٢٠	٦.٠٧
٨	الراء	١٥٥	٤.٣٠	الراء	١٩٥	٥.٦٩	الراء	١٥٥	٤.٢٧
٩	العين	١٣١	٣.٦٣	العين	١٧٠	٤.٩٦	العين	١٣٨	٣.٨٠
١٠	الفاء	٢٢	٣.٣٨	الفاء	١٤٥	٤.٢٣	الفاء	١٢٢	٣.٣٦
١١	التاء	١٢٠	٣.٣٣	التاء	١١٥	٣.٣٥	التاء	١١٨	٣.٢٥
١٢	الباء	١١٢	٣.١٠	الباء	١٠٥	٣.٠٦	الباء	١١٢	٣.٠٩
١٣	الكاف	١١٢	٣.١٠	الكاف	٠٩٥	٢.٧٧	الكاف	١١٢	٣.٠٩
١٤	الدال	٠٩٢	٢.٥٥	الدال	٠٨٠	٢.٣٣	الدال	٠٩٢	٢.٥٤
١٥	السين	٠٩١	٢.٥٢	السين	٠٧٥	٢.١٩	السين	٠٨٦	٢.٣٧
١٦	القاف	٠٦٣	١.٧٥	القاف	٠٦٢	١.٨١	القاف	٠٦٣	١.٧٤
١٧	الحاء	٠٥٧	١.٥٨	الحاء	٠٥٠	١.٤٦	الحاء	٠٥٧	١.٥٧
١٨	الجيم	٠٤٦	١.٢٧	الجيم	٠٤٣	١.٢٥	الجيم	٠٤٦	١.٢٧
١٩	الذال	٠٣٥	٠.٩٧	الذال	٠٣٢	٠.٩٣	الذال	٠٣٥	٠.٩٦
٢٠	الصاد	٠٣٢	٠.٨٩	الصاد	٠٢٨	٠.٨٢	الصاد	٠٣٢	٠.٨٨
٢١	الخاء	٠٢٠	٠.٥٥	الشين	٠١٧	٠.٥٠	الشين	٠٢٨	٠.٧٧
٢٢	الثاء	٠١٧	٠.٤٧	الخاء	٠١٣	٠.٣٨	الضاد	٠٢٣	٠.٦٣
٢٣	الطاء	٠١٥	٠.٤١	الثاء	٠١١	٠.٣٢	الخاء	٠٢٠	٠.٥٥
٢٤	الغين	٠١٥	٠.٤١	الزاي	٠٠٩	٠.٢٦	الثاء	٠١٧	٠.٤٧
٢٥	الظاء	٠٠٨	٠.٢٢	الطاء	٠٠٨	٠.٢٣	الزاي	٠١٦	٠.٤٤
٢٦	الزاي	٠٠٠	٠٠٠	الظاء	٠٠٧	٠.٢٠	الطاء	٠١٥	٠.٤١

٢٧	الشين	٠٠٠	٠٠٠	الغين	٠.١٥	٠٠٥	الغين	٠١٢	٠.٠.٣٣
٢٨	الضاد	٠٠٠	٠٠٠	الضاد	٠٠٠	٠٠٠	الظاء	٠٠٨	٠.٢٢
	المجموع	٣٦٠٨	%١٠٠	**المجموع**	٣٤٣٠	%١٠٠	**المجموع**	٣٦٢٧	%١٠٠

ب – ائتلاف الحروف وتنافرها في نسج الكلمة العربية:

سبق الأقدمون من علماء العربية إلى دراسة أحكام نسج الكلمة العربية[٢٣]، وذكروا قدرًا متفاوتًا من قوانين اقتران الحروف وتنافرها في الثنائيات، وأرجعوا علة ائتلاف الحروف أو اقترانها أو مزجها إلى تباعد مخارج الحروف، وعلة تنافر الحروف إلى قرب مخارجها[٢٤]، فالأولى تجعل التأليف حسنًا، والثانية تجعله قبيحًا أو ممتنعًا. بيد أن أعلام التعمية لم يقتصروا في مؤلفاتهم على جهود من سبقهم، بل تعمقوا في دراسة القوانين الصوتية واللسانية التي تحكم بناء أو نسج الكلمة العربية، وعُنُوا باستقصائها، على نحوٍ لم نجده عند مَنْ سبقهم، وذلك لأن استخراج المعمّى يتوقف على معرفتها إن كان النص قصيرًا، لا يسمح بدوران الحروف مرات عدة، ولا ينفع في استخراجه استعمال الحيل الكمّيّة القائمة على معرفة دوران الحروف ومراتبها، بل يحتاج إلى معرفة بالحيل الكيفية القائمة على الدراية بالقوانين الصوتية الناظمة لائتلاف الحروف وتنافرها، ولكن استعمال هذه القوانين يكون مجديًا إن كان النصّ المعمّى معروف الفواصل، أي فيه رمز للفراغ بين الكلمات، فإن كان النصّ المعمّى مُدْمَجًا لا فاصل فيه، فلا تكون هذه القوانين مجديةً في الاستخراج، لأن احتمال ورود حرفين متنافرين يكون واردًا في ثنائية حرفها الأول نهاية ثنائية، وحرفها الثاني بداية ثنائية. لذلك كان استخراج التعمية المُدْمَجَة (بلا فاصل) من أصعب أنواع التعمية البسيطة، لأن كثيرًا من منهجيات الاستخراج لا تنفع قبل معرفة الفاصل[٢٥].

ويُعَدُّ الكنديُّ أسبقَ أهل التعمية في ذلك، وأكثرهم استقصاء، فقد شرح في رسالته[٢٦] القواعد الأساسية في تحديد ما يقترن من الحروف وما لا يقترن،

فقسم الحروف إلى أصلية (١٦ حرفًا) ومتغيرة زائدة (١٢ حرفًا)؛ ثم يشرح قوانين التنافر مقصورةً على الحروف الأصلية مع السين من المتغيرة، ويستعرضها حرفًا حرفًا على الترتيب الهجائي، فيذكر مع كل حرف ما لا يقارنه من الحروف، فاجتمع له من حالات التنافر أو قوانينه (٩٤ حالة) ولا نعلم أحدًا سبقه إلى مثل ذلك. وفيما يلي خلاصة لما أورده الكندي في جدول يمثل ما لا يقترن من الحروف لديه[٢٧].

جدول يمثل ما لا يقترن من الحروف عند الكندي

الحرف	الرمز	ما لا يأتلف معه						الثنائيات – عديمة الائتلاف					
س	↔	ث	ذ	ص	ض	ظ		س ث	س ذ	س ص	س ض	س ظ	
								زذ	ص ذ	ض ذ	ط ذ	ظ ذ	س ذ
ذ	←	ش	غ					ذ ش	ذ غ				
ز	↔	ص	ظ	س				ز ص	ص ز	ز ط	ظ ز	ز س	س ز
ز	←	ش	ض					ز ش	ز ض				
ز	→	ط						ط ز					
ص	↔	ض	ط	ظ				ص ض	ض ص	ص ط	ط ص	ص ظ	ظ ص
ص	←	ج	ش					ص ج	ص ش				
ص	→	د						د ص					
ض	↔	ط	ظ	ش				ض ط	ط ض	ض ظ	ظ ض	ض ش	ش ض
ض	←	ق						ض ق					
ض	→	د						د ض					

الحرف	الرمز	ما لا يأتلف معه						الثنائيات– عديمة الائتلاف					
ظ	↔	ط	ج	د				ظ ط	ط ظ	ظ ج	ج ظ	ظ د	د ظ
ظ	←	ح	ق	ش	خ			ظ ح	ظ ق	ظ ش	ظ خ		
ج	↔	ط	غ	ق				ج ط	ج غ	ج ق			
								ط ج	غ ج	ق ج			
ح	↔	خ	ع	غ				ح خ	خ ح	ح ع	غ ح	ح غ	غ ح
خ	↔	غ						خ غ	غ خ				
خ	→	ع						ع خ					
د	←	ز	ط					د ز	د ط				
ش	→	س						س ش					
ع	↔	غ						ع غ	غ ع				
غ	→	ق						ق غ					

وجاء ابنُ دنينير (ت٦٢٧هـ(بعد أربعة قرون من الكندي فأفاد من صنيعه، وعقد فصلين في كتابه لأقسام الحروف على اختلاف أوصافها، ولما يأتلف من الحروف وما يتباين، وقسم الحروف إلى أربعة أقسام هي: ما يأتلف بالتقديم والتأخير، وما لا يأتلف لا بالتقديم ولا بالتأخير، وما يأتلف بالتقديم دون التأخير، وما يأتلف بالتأخير دون التقديم. وفصّل في قسمة الحروف إلى أصلية ومتغيرة، ثم أتبع ذلك بإيراد جدول ضمنه أقسام الحروف المتقدمة: ما يقترن وما لا يقترن، والمتغير والأصلي، والمعمل والمهمل[٢٨]. وفيما يلي خلاصة ما أورده ابن دُنَيْنير في كتابه:

جدول يمثل ما لا يأتلف من الحروف لدى ابن دُنَيْنير

س: لا تألف	ث	ذ	ز	ص	ض	ظ	بتقديم ولا تأخير	
ذ: لا تألف	ث	ز	ط	ظ	ص	ض	س	بتقديم ولا تأخير
ز: لا تألف	ث	ذ	ص	ظ	س	بتقديم ولا تأخير		
ص: لا تألف	ث	ذ	ز	ط	ظ	س	ض	بتقديم ولا تأخير
ض: لا تألف	ث	ذ	ص	ط	ظ	س	ش	بتقديم ولا تأخير
ظ: لا تألف	ث	دذ	ز	ط	ص	ض ج	س	بتقديم ولا تأخير
ح: لا تألف	خ	ع	غ					بتقديم ولا تأخير
خ: لا تألف	ح	غ	بتقديم ولا تأخير					
ج: لا تألف	ق	ط	ظ		غ		بتقديم ولا تأخير	
غ: لا تألف	ج	ح	خ		ع		بتقديم ولا تأخير	
ث: لا تألف	ذ	ز	ص	ض	ظ	س	بتقديم ولا تأخير	

وفي القرن الثامن يجيء ابنُ الدُّرَيْهِم (ت٧٦٢هـ(فيحذو حذو الكندي وابن دنينير فيستقصي في مؤلَّفه (مفتاح الكنوز في إيضاح الرموز) إيراد قوانين الاقتران والتنافر بين الثنائيات، فيورد الحروف موزعة على نوعين: ما لا يقارن بعضه بعضًا مطلقًا، يعني لا بتقديم ولا بتأخير، وما لا يقارن غيره من الحروف من جهة دون جهة، يعني بتقديم أو بتأخير. وفيما يلي خلاصة ما أورده ابن الدُّرَيْهِم في مصنفه[٢٩]:

جدول ما لا يقارن غيره من الحروف عند ابن الدُّرَيْهِم

الحرف	الرمز	ما لا يقارنه					الثنائيات الناتجة — عديمة المقارنة					
ث	↔	ذ	ز	س	ص	ض	ث ذ ذ ث	ث ز ز ث	ث س س ث	ث ص ص ث	ث ض ض ث	
ج	↔	ط	ظ	غ	ق	ك	ج ط ط ج	ج ظ ظ ج	ج غ غ ج	ج ق ق ج	ج ك ك ج	
د	↔	ظ					د ظ	ظ د				
ذ	↔	ز	ص	ض	ط	ظ	ذ ز ز ذ	ذ ص ص ذ	ذ ض ض ذ	ذ ط ط ذ	ذ ظ ظ ذ	
ز	↔	س	ص	ض	ط	ظ	زس	زص	زض	زط	زظ	
							س ز	ص ز	ض ز	ط ز	ظ ز	
س	↔	ص	ض	ظ			س ص	ص س	س ض	ض س	س ظ	ظ س
ص	↔	ض	ظ				ص ض	ض ص	ص ظ	ظ ص		
ض	↔	ظ	ش				ض ظ	ظ ض	ض ش	ش ض		
ط	↔	ظ					ط ظ	ظ ط				
ق	↔	غ	ك				ق غ	غ ق	ق ك	ك ق		
ك	↔	خ					ك خ	خ ك				
م	↔	ب	ف				م ب	ب م	م ف	ف م		
هـ	←	ح	ع	غ	خ	أ	هـ ح	هـ ع	هـ غ	هـ خ	هـ أ	

	ح أ	ح خ	ح غ	ح ع	ح ه	أ	خ	غ	ع	ه	←	ح
		ع أ	ع خ	ع غ	ع ح		أ	خ	غ	ح	←	ع
	غ أ	غ خ	غ ع	غ ح	غ ه	أ	خ	ع	ح	ه	←	غ
	خ أ	خ غ	خ ع	خ ح	خ ه	أ	غ	ع	ح	ه		خ
					ث ش					ش	←	ث
			د ط	د ص	د ز			ط	ص	ز	←	د
		ذ غ	ذ ش	ذ س	ذ ج		غ	ش	س	ج	←	ذ
			ش ص	ش س	ش ز			ص	س	ز	→	ش
					ط ك					ك	←	ط
	أخ	أ غ	أ ح	أ ع	أ ه	خ	غ	ح	ع	ه	←	أ

مقارنة بين نتائج إحصائيات التعمية والجذور العربية:

إن ما تقدّم من نتائج إحصائية لاقتران الحروف وتنافرها لدى أعلام التعمية: الكندي وابن دُنَيْنير وابن الدُّرَيْهِم إنما قام على إحصاء دوران الحروف في نصوص من الكلام المستعمل أو المكتوب، بما فيه من مجرّد ومزيد. آية ذلك أنهم أحصوا بأنفسهم دوران الحروف المستعملة في نصوص مختارة بأطوال مختلفة، تقع في بضع أوراق أو بضعة أجلاد، وأنهم قسموا الحروف إلى أصلية لا تُزاد، ومتغيّرة تكون أصلية تارةً وزوائد تارةً أخرى، وهي تتضمن حروف الزيادة (سألتمونيها) إضافةً إلى الكاف والباء والفاء والسين. لكن ثمَّة إحصائية أخرى قامت على إحصاء دوران الحروف في الجذور العربية (الأصول المجرّدة) الواردة في خمسة معاجم قديمة، هي: جمهرة اللغة، وتهذيب اللغة، والمحكم، ولسان العرب، والقاموس المحيط[٣٠]. وطبيعي أن تختلف النتائج الإحصائية للجذور على دوران الحروف ومراتبها، واقتران الثنائيات

وتنافرها، عن النتائج الإحصائية لنصوص التعمية التي اعتمدت الكلام المكتوب المستعمل مجرّدًا ومزيدًا، وأهم نتائج المقارنة بين هذين النوعين من الإحصاء اللغوي أن حالات التنافر كثيرة في إحصاء الجذور، لأن الحروف المتنافرة تتسع رقعتها كلّما ضاق تصريف الكلمة، وتجرّدت من الزوائد، في حين تتناقص الحروف المتنافرة كلّما اتّسع تصريف الكلمة، واكتنفتها الزوائد، وأحاطت بها السوابق واللواحق[٣١].

وفيما يلي جدول يتضمّن ما لا يقترن من الحروف في إحصاء الجذور العربية[٣٢]:

جدول ما لا يقارن غيره من الحروف في إحصاء الجذور العربية:

الحرف		ما لا يأتلف معه تتابعاً									
ء	←	ء	ع								
ب	←	ف									
ت	←	ظ	ذ	ص	ض	ط					
ث	←	ذ	ز	س	ص	ض	ظ	ش			
ج	←	ت	غ	ق	ظ						
ح	←	ع	غ	ه	خ						
خ	←	ء	غ	ه	ح	ك					
د	←	ت	ط	ض	ظ						
ذ	←	ت	ث	ز	س	ش	ص	ض	ظ	د	ط
ر	←	ظ									
ز	←	ث	س	ش	ص	ض	ظ	ذ			
س	←	ث	ز	ش	ص	ض	ظ				
ش	←	ض									
ص	←	ث	س	ش	ض	ظ	ذ	ز			

ض	←	ذ	س	ص	ظ	ت	ث	ش	ق		
ط	←	ت	ذ	ص	ض	ظ					
	←	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ز	س	ش
ظ	←	ص	ض	ط	غ	ق	ك				
ع	←	ء	ح	خ	غ						
غ	←	ء	ح	ج	خ	ع	ك				
ف	←	ب									
ق	←	ج	ك								
ك	←	ط	ق								
م	←	ب	ف								
ه	←	ح	خ	ظ							

٦– الخاتمة

لم تقتصر إسهامات علماء التعمية في تطور اللسانيات العربية على ما تقدّم من عناية بالغة بالدراسات الكمّيّة الإحصائية لدوران الحروف في الكلام المستعمل مجردًا ومزيدًا في نصوص مختارة، ومعرفة مراتبها، وانقسامها إلى ثلاث مجموعات: كثيرة الدوران (ا، ل، م، و، ه، ي، ن)، ومتوسطته (ر، ع، ف، ت، ب، ك، س، ق، ح، ج)، وقليلته (ظ، غ، ط، ز، ث، خ، ض، ش، ص، ذ)، ومن حرصٍ على استقصاء القوانين الصوتية الناظمة لائتلاف الثنائيات وتنافرها اعتمادًا على الإحصاءات السابقة، بل تجاوز الأمر ذلك إلى دراسات لغوية أخرى، هي من تمام عُدّة المُتَرْجِم وصولاً إلى حلّ المعمّى، وقد ذكرها بعض أعلام التعمية كابن عَدْلان وابن الدُّرَيْهِم مثل: الدراية الجيدة باللغة، وأصول الكتابة، والنحو، والتصاريف، والتراكيب المستعملة في اللغة، والعروض والقوافي،

وما يكثر استعماله ويقلّ ويتوسط، من كلمات ثنائية وثلاثية، والفواصل والتمجيدات، وأطوال الكلمات، ومبلغ نهاية المجرد من الأفعال والأسماء، ومنتهى تكرار الحرف الواحد في الكلمة الواحدة، وفي الكلام المتصل.

ولعلّ خير مثال لما تقدّم ما نجده في رسالة ابن الدُّرَيْهِم (مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز) التي اشتملت على بيان عُدَّة المترْجِم (معرفة اللغة التي يروم حلّها، وقواعدها الصرفية، وتواتر حروفها، ورسمها من حيث الفصل والوصل، وعددها، والألفبائيات والأبجديات). وبعد أن فصّل في ضروب التعمية أورد مقدّمة صرفية على غاية من الأهمية[٣٣]، دلّت على تمكّنه من ناصية اللغة، ومعرفته بأسرارها، فقد تحدّث بإسهاب عن:

أ – أطوال الكلمات: فأقلّها يكون على حرف واحد، مثل (فِ: أمر من المعتل اللفيف المفروق)، وأكثرها ينتهي إلى (١٤) حرفًا، مثل: (أَفَلِمُسْتَنْزَهاتِكُما أعْدَدْتُماها)، وأن نهاية الأسماء قبل الزيادة خمسة أحرف، ونهاية الأفعال قبل الزيادة أربعة أحرف، وأنه ليس في كلام العرب كلمة رباعية الأصل أو خماسيته ليس فيها حرف من حروف الذّلاقة (ل، ن، ر) أو الحروف الشفوية (ف، ب، م)، وأنه ليس في القرآن كلمة خماسية الأصل سوى الأعلام الأعجمية، مثل (إبراهيم).

ب – مبلغ تكرار الحرف الواحد: إذ لا يمكن أن يتكرر حرف واحد في كلمة واحدة أكثر من خمس مرات، مثل: (ما رأينا كُكَكًا كَكُكَكِكَ)، والكُكَك: جمع كُكَّة مثل: عُكَّة وعُكَك، وهي المركب الكبير. الأول للتشبيه، والآخِر للخطاب[٣٤]. وأما تكرار الحرف في الكلام المتصل فيبلغ تسع مرات، مثل:

لا تُرَدِّدْ دَدُ دَدْ دَدُ دَعْني مِنْ فَنَد

دَدُ: الأول اللعب، والثانية موضع، والثالثة اسم رجل منادى).

ج – اقتران الحروف وتنافرها: وقدمضى الحديث عنه مفصلاً مع جداوله التي تضمنت ما لا يقارن غيره من الحروف لدى كُلّ من: الكندي، وابن دُنَيْنير، وابن الدُّرَيْهِم، بما يغني عن إعادته هنا.

وقد ظهر مما مضى إسهامات أعلام التعمية في إغناء الدراسات اللغوية أو اللسانية العربية وتطورها بعامة، وفي الدراسات الكمّيّة الإحصائية للكلام المستعمل، والدراسات الصوتية للقوانين الناظمة لائتلاف الثنائيات وتنافرها بخاصة.

الحواشي

(١) تفصيل ذلك وبيانه في كتاب علم التعمية ١/ ٥٦ – ٨٧.

(٢) انظر كتاب علم التعمية ١/ ٤٩ – ٥٤.

(٣) علم التعمية ١/ ٢٧٠- ٢٧١.

(٤) علم التعمية ٢/ ٢٣٤.

(٥) علم التعمية ٢/ ٢٦٧.

(٦) علم التعمية ٢/ ٣٣٧.

(٧) علم التعمية ١/ ٣٢٢.

(٨) علم التعمية ١/ ٢١٥- ٢١٩.

(٩) علم التعمية ٢/ ٦٨- ٧١.

(١٠) علم التعمية ١/ ٢١٥- ٢١٩.

(١١) علم التعمية ٢/ ٢٩٥- ٣٠٠.

(١٢) علم التعمية ٢/ ١١٧- ١١٩.

(١٣) علم التعمية ٢/ ٢٦٧- ٢٩٠.

(١٤) علم التعمية ٢/ ٢٩٣- ٣٢١.

(١٥) علم التعمية ٢/ ٣٣٦- ٣٥٥.

(١٦) علم التعمية ٢/ ٣٨١- ٣٩٠.

(١٧) هذا الموضوع كبير، صُنِّفَت فيه كثير من المؤلفات، مازال أكثرها مخطوطًا، وللاطلاع على نتائج مثل تلك الإحصائيات يُنظر كتاب (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) ١/ ٥٥٨- ٥٥٦.

(١٨) انظر: معجم العين ١/ ٥٣ وما بعدها، وجمهرة اللغة ٣/ ٥١٣، والمزهر ١/ ٧٣- ٧٦، ورسالة الاشتقاق لأبي بكر بن السراج ص ٤٢- ٤٣ والخصائص ١/ ٥٥، وأطروحة: المعجم العربي دراسة إحصائية لدوران الحروف في الجذور العربية ص ٣٦- ٤٧. وثمَّة إحصائية للأفعال العربية بالمشاركة: أ. مروان البواب، ود. محمد مراياتي، ود. يحيى ميرعلم، ود. محمد حسان الطيان، صدرت في مكتبة المعاجم بلبنان ١٩٩٦، وكذلك هناك ثلاث دراسات إحصائية للجذور في المعاجم: الصحاح، ولسان العرب، وتاج العروس، للدكتور علي حلمي موسى، والثالث منها بالاشتراك مع د. عبد الصبور شاهين، صدرت ضمن منشورات جامعة الكويت.

(١٩) علم التعمية ١/ ٢٣٥- ٢٣٦.

(٢٠) علم التعمية ١/ ٢٣٥- ٢٣٦. وفيه تصحيح لما وقع في المخطوط من أخطاء إحصائية.

(٢١) علم التعمية ٢/ ٢٤٠- ٢٤١.

(٢٢) علم التعمية ١/ ٢٧٤- ٢٧٥.

(٢٣) مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والجاحظ وابن السراج وابن دُرَيْد والأزهري والفارابي وابن جني وابن فارس والجواليقي والشهاب الخفاجي والقلقشندي وغيرهم من المعجميين والبلاغيين. انظر تفصيل ذلك وتوثيقه وتحليله في أطروحة (تنافر الحروف ودورانها في نسج الكلمة العربية) د. محمد حسان الطيان، جامعة دمشق ١٩٨٣. وقد اعتمدت في مقارنتها بين نتائج القديم والحديث على أطروحة (المعجم العربي: دراسة إحصائية لدوران الحروف في الجذور العربية) د. يحيى مير علم، جامعة دمشق ١٩٨٣.

(٢٤) أقدم مَنْ نصّ على ذلك ابنُ السراج في رسالة الاشتقاق ص ٣٤.

(٢٥) كتاب علم التعمية ٢/ ١٥٧.

(٢٦) علم التعمية ١/ ٢٣٨- ٢٥٤.

(٢٧) علم التعمية ١/ ١٣٦.

(٢٨) علم التعمية ٢/ ٢٤٢.

(٢٩) علم التعمية ١/ ١٩١.

(٣٠) نتائج هذه الدراسة الإحصائية وجداولها وتحليلها في أطروحة (المعجم العربي: دراسة إحصائية لدوران الحروف في الجذور العربية) د. يحيى مير علم، جامعة دمشق ١٩٨٣.

(٣١) تفصيل ذلك وأمثلته في كتاب علم التعمية ٢/ ١٥٣– ١٥٤.

(٣٢) المعجم العربي: دراسة إحصائية ص ٢٠٥، وكتاب علم التعمية ٢/ ١٥١.

(٣٣) كتاب التعمية ١/ ٣٤١– ٣٤٣.

(٣٤) ليست في المعاجم، ولعلها من العاميات. ومثال ابن الدريهم في أبيات للمفشراني، وهو زجّال مصري، يقول فيها:

يا سابجًا في بُرَكِكْ وصائدًا في شَبَكِكْ

لا تَحْقِرَنَّ كُكَكيْ فَكُكَكيْ كَكُكَكِكْ

من بحث (ابن الدريهم وجهوده في علم التعمية) للدكتور محمد حسان الطيان.

* * *

المصادر والمراجع

- إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي، أ. مروان البواب، د. محمد مراياتي، د. يحيى ميرعلم، د. محمد حسان الطيان، مكتبة لبنان، بيروت، ط. أولى، ١٩٩٦.
- إحصائيات جذور لسان العرب، د. علي حلمي موسى، جامعة الكويت، ١٩٧٢.
- البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن وهب الكاتب، تحقيق د. حفني محمد شرف، مكتبة الشباب القاهرة ١٩٦٩.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزابادي تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ١٣٨٣هـ.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤.
- جمهرة اللغة، ابن دريد، دار صادر، بيروت، مصورة عن الطبعة الهندية، ١٣٥١هـ.
- الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، مصورة دار الكتب المصرية، دار الهدى، بيروت، ط. ثانية.
- دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس، د. علي حلمي موسى ود. عبد الصبور شاهين، جامعة الكويت، ١٩٧٣.
- دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس، د. علي حلمي موسى، جامعة الكويت، ١٩٧٣.
- رسالة الاشتقاق، ابن السراج، تحقيق محمد علي درويش ومصطفى الحدري، مجلة الثقافة بدمشق ١٩٧٣.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القلقشندي، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣.
- طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٣.
- علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، الجزء الأول، د. محمد مراياتي، محمد حسان الطيان، يحيى ميرعلم، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٧.

- علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، الجزء الثاني، د. محمد مراياتي، د. يحيى ميرعلم، د. محمد حسان الطيان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٧.
- الفهرست، محمد بن النديم، مطبعة الاستقامة، القاهرة.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، ط. أولى، ١٤٠٥هـ.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المعجم العربي: دراسة إحصائية صوتية مخبرية، محمد حسان الطيان، أطروحة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٨٤.
- المعجم العربي: دراسة إحصائية لدوران الحروف في الجذور العربية: يحيى ميرعلم، أطروحة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٨٣.
- المعرب من الكلام الأعجمي، الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب، ط. ثانية، القاهرة ١٩٦٩.
- نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا، رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، ط. أولى، ١٩٨٠.

المتنبي ومشكلة السّرقات الشّعرية

(دراسة في نقد المؤلفات التي تناولت سرقات المتنبي)

د. أحمد علي محمد

المقدمة

(١)

١-١: لم يمض المتنبي في التعبير عن ذاته شعريًا على سُنن مَنْ سلف من أصحاب البيان وأرباب القصيد، إذ هو لم يتحلَ أصلاً بأدبياتهم ويتبعْ أساليبهم في التواضع، بل كان يرى في نفسه من الكبر والعلو ما يجعله يتسامى على كثير من الناس بمن فيهم الملوك الوزراء والسادة في عصره، وقد روت كتب الأدب أخبارًا كثيرة تدل على أنه انفرد من بين صُنّاع الأدب بالمغالاة الشديدة، والتطرف الحاد، والتعالي الذي لا يتناهى، معتزًا بنفسه، ومعتزًا بأقواله، وقد قَبل جمهورٌ من الناس ذلك منه، معترفين له بالتفرد، غاضين الطرف عمّا كان يصدر عنه من سلوك غير محمود، غير أنَّ طائفة أخرى لم ترَ في أدبه ما يسوّغ له ذلك التطاول أو تلك المغالاة، وليس ذلك فحسب، بل إنَّ كثيرًا منهم لم يجد فيما تركه من شعر سوى صورة معادة مكرورة، لا تستوجب كلّ ذلك الرنين الذي كان يحوط شخصه وشعره في آن. من هنا انقسم الناس إزاء شخصية المتنبي وشعره قسمين: الأول يؤيد مذهبه في الشعر ويُعجب بشخصه ينافح عنه، ويرفع من مكانته، ويعدّه أبًا للشعر العربي بما أتى به من المعاني الدقاق والفِكَر الفريدة، والآخر يستنكر ما جاء به ويستثقل ما كان يدعيه، فأحصيت من قِبل نفر منهم أخطاؤه، وكُشف عَوارهُ، وأُبرزت

سقطاتُهُ، وقيدتْ هفواتُه، وتُتبعت سرقاته، ونُقدتْ معانيه، ولغتُه وأسلوبُه وصورُهُ، وعِيب عليه بعض فواتح أشعاره ومقاطعها، ولم يُترَكْ له شيء يدعوه إلى التفاخر والتعالي والتفرد، وبذلك جُرِّد عندهم من كلِّ فضيلة.

وعلى هذا النحو بدت شخصية أبي الطيب بين طرفي نقيض، فهو إلى يوم الناس هذا إما أبرز شعراء العربية، وإما مريض مدَّع ليس في شعره ما يوازي ما استوطن ذاته من الغلو والتعالي. وفي هذا البحث أردنا تسليط الضوء على ناحية محددة تتمثل بالوقوف عند ظاهرة السرقات في شعره، بعدما أحصينا عددًا من المؤلفات النقدية التي وجدت في هذا الباب طعنًا على المتنبي وتهوينًا من شأنه، وقد آثرنا طرح تساؤل فحواه: لماذا كان موضوع السرقات بالذات مثار اهتمام خصوم المتنبي؟ وكان من المناسب أن نُمعن النظر ونحن نلتمس إجابة عن هذا السؤال، في الدوافع التي كمنت وراء تأليف أهم الكتب النقدية في سرقات المتنبي كرسالة الصاحب بن عباد (ت نحو ٣٨٥هـ) في «الكشف عن مساوئ المتنبي»، و«الرسالة الموضحة في سرقات المتنبي» للحاتمي (ت نحو ٣٨٨هـ)، و«كتاب المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات المتنبي» لابن وكيع (ت٣٩٣هـ)، و«الإبانة عن سرقات المتنبي» للعميدي (ت٤٣٣هـ)، ثم النظر ثانية في إجراءات النقد التطبيقي في هذه المؤلفات، ومدى مطابقته للمنهج الذي رسمه أصحابه، وبعد ذلك ملاحظة مدى تقيُّد ذلك النقد بمصطلح السرقات، وفي الختام مقابلة ما انتهى إليه هؤلاء النقاد من آراء حول المتنبي وشعره، بآراء من كانوا من مؤيدي مذهبه أو من كانوا معتدلين على الأقل كالبديعي صاحب «الصبح المنبي عن حيثية المتنبي»، والثعالبي صاحب كتاب «المتنبي ما له وما عليه» وغيرهما، والهدف من كل ذلك هو محاولة تقييد

نتيجة في هذا البحث تدور حول حقيقة ما اتهم به المتنبي في موضوع السرقة؛ هذا من جهة، ومن جهة ثانية إبراز الدوافع التي استحكمت في رسم الجانب السلبي لشخصيته في النقد القديم، في محاولة لإعادة فهمه، أو تفهُّم الأسباب التي جعلت شخصيته إشكالية إلى هذا الحد.

٢– ١: السرقات

كان موضوع السرقات من أخطر المسائل التي خاض فيها النقد الأدبي القديم، لما لهذا الموضوع من مزالق والتواءات وملابسات وعوالق يتعذر حصرها وتبيان حدودها، والفصل فيها على نحو يكشف عن جوانب ذلك الموضوع بعيدًا عن التحامل والمواقف الشخصية والأحكام التأثيرية. ولا عجب بعد ذلك أن يكون هذا الميدان مقصورًا على جهابذة العلم وكبار نقدة الكلام، من أجل ذلك قال الجرجاني: «ولستَ تُعَدُّ من جهابذة الكلام ونقاد الشِّعر، حتى تميز بين أصنافه وأقسامه، وتحيط علمًا برتبه ومنازله، فتفصلَ بين السَّرق والغصب، وبين الإغارة والاختلاس، وتعرف الإلمام من الملاحظة، وتفرِّق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السّرق فيه، والمبتذل الذي ليس واحد أولى به من الآخر، وبين المختص الذي حازه المبتدئ، فملَكه واجتباه السابق فاقتطعه»[١].

وتتبدى خطورة ذلك الموضوع من جراء جعله بابًا للقدح والذم والنيل من الخصوم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن السرقة بحد ذاتها نقيصة تُلغي التفرد والإبداع، لهذا حاول العلماء تقييد جوانبها وحصرها في حدود لم تخفَ عن أهل العلم، إضافة لذلك فقد ميَّزوا بين طرفين للسرقة: أحدهما يكون مذمومًا، والآخر محمودًا، وقد انتبه القدماء في موضوع السرقات إلى مسألة مهمة لخَّصُوها بقولهم: إنَّ «اتِّكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز،

وتركه كل معنى سبق إليه جهل»[٢].

وهذا معناه أن تقرِّي معاني المتقدمين وتنخُّلها والإفادة منها والإضافة إليها من صناعة الشاعر، كما أنّ تمييز المعاني وتبيان جيدها من فاسدها وشريفها من مبتذلها، والحكم بالفضل للسابق إليها، والإقرار بالإحسان لمن ولد منها وأضاف إليها من صناعة الناقد. فالمعاني كما يرى نقدةُ الكلام لا تكون في رتبة واحدة، كما أنّ سرقة مخترعها وفريدها لا يوازي أخذ ساقطها ومبتذلها. لأنّ الفريد غير متاح لجميع الشعراء، في حين أنّ المبتذل مطروحٌ في الطريق يتجاذبه القاصي والداني، يقول ابن رشيق: «والسَّرق إنّما يكون في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر، لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم، ومستعملة في محاوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يُقال إنه أخذه من غيره»[٣].

لقد حدَّد المتقدمون مفهوم السرقات، وبيَّنوا الجوانب التي تستوجب اعتبار الشاعر سارقًا، وميَّزوا المعاني المعدودة في باب السّرق من المعاني المشتركة الجارية في طباع الناس، وأظهروا الفوارق بين السرقة المذمومة والمحمودة، ومع ذلك فقد بقي باب السرقات عند كثير من القدماء مجالاً للذم وسبيلاً لإذكاء نار الخصومة، ولعل المعركة النقدية التي دارت حول المتنبي وشعره لا تبعد عن هذا الجانب، إذ نجد ابن رشيق وهو يعرض موضوع السرقات في كتابه «العمدة» يهاجم ناقدَين تتبعا سرقات المتنبي، ولم يكن في واقع الحال مدافعًا عنه، غير أنّ موضوع السرقات الذي كان يعالجه استدعى ذكر من تعسف في هذا الموضوع فكان من أقرب الأمثلة لذلك الحاتمي الذي قال فيه: «وقد أتى الحاتمي بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حُققت...»[٤]، وابن وكيع الذي ذكره بقوله:

«وأما ابن وكيع فقد قدّم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح معها لأحد شعر...»[٥].

٣–١ المتنبي والسرقات

يبدو لقارئ شعر المتنبي أنَّ ثمة معنى متكررًا لديه يُولِّد عنده الشعور بالتميز وهو المعنى الفريد أو البديع المبتكر الذي اهتدى إليه وعبّر عنه بصورة مختلفة عن سائر الشعراء، ولعلّ قوله في أبي العشائر الحسين بن علي يبين طرفًا من الشعور الذي نشأ في الأصل عن قدرة نادرة في النظم يقول(٦):

شاعرُ المجدِ خِدْنُهُ شاعرُ اللَّفظِ كلانا رَبُّ المعاني الدِّقاق

إن المتنبي في هذا الشاهد يرى أنّ الفعل العبقري الفريد إنما يتجلى في لحظة شعرية في الأساس، لأنّ الشعر عنده هو أداة الإبداع ولسان العبقرية، ولا عجب بعد ذلك أن يجعل صانع الأمجاد وهو الممدوح شاعرًا شبيهًا بشاعر اللفظ يعني نفسه، فكلاهما يبدع ويبتكر وينفرد عما سواه، وهذا هو في الأصل محور شخصيته ومدار إحساسه بالعظمة، وإشارته في عجز البيت المذكور آنفًا إلى أنه رَبُّ المعاني الدّقاق يؤكد تلك النزعة عنده. وفي شاهد آخر يقول[٧]:

إنَّ هذا الشِّعرَ في الشّعر مَلكْ سار فهو الشّمسُ والدُّنيا فلكْ
عَدلَ الرحمنُ فيه بيننا فقضى باللفظِ لي والحمد لك
فإذا مرَّ بأذنيْ حاسدٍ صار مِمّن كان حيًّا فهلَكْ

وهنا تتجلى شدة اعتزازه بشعره أيضًا، حيث يُصوِّر في البيت الأخير أنّ حساده من الشعراء، وحساد ممدوحه من الرؤساء يموتون من غيظهم حالما يسمعون هذا الشعر، لأنه حاز فيه فضل الاختراع والسبق في معانٍ لم يستطع

غيره من الشعراء تدبيجها في المديح.

وهذان الشاهدان وغيرهما من الشواهد الأخرى في هذا الباب تُفضي إلى حقيقة واحدة وهي أنّ إحساسه بالتفرد قد بلغ درجة جعلته يشعر بالعظمة، وليس عجيبًا أن يحاول خصومه من النقاد تجريده من هذه الصفة وذلك بإظهار تلك المعاني مسروقة أو مستوحاة من أشعار سابقيه ومعاصريه، وكان على رأس هؤلاء من معاصريه في القرن الرابع الهجري الصاحب بن عباد، والحاتمي، وابن وكيع، وأما العميدي فمن نقاد القرن الخامس الذين أعادوا النظر في المتنبي وشعره في ضوء قضية السرقات ليظهر للناس حقيقة أبي الطيب الذي كان الشغل الشاغل للأدباء ومحبي الشعر في ذلك العصر.

(٢)

١– ٢: الصاحب بن عباد، ورسالته (الكشف عن مساوئ المتنبي)

ألَّف الصاحب بن عباد رسالته الموسومة بـ «الكشف عن مساوئ المتنبي»، محاولاً حصر تلك المساوئ بسرقاته الشعرية، وهي رسالة موجزة، ذكر في فاتحتها أنه ينتوي ذكر بعض شعر أبي الطيب الساقط فقال: «والآن أعود إلى ذكر المتنبي فأُخرج بعض الأبيات التي يستوي الريض والمرتاض في المعرفة بسقوطها دون المواضع التي تَخفى على كثير من الناس لغموضها»[٨].

والواقع أنَّ الصاحب في هذا التقديم مع أنّ كلامه يشي بشيء من نقد المعاني، على اعتباره حدَّد وجهة الرسالة باستخلاص أبيات من شعر المتنبي قال بأنها ساقطة مرذولة، فإنه انعطف إلى موضوع السّرق محددًا جهة العيب فيه، مما يشير إلى أنه قصد بالمعاني الساقطة التي تتبعها عند المتنبي بالمسروقة فذكر: «فأما السرقة فما يُعاب بها لاتفاق شعر الجاهلية والإسلام عليها،

ولكن يُعاب إن كان يأخذ من الشعراء المحدثين كالبحتري وغيره جُلّ المعاني، ثم يقول لا أعرفهم ولم أسمع بهم، ثم يُنشد أشعارهم، فيقول هذا شعر عليه أثر التوليد، ولا عجب فهذا الصولي كان كثير الرواية حَسَنَ الأدب، إلا أنّه ساقطُ الشِّعر، يقول في كتاب الخلفاء وقد حشاه بشعره: إنّما أثبت شعري ليعلم الناس أنَّ في زمانهم مَن إنْ لم يسبق البحتري انتصف منه، وليس في الإعجاب بالنفس غاية، وكان بعض الناس يقول إنّي أجاري البحتري وأناويه وأناقضه وأساويه»[٩].

وظاهر كلام الصاحب هنا يشي بأن الشعراء أغاروا على شعر البحتري وهو من المحدثين، وهنا يكمن العيب في السّرق، أما إذا نظر المحدثون في أشعار من تقدمهم من شعراء الجاهلية والإسلام وأفادوا منها فإنّ ذلك ليس بعيب، لأنّ معانيهم أضحت بعامل التقادم والاحتذاء كثيرة الدوران على الألسنة، غير أنّ هذا الكلام غير لصيق بالمتنبي؛ لأنّ الصاحب في عموم رسالته لم يثبت أنّ المتنبي أخذ عن البحتري، وليس ذلك فحسب بل نراه يَقصر كلامه على عيوب المتنبي بانتقاد بعض معانيه، إذ افتتح نقده التطبيقي بقوله: «وأول حديث المتنبي أن لا دليل أدل على تفاوت الطبع من جمع الإحسان والإساءة في بيت كقوله[١٠]:

بَلِيتُ بلى الأطْلالِ إنْ لَمْ أقِفْ بهَا وُقُوفَ لئيمٍ ضاعَ في التُربِ خاتِمُهْ

ويأخذ الصاحب على المتنبي هنا أنه طبق المصراع الثاني للبيت، وهو عنده في نهاية الرداءة، على الصدر وهو في غاية الاستقامة والإحسان، وهذا ما عبّر عنه بقوله: «فهذا كلام مستقيم لو لم يعقبه بقوله: وقوف لئيم ضاع في الترب خاتمه، فإنّ الكلام إذا استشف جيده ووسطه ورديئه كان من أرذل

ما يقع لصبيان الشعراء وولدان الأدباء»[١١]، ووجه الإساءة في رأي الصاحب أنّ المتنبي جمع الرداءة إلى الإحسان في قوله «وقوف لئيم، فهذا لا يستقيم مع الوفاء الذي أظهره للأطلال، غير أنّ جهة الاعتراض في كلام الصاحب تنتفي مع اختلاف رواية البيت، ولعله من الطريف أنّ الحاتمي وهو من خصوم المتنبي كان قد سأله عن البيت فقال: «فأخبرني عن قولك:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

كيف قلته أشحيح أم شجيج؟ فقال: أنا قلته بحاء لا غير، وهذا معنى اخترعته»[١٢].

إذن كلام الصاحب لا معنى له مع اختلاف الرواية، خصوصًا أنّ الحاتمي كما يذكر المؤرخون التقى المتنبي على نحو ما سنراه في كلامنا على رسالته الموضحة. هذا أمر وأمر آخر يمكن أن نشير إليه وهو أنّ الشعر الساقط عند الصاحب هو المسروق، وقد غفل عن تبيان وجه السرقة في البيت، وعلى ذلك لم يفِ بمنهجه في تتبع سرقات المتنبي، ليغدو انتقاده في آخر الأمر غير مسوَّغ، فهو من جهة يبنيه على رواية غير صحيحة، ومن جهة ثانية يُغفل جهة السرقة أو العيب فيه، وأما التفاوت بين الجيد والرديء فإنّ ذلك يشمل شعر المتنبي كما يشمل أشعار غيره، ومحال أن يجمع الشاعر في نتاجه الحسن دون الرديء، والمتنبي معروف عند النقاد بهذه الصفة حتى قيل: «وكان أبو الطيب شاعرًا مشهورًا مذكورًا محظوظًا من الملوك والكبراء، والجيد من شعره لا يُجارى فيه ولا يُلحق، والرديء منه في نهاية الرداءة والسقوط»[١٣]. وشاهد آخر يدل على أنَّ الصاحب لم يستطع ضبط السرقات عند المتنبي فانعطف إلى نقد معانيه، مع أنّ غاية رسالته تدور حول نفي المعاني المخترعة في شعره حيث يقول: «ولقد

مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل على فساد الحس وعلى سوء أدب النفس، وما ظنك بمن يخاطب ملكًا في أمه ثم يقول (رواق العز فوقك مسبطر) ولعل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الصفيق... يظن المتعصبون له أنّها من شعره بمثابة ﴿وقِيلَ يا أَرضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود:٤٤] من القرآن، وفيها يقول:

وَهَذا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرَّاً لأوّلِ ميتةٍ في ذا الجَلالِ

ومن سمع الشعر عرف تردده في انتهاك الستر لما أبدع في هذه المرثية قال:

صلاةُ الله خالِقِنَا حَنُوطٌ على الوجْهِ المكفَّن بالجَمالِ

وقال بعض من يغلو فيه هذه استعارة، فقلت صدقت ولكنها استعارة حداد في عرس»[١٤].

ومن الواضح أنّ الصاحب في نقده هذا متحامل على المتنبي، إذ لم يُبصر في شعره سوى العيب والنقص، وهو لم يضف في هذا الباب شيئًا إلى ما قاله النقاد في هذه القصيدة التي تأملها الأدباء فأشاروا إلى عيوبها ومحاسنها، ولعل الثعالبي قد صح له النظر فيها فأشار إلى عيوبها دون أن يغفل عن محاسن أبي الطيب ومعانيه الفريدة التي انطوى عليها معظم شعره[١٥].

فالصاحب كان يطمع بمديح المتنبي، مثلما حظي عضد الدولة ووزيره ابن العميد بمديحه، غير أنّ المتنبي كما قال المتقدمون: «أبى الانحطاط إلى الكَتَبَةِ»[١٦]، إذ كان الصاحب كاتبًا يومذاك لابن العميد، يقول ياقوت: «إنّ الصاحب إسماعيل بن عباد قال بأصبهان، وهو يومئذ على الإنشاء، بلغني أنّ هذا الرجل، يعني المتنبي قد نزل بأرجان متوجهًا إلى ابن العميد، ولكن إنْ جاءني خرجت إليه من جميع ما أملكه، وكان جميع ما يملكه لا يبلغ ثلاثمئة

درهم... وبلغ ذلك المتنبي فلم يعرج عليه ولا التفت إليه، فحقد عليه الصاحب حتى حمله على إظهار عيوبه في كتاب ألَّفه لم يصنع فيه شيئًا؛ لأنه أخذ عليه مواضع تحمَّل فيها عليه»[١٧].

ولعله من الطريف أن يكون ابن عباد من أكثر أصحاب النثر سرقة لمعاني المتنبي فيما يندرج تحت إطار نثر المنظوم، وكان الثعالبي قد تتبع ما أخذه الصاحب بن عباد من شعر المتنبي ونثره في رسائله، وفي ختام ما عرضه الثعالبي مما أخذه الصاحب من المتنبي يقول: «هذا غيض من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبي، وتمثَّل به من شعره، ولو ذكرت نظائره لامتد نَفَس هذا الباب»[١٨].

٢–٢: الحاتمي ورسالته الموضحة في سرقات المتنبي

أنشأ الحاتمي رسالته في سرقات المتنبي بعد عودته من مصر، إذ أشار في مقدمته إلى ذلك بقوله: «ولما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفًا من مصر، ومتعرضًا للوزير أبي محمد المهلبي للتخيم عليه والمقام لديه: التحف رداء الكبر، وأذال ذيول التيه، وصعَّر للعراقيين خده، وأرهف للخصام حده...»[١٩]، ومن الملاحظ أنّ الحاتمي قد تصرَّف في خبر قدوم المتنبي إلى بغداد، إذ انفرد بالإشارة إلى تخييمه ومقامه لدى الوزير المهلبي، والواقعة كما ذكرها البديعي تختلف عما أوردها الحاتمي، إذ المتنبي لمّا عاد إلى بغداد نزل بدار علي بن حمزة البصري اللغوي، وقد زاره الوزير المهلبي فيها، وكان معه الأصفهاني صاحب الأغاني، وكان يتطلَّع إلى أن يمدحه غير أنه أبى[٢٠]، ويؤكِّد صاحب بغية الطلب ذلك بقوله: «لما ورد أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي بغدادَ متوجهًا إلى حضرة الملك عضد الدولة بفارس، أعدّ له أبو محمد (المهلبي)

عشرة آلاف درهم وثيابًا كثيرة وفرسًا بمركب ليعطيه ذلك عند مديحه له، فأخّر المتنبي من ذاك ما كان متوقعًا منه، وحضر مجلس أبي محمد للسلام عليه فغاظ أبا محمد فعله...»[٢١]، فعبارة «وحضر مجلس أبي محمد للسلام عليه» يعني أنه لم يكن يقيم عنده. وهذا ما يؤكّد تزيد الحاتمي فيما أورده في خبره المذكور آنفًا، إضافة إلى مخالفة ما أورده المنطق، فكيف ينحاز المتنبي إلى المهلبي، ويخييم عليه ويقيم لديه ثم يترفع عن مديحه؟

لقد أنشأ الحاتمي رسالته بعد أن قابل المتنبي، فجهة الخطاب في الرسالة تُشير إلى ذلك بوضوح، وقد ذكر ذلك غير واحد من الأدباء فقال القفطي: «وله (الحاتمي) اجتماع مع المتنبي لما قدم إلى بغداد، ومؤاخذات آخذه بها وصنَّف ذلك في كتاب...»[٢٢]، وقال الصفدي: «وله الرسالة الحاتمية التي شرح فيها مادار بينه وبين المتنبي لما قَدم بغداد»[٢٣].

حدَّد الحاتمي منهجه في رسالته الموضحة بقوله: «نهدت له متبعًا عَواره، ومقلمًا أظفاره، ومذيعًا أسراره، وناشرًا مطاويه، ومنتقدًا من نظمه ما تشمّخ به، ومنتحيًا أن تجمعنا دار يشار إلى ربها فأجري أنا وهو في مضمار يعرف السابق من المسبوق واللاحق من المقصر عن اللحوق»[٢٤].

وينبغي أن نلاحظ أن الحاتمي كان قد سعى إلى مقابلة المتنبي في دار ليُظهر عيوبه وسقطاته على مرأى الناس ومسمعهم، كما ذكر آنفًا «منتحيًا أن تجمعنا دار»، وبالفعل بُنيت الرسالة على أساس من المواجهة الصريحة بين الحاتمي والمتنبي، غير أنّ ما جاءت به الرسالة يبعث على الشك، إذ لا نتصور أنّ رجلاً قد امتلأ صدره حقدًا على المتنبي تُتاح له الظروف لمناظرته بصورة لم يقبلها المتنبي من الملوك والأمراء، ودليل ذلك ما أورده الثعالبي حول

ملاحظات سيف الدولة على بعض شعره[٢٥]، وكان المتنبي لا يرضى أن يسمع لومة لائم فيما يقول، كما كان يأنف أن يرد على السائلين، ولم يتسنَ لكثير من الأدباء مقابلته أو حتى سماع شعره منه، فقد حدَّث أبو مسلم الفَرضي قال: «لما ورد المتنبي بغداد سكن في ربض حُميد فمضيت إلى الموضع الذي نزل فيه لأسمع منه شيئًا من شعره فلم أصادفه، فجلست أنتظره وأبطأ علي فانصرفت من غير أن ألقاه»[٢٦]، وهنا يحسُن التساؤل كيف اتسع صدره للحاتمي إذن؟

وقف الحاتمي في رسالته عند مرثية أبي الطيب لأم سيف الدولة، فقال له: «فأخبرني عن قولك في مرثية أم سيف الدولة:

ولا مَنْ في جَنازتها تِجَارٌ يكونُ وداعُها نَفْضَ النِّعالِ

أهكذا يؤبّن مثلها، وقد كانت بلقيس عصرها... فقال: ألستُ القائل في هذه الكلمة:

مشى الأمراءُ حَوْلَيها حُفَاةً كأنَّ المرْوَ من زِفِّ الرِّئَالِ
وأبرَزَتِ الخُدورُ مخبآتٍ يضعن النِّقسَ أمكنة الغوالي
أتتهنَّ المصيبةُ غافلاتٍ فدمعُ الحُزن في دمعِ الدَّلال

فقلت: البيت الأول من قول الصنوبري:

نؤوم الضحى أهب القنافذ عنده إذا ما عراه النوم أهب الثعالب

أو من قول ابن الرومي:

لو أنّها استقلت على حسك الفنك تحت الزباة وجدتهُ كالفنك

وعلى ذلك فمن الواجب ألا تدفع عن إحسان انتظمه شعرك، ولا عن معنى نكد طوّح به في البلاد فكرك، ولكنك تحسن في البيت من القصيدة، ثم

تشفع ذلك بالأبيات السخيفة لفظًا ومعنى»[٢٧].

وما يلفت النظر هنا أنّ الحاتمي يخاطب المتنبي خطاب السيد للمسود، والقاضي للمتهم، ومن عجب أنّ المتنبي سرعان ما ينصاع لما يقول، ويسلّم بما يتهمه به، ففي صدر الشاهد يعنف الحاتمي أبا الطيب إلى درجة التوبيخ في قوله «أهكذا يؤبن مثلها»، ولم يملك المتنبي ردًا سوى أنه يذكر أبياتًا من القصيدة كأنّما يريد أن تشفع له عند الحاتمي، الذي لا يلبث أن يوجّه له صفعة أقوى من السابقة حين بيّن أن ما يدعيه من معنى مخترع هو مسروق من قول الصنوبري أو ابن الرومي. وفي نهاية هذه المقابلة يوجه الحاتمي للمتنبي ملاحظات هي أشبه بملاحظات الأستاذ إلى تلميذ مقصّر من تلامذته، مشيرًا إلى ضرورة تخليه عن اغتراره بشعره، إذ ليس له بميزان نقد الحاتمي سوى البيت الجيد الذي يُساق ضمن جملة من الأبيات الرديئة السخيفة.

وبغض النظر عما لاحظه الحاتمي من وجوه الشبه بين شعر المتنبي المذكور آنفًا وشعر كل من الصنوبري وابن الرومي، إذ القضية بمجملها تحتمل الجدل خصوصًا إذا عولجت من منظور ما هو معدود في السّرق، فإنّ المحاورة التي عقدها بينه وبين المتنبي تكاد تكون ضربًا من الخيال، لأنّ صوته كان مهيمنًا ورأيه كان نافذًا، وكلمته لا ترد، و المتنبي قد ظهر من خلال ذلك عاجزًا عن الرد، وهذا في واقع الأمر بعيد عن حقيقة أبي الطيب.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحاتمي نحا نحو الصاحب بن عباد في الانعطاف بقضية السرقات الشعرية إلى موضوع آخر هو أدخل في نقد المعاني، يقول مخاطبًا المتنبي: «ومما ذهبت إليه هذا المذهب:

مَا أبْعَدَ العيبَ والنُّقصانَ من شيمي أنا الثُّريا وذانِ الشَّيبُ والهَرَمُ

وهذا كلام جار على غير مناسبة؛ لأنّ الثريا ليست من قبس الشيب والهرم، ولا هما من قبسها، وكان وجه الكلام أن تقول: أنا الثريا سفورًا وعلوًا، وذان السهى خفاءً وخبوًا، أو أن تقول: أنا الشباب وذان الشيب والهرم. ومن غث الكلام ومستكرهه قولك:

فتىً ألفُ جُزْءٍ رأيُهُ في زمانِهِ أقلُّ جُزَيءٍ بعضُهُ الرَّأيُ أجمَعُ[٢٨]

مما يدل على خلل واضح في منهج هذين الرجلين، فموضوع السرقات أمر، وموضوع فساد المعاني وابتذالها أمر آخر، وتفسير ذلك أن المسألة لا تعدو كونها تتبعًا لسقطات المتنبي ليس غير.

لقد بدا الحاتمي من خلال هذه الرسالة ناقمًا على المتنبي، مدفوعًا للنيل منه، وقد عبّر عن ذلك صراحة في مقدمة كتابة خصوصًا في قوله: «نهدت له متبعًا عَواره»، إذ إنه استجاب لدعوة المهلبي الذي حرّض الأدباء على تتبُّع سقطات المتنبي. يقول صاحب بغية الطلب: «ومشاركة الحاتمي في إدامة حل نظمه في رسائله، بعد مقالته التي عملها فيه محرضًا عليه ومتنادرًا به كنوادر المخنثين، كما حمل مثله أبا محمد المهلبي مستوزر بختيار بن معز الدولة على إغراء سفهاء بغداد عليه ومعاملته بالسخف الذي أعرض بوجهه عنه وعنهم»[٢٩].

٣– ٢: ابن وكيع وكتابه (المنصف)

قد يكون «المنصف» لابن وكيع من أوسع المصنفات التي تعرَّضت لسرقات أبي الطيب، ويذكر محقق الكتاب محمد يوسف نجم أنّ ابن وكيع قد عوّل فيه على رسالة ألَّفها النامي في عيوب شعر المتنبي، «وقد انفرد بالاطلاع عليها، وقبس منها ليهاجم صاحبها، ويهجن رأيه مدعيًا لنفسه صفة الإنصاف»[٣٠].

وابن وكيع يضع بين يدي مصنفه مقدمة طويلة، يوجه فيها الخطاب إلى

الوزير ابن حنزابة الذي بعث إليه رسالة يشير فيها إلى ما كان يحظى به شعر المتنبي عند متأدبي عصره من تقدير يقول: «فإنّه وصل إليَّ كتابك الجليل الموضع، اللطيف الموقع، تذكر فيه إفراط طائفة من متأدبي عصرنا في مدح أبي الطيب المتنبي وتقديمه، وتناهيهم في تعظيمه وتفخيمه...»[٣١]، ويظهر من خلال المقدمة أن ابن حنزابة كان متحاملاً على المتنبي حاقدًا على المتعصبين له، لذلك كانت رسالته تنطوي على ذمهم والتهوين من شأنهم لأنهم كما تقول المقدمة كانوا مأخوذين بالتقليد الأعمى «إنّهم قد أفنوا فيه الأوصاف، وتجاوزوا الإسراف، حتى فضَّلوه على من تقدم عصرَهُ عصرُهُ، وأبرّ على قدرِهِ قدرُهُ، وذكرتَ أنّ القوم شغلهم التقليد فيه، عن تأمل معانيه...»[٣٢]، وهذا الكتاب فيما يبدو قد حفز ابن وكيع إلى أن يضع شعر المتنبي في موضعه الحقيقي متحريًا في ذلك الإنصاف، ومن الواضح أن ابن وكيع حين اختار لمصنفه اسم «المنصف» لم يقصد إنصاف المتنبي، لأنّ المتنبي كما تشير مقدمة الكتاب قد نال من التقديم والتقدير والمدح ما لا يستحق، فعندما فاق ذكره المتقدمين أمثال الوليد وحبيب، حتى لكأنّه سلبهم حقهم في الثناء والشهرة، وجب أن يقتص منه ليعيد الأمور إلى نصابها، أو كما يشي عنوان كتابه محاولاً تحقيق الإنصاف بين الشعراء يقول: «لا يستحق التقديم على من هو أقدم منه عصرًا، وأحسن منه شعرًا كأبي تمام والبحتري، فإني لا أزال أرى من منتحلي الأدب مَنْ يعارض شعريهما بشعره، ويزن قدريهما بقدره..»[٣٣].

ثم يرسم منهج كتابه قائلاً: «ثم لا يرضى مقرّظ أبي الطيب حتى يدّعي له السلامة الكاملة فيه، وأبىّ له السلامة من ذلك، وقد جاء على ساقة أهل الشعر بعد استيلاء الناس على حلو الكلام ومره ونفعه وضره، وهذا الظلم

الواضح والإفك الفاضح، وسأدلُّ أولاً على استعمال القدماء والمحدثين أخذ المعاني والألفاظ، ثم أعود إلى تنخل شعر أبي الطيب ومعانيه وإثبات ما أجده فيه من مسروقات قوافيه»[٣٤].

إنّ ابن وكيع، مع أنّه قد حدَّد وجهته في كتابه بتنخل شعر المتنبي لتتبع سرقاته، إلا أنه لم يلتزم هو الآخر بهذا المنهج، إذ انحرف في مواضع شتى إلى نقد معانيه وألفاظه، وهذا باب خارج من الناحية الموضوعية عن تتبُّع السرقات، إذ نراه يقف في صدر مؤلفه عند شعر قاله أبو الطيب في مفتتح حياته حيث يقول:

بأبي مَنْ ودْتُه فافترقنا وقضى اللهُ بعدَ ذاكَ اجتماعا
وافترقنا حولاً فلمّا التقينا كان تسليمُهُ عليَّ وَدَاعَا

ومن الغريب أنّ ابن وكيع بعد إدامته النظر في هذين البيتين يسمِّي البيت الأول فارغًا بمعنى أنّه لم يلتمس فيه كما قال استخراج معنى، أي إنه ليس بشيء، في حين يرى في الثاني كبير طائل، ويصفه بأنّه بيت المعنى، أي أنّه وجد فيه مبتغاه، فرأى أنّه مأخوذٌ من قول جحظة[٣٥].

وإذا سلَّمنا أنّ معنى المتنبي مأخوذ من شاعر آخر، فإنّ الإنصاف يقتضي الإشارة إلى أنّ المتنبي قد زاد في معنى سابقه، غير أنّ ابن وكيع فيما يبدو أراد أن يجرِّد المتنبي من كل إحسان، فعدّ بيته الأول فارغًا، والآخر مسروقًا.

والأبيات الفارغة التي أحصاها ابن وكيع في شعر المتنبي كثيرة، منها قوله:

أفْرَسُهَا فَارسًا وأطولُهَا باعًا ومغوارُها وسيِّدُها

فقال ابن وكيع: «قال بعض النحويين: فارسًا منصوب على الحال لا على التمييز، وهو بيت فارغ[٣٦].

ومن الغريب أنّ ابن وكيع يأخذ على المتنبي إيراده المعاني المألوفة تارة، والغريبة تارة أخرى، فمثلاً يعيب عليه قوله:

قِفَا قليلاً بها عليَّ فلا أقلّ من نظرة أزَوِّدُهَا

فيقول: هذا معنى غير غريب، ولكن أبا الطيب لا يحقر شيئًا بل يأخذ الشعر الرفيع والوضيع، وهو في الأخذ كما قال ابن المعتز:

قلبي وثاب إلى ذا وذا ليس يرى شيئًا فيأباه

ثم يتابع قائلاً: فيجب عليه الاهتمام بما اهتم به هذا البيت من قول ذي الرمة:

فإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليل فإني نافع لي قليلها

وكلام ابن وكيع هنا داخل في نقد المعاني، والموازنة بين أقوال الشعراء، ومن أمثلة مآخذه على المعاني الغريبة في شعر أبي الطيب تعرضه لقوله:

يا ليتَ بي ضربة أتيحَ لها كما أتيحتْ له محمَّدُها
أثرَ فيها وفي الحديد وما أثرَ في وجهه مُهَنَّدُها
فاغتبطتْ إذْ رأتْ تزيُّنها بمثلِهِ والجراحُ تحسدُها

يقول ابن وكيع: «هذا كلام عجيب ومعنى غريب، وذلك أنه تمنى ضربة تقع من مثل ضربة الممدوح ولا أعلم هذا مما يتمنى»[٣٧]. ثم عمد ابن وكيع إلى تصحيح بعض معاني المتنبي كقوله:

كُفِّي أراني ويْكِ لومَكِ ألوَمَا همّ أقام على فؤادٍ أنْجَمَا

فقال: ترتيب هذا البيت: كفى فقد أراني لومك أولى باللوم همٌّ أقام على فؤادي أنجما. وهذا صعود وحدور، محصوله محقور، والمعروف أن يقال: اللائم ألوم، فأما اللوم فلا يلام لأنه غير الملوم، والملوم العاقل، واللوم كلام، فالواجب أن يلام العاقل دون الكلام[٣٨]. وكذلك وقف عند العيوب التي

تلحق باللفظ في قول أبي الطيب:

وإذا سحابة صدِّ حُبِّ أبرقتْ تركتْ حلاوةَ كُلِّ حُبٍّ علقما

يقول: «ليس هذا البيت من ألفاظ حذاق الشعر، لأنّ ذكر السحابة والإبراق لا يليق بذكر الحلاوة والمرارة...»[٣٩]. ثم وقف في شعر المتنبي عند المعاني المستحيلة كقوله:

وضاقت الأرضُ حتى كانَ هاربُهم إذا رأى غيرَ شيءٍ ظنَّهُ رَجُلا

فقال: هذه مبالغة مستحيلة لأن غير شيء لا تقع عليه رؤية»[٤٠]، ووقف عند المعاني الدالة على قلة الورع في قوله:

يا أيُّها الملكُ المصَفّى جَوْهَرًا من ذاتِ ذي الملكُوتِ أسمى مَنْ سَمَا

نورٌ تَظَاهَرَ فيكَ لاهُوتيَّة فتكادُ تعلمُ علمَ ما لَنْ يُعْلَمَا

فقال: «هذا مدح متجاوز وفيه قلة ورع»[٤١]. كما وقف عند اللحن في شعره كقوله:

كيفَ أكَافي على أجلّ يَدٍ مَنْ لا يرى أنّها يدٌ قبلي

فقال: «لم يهمز أكافي، على غير قياس، وما أكثر ما يسقط الهمز»[٤٢].

ومن ذلك أيضًا وقوفه عند قول أبي الطيب:

فأرحام شعر يتصلن لدنّهُ وأرحام مال ما تني تتقطعُ

فقال: «هذا من لحونه إنّما تشدد النون مع النون...»[٤٣].

ومن الواضح أنّ هذه الشواهد وغيرها كثير مما دوَّنه ابن وكيع تحت باب سرقات المتنبي، لا تدخل في باب السّرق، وإنما تدخل في نقد المعاني، وعليه يفقد هذا الكتاب أيضًا مصداقيته، على اعتباره لم يف بمنهجه، ليتحول جزءٌ كبيرٌ منه إلى صورة من صور التحامل ليس أكثر، فابن وكيع كما يرجح محمد

يوسف نجم لم يؤلِّف كتابه المنصف إلا بتحريض من الوزير ابن حنزابة[٤٤]، وابن حنزابة من الرؤساء المتأدبين، كان له مجلسٌ يضم أبرز أعلام عصره من النابهين والشعراء والأدباء، كما كانت لديه مكتبة انطوت على نفائس الكتب، وهو بعد ذلك ممن كان يتطلع إلى أن يمدحه المتنبي بقصيدة، ولكنه لم يظفر بطلبته، فطفق يتتبع سقطات المتنبي ويحشد العلماء للكشف عن عيوبه وسرقاته، من أجل ذلك لم يكن كتابه «المنصف» خالصًا لوجه العلم، وإنما كان تزلفًا من ابن حنزابة وتقربًا له.

لم يلق كتاب ابن وكيع تأييدًا عند الأدباء، فانبرى غير واحد لدحضه وبيان ما انطوى عليه من جور وعسف، فقيل إنّ ابن جني ألّف كتابًا في الرد عليه ونقض ما جاء فيه سماه «النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته»[٤٥]. كما أشار ابن القارح إلى أن ابن وكيع أجحف بحق المتنبي في كتابه[٤٦]، وذكر ابن شرف القيرواني أن كتاب المنصف لابن وكيع: «أجور من سدوم»[٤٧].

٤– ٢ العميدي وكتابه (الإبانة عن سرقات المتنبي)

لم يكن العميدي ممن عاصر أبي الطيب فقد ظهر بعده، فكانت وفاته نحو سنة ٤٣٣هـ، أي بعد وفاة المتنبي بنحو ثمانين عامًا، ومع ذلك بقي لشعره فيما يشير العميدي في كتابه صدى يدع الناس على خُلْفٍ واضح إزاءه، فقد استاء العميدي من صيته، وضاق ذرعًا بمن كان يُعلي من شأنه، فجرد قلمه لإظهار سرقاته فقال في مقدمة كتابه: «وليس تغني المتنبي جلالة نسبه مع ضعف أدبه، ولا يضره خلاف دهره مع اشتهار ذكره، ولقد تأملت أشعاره كلها فوجدت الأبيات التي يفتخر بها أصحابه من أشعار المتقدمين منسوخة،

ومعانيها من معانيهم المخترعة مسلوخة، وإني لأعجب والله كيف يُعلون من ذكر المتنبي وأمره، ويدعون الإعجاز في شعره، ويزعمون أن الأبيات المعروفة له هو مبتدعها ومخترعها ومحدثها ومفترعها، ولم يسبق إلى معناها شاعر، ولم ينطق بأمثالها باد ولا حاضر، وهؤلاء المتعصبون له والمفتخرون باللُّمع التي يزعمون أنه استنبطها وأثارها، والمعتدون بالفِقَرِ التي يدّعون أنّه افتضَّ أبكارها، والمترنمون بأبيات سائرة يذكرون أنه انفرد بألفاظها ومعانيها، وأغرب في أمثلتها ومبانيها... يحكمون حكمًا جزمًا بأنّها غير مأخوذة ولا مسروقة»[٤٨].

فكتاب العميدي إذن يقدِّم صورة من صور النزاع والخلاف حول شعر المتنبي بين من كان يؤيد مذهبه الشعري ومعارضي ذلك المذهب، ومن هنا اختلفت دوافع تأليف هذا الكتاب عن الأسباب التي دفعت مؤلفي الكتب السابقة في سرقات المتنبي إلى تأليفها، فالعميدي على اعتباره قد ظهر بعد أبي الطيب كان من المتوقع أن يكون أكثر اعتدالاً من سابقيه، فهو ليس من منافسيه أو حساده أو الحاقدين عليه، أو ممن دُفِعَ لتتبع سرقاته لغاية من الغايات، غير أنّ العجيب في الأمر أنّه كان أكثر عَداء وكرهًا للمتنبي من السابقين، من أجل ذلك رأى الأدباء أنّه أجحف بحقه دونما سبب، فذكر البديعي أنّ العميدي في كتابه «الإبانة» كان في غاية الانحراف عن الحق، حائدًا في التمييز عن سنن الإنصاف» ثم يقول: «ونحن نُورد كلامه، ونردُّ في نحره سهامه، فإنه تجاوز الحد وأكثر الرد[٤٩].

فالعميدي في تتبعه سرقات المتنبي لم يختلف عن سابقيه في عدم الوفاء بالمنهج الذي يستوجب تبيان السرقات في شعر المتنبي، ولعل عنوان مؤلفه «الإبانة عن سرقات أبي الطيب» يحتِّم عليه التقيد بموضوع السّرق، غير أنّه

انحرف عنه بغية إحصاء سقطات أبي الطيب وذكر عيوبه في اللغة والنحو والمعاني، فمن مآخذه على شعر أبي الطيب قوله:

حشايَ على جمرٍ ذكيٍّ من الهوى وعينايَ في روضٍ من الحُسْنِ ترتعُ

فقال العميدي: «لو قال ترتعان كان أصوب وأبلغ»(٥٠)، في حين ذكر العكبري أنه جائز على اعتبار أن العينين عضوان مشتركان في فعل واحد مع اتفاقهما في التسمية يجري عليهما ما يجري على أحدهما.

ومن أمثلة موازنته بين معاني المتنبي ومعاني غيره من الشعراء بغية إظهار تقصيره وقوفه عند قوله:

جاز الأولى ملكت كفاك قدرهم فعرفوا بك أن الكلب فوقهم

فإنه حجة يؤذي القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

فقال: «هذا البيت عليه أثر العي؛ لأنّ الدهر والتعطيل والقدم إلحاد وأحسن من ذلك قول ابن الرومي:

لا قدست نعمى تسربلها كم حجة فيها لزنديق

صبرًا أبا الصقر فكم طائر خر صريعًا بعد تحليق(٥١)

فهذا الشاهد داخل في باب المفاضلة بين المعاني، ولا علاقة له بالسّرق، وهو دليل على أنّ العميدي كان يتتبع سقطات أبي الطيب ليس أكثر، إضافة لذلك فإنّ قارئ كتاب العميدي يجد أنّ المؤلِّف أسرف في اتهام المتنبي بالإغارة على شعر معاصريه من المغمورين، فعدد منهم خلقًا كثيرًا، يقول محقق كتاب «الإبانة» في مقدمته: «ونجد في هذا الكتاب أسماء شعراء مغمورين حاولت جاهدًا أن أعثر على تعريف لهم في كتب التراجم فلم أجد لأحد منهم ترجمة ما خلا عددًا قليلاً منهم»(٥٢). ثم يقول: «وأعتقد أنّ المتنبي في كبريائه وتعاليه

ومنزلته في الشعر واللغة أكبر من أن يسرق من هؤلاء الشعراء الصغار أمثال الخناني والمياسي والعابدي وأبي السمراء والغساني... ولو فعل ذلك لافتضح بين الناس، وكانت هذه السرقات التي يزعمها المؤلف حجة لأعداء المتنبي المعاصرين له، الذين كانوا يقفون له بالمرصاد... إذن معظم سرقاته التي نُسبت إليه مردها إلى واحد من اثنين: إما أن تكون نوعًا من توارد الخواطر، أو أن تكون معاني مشتركة بين الشعراء»(٥٣).

ومؤدَّى تلك الملاحظات التي دوَّنها المحقق يفضي إلى أن العميدي في كتابه لم يكن بمنجاة عن الادعاء والجور والتجني، وفي الوقت ذاته لم يستطع شأنه في ذلك شأن سابقيه تحويل النقد التطبيقي القائم على تتبع السرقات إلى أداة نقدية تسعف على تطوير البحث النقدي. لهذا السبب لا تعدو تلك المؤلفات كونها ضربًا من إذكاء نار الخصومة وتتبُّع العيوب لأسباب شخصية. وبالمقابل ظهرت مؤلفات أخرى تعرَّضت للمتنبي كانت أكثر إنصافًا، ذلك لأنّها وضعت عيوب المتنبي بإزاء محاسنه ككتاب البديعي «الصبح المنبي» وكتاب الثعالبي «المتنبي ما له وما عليه»، إذ حَاولت هذه الكتب وأشباهها تقديم صورة للمتنبي ولشعره موسومة بشيء من الموضوعية والحياد، وكتاب الثعالبي على وجه الخصوص يكاد يكون من أبرز الكتب التي قدَّمت منهجًا علميًا في دراسة المتنبي وشعره، ذلك لأنّ المؤلِّف قد وقف عند قضايا تعدُّ جوهرية في أسلوبه وطريقته في النظم، إضافة لتتبُّع سرقاته من معاصريه، والإشارة في الوقت نفسه إلى ما أخذه غيره منه، كالذي أخذه كلّ من أبي الفرج الببغاء والسري الرفاء وأبي بكر الخوارزمي وأبي الفتح البستي وغيرهم من المتنبي. ثم تعرَّض الثعالبي إلى قضايا البناء الشعري عند أبي الطيب فعرض

فواتح شعره ومطالعها وما يستكره منها، مُشيرًا إلى أنّ هذه المسألة ليست مقصورة عليه، فقد عِيب على المتقدمين فواتح بعض أشعارهم، ووقف أيضًا عند المعاني القبيحة والمكروهة والمفرطة والمغلوطة والمكررة، وما تنمُّ عليه من فساد الحس وضعف العقيدة، وتعرَّض للألفاظ التي استعارها المتنبي من المتصوفة والحكماء، وبالمقابل أشار إلى محاسنه المتمثلة بحسن التصرف بالغزل، وحُسن التشبيه والتمثيل والمدح الموجه، وحسن التصرف في مديح سيف الدولة، واستعمال ألفاظ الغزل في أوصاف الحرب، وحسن التقسيم، وإرسال الأمثال، وابتكار المعاني. ولعل أهم ما انطوى عليه كتاب الثعالبي وقوفه عند بعض قضايا الأسلوب وتعليلها في شعر المتنبي مثل استكثاره من قول (ذا) في شعره، إذ عرضَ قولاً للجرجاني ينتقد فيه إكثار المتنبي من استعمال (ذا) في مطاوي أشعاره حيث يورد: وهي ضعيفة في صنعة الشعر دالَّة على التكلُّف، وربما وافقت موضعًا يليق به فاكتسبت قبولاً»(٥٤). والواقع أنّ المباحث الأسلوبية في الزمن الحديث تهتمُّ بهذا اللون من التكرار اهتمامًا بالغًا لأنّه يدلُّ على سمات خاصة بالأسلوب. ومن محاسن منهج الثعالبي في كتابه عن المتنبي أنه عمد إلى تأول بعض شعره كالقصيدة التي قالها في مدح عضد الدولة، إذ أشار الثعالبي إلى أن القصيدة انطوت على إشارات تدل على أن المنية تراءت للمتنبي قبل مقتله خصوصًا في قوله:

فلو أني استطعت حفظت طرفي فلم أبصر به حتى أراكا

٥ — ٢: وخلاصة القول

كان المتنبي في شخصيته وشعره يمثِّل حالة فريدة في تاريخ العربية، فالمتأمل تفاصيل حياته يجد أن الرجل كان صاحب موقف، لهذا ضنَّ بفنه إلا على من

يستحقه من أعلام عصره الذين رأى فيهم الرجولة والبطولة والإباء. وعلى كثرة من وقع في دربه من السادة الذين لم ير فيهم قرناء لذاته ومرمى لإبداعه، فإنه تعالى عليهم، مع ما كانوا يرصدون له من أموال ومتاع لاسترضائه؛ غير أنه لم يكن طامعًا بالعطاء، بمقدار ما كان يطمع بالشرف والمجد والزعامة والعزة، وقد نال من كل ذلك ما يحمل النفس على قدر كاف من القناعة والقبول والرضا، غير أن نفسًا لا تعرف القناعة والرضا قد سكنت لحمه ودمه، فقطع الحياة شامخًا متعاليًا، لا تشده قوة إلى القبول بما كان قد قسمه له المليك، فظل يساوره طموح الرئاسة والزعامة، فلا يرى فيمن تولاها خيرًا لها من ذاته، لكنه لم يبلغها بعد أن أسرف في طلبها، وكان ذلك الطموح يعود عليه بكثير من الشرور، فاستعداه من استعداه، وأحبه من أحبه، وقد ربحت العربية من تلك الحياة الغامرة والنفس الأبية والطموح الذي لا يُحد فنًا لا تفنيه الأيام، فها هو ذا شعره يزداد شبابًا مع تقادم الأزمنة، وها هي ذي شخصيته تزداد بريقًا كلما تداعت الأيام، ولعل أهم ما نجم عن المتنبي وشعره تلك المعركة النقدية التي دارت حوله، وأوضحها الكتب التي تتبعت سرقاته، غير أن تلك الكتب كما لاحظنا لم تتحلَ ولو بقدر ضئيل من الموضوعية، وإنما نشأت عن أسباب شخصية، فكانت ترصد صراعات دارت بين المتنبي وخصومه، ولعل الطريف في الأمر أن مشجعي التأليف في هذا الباب كانوا من الوزراء كالمهلبي وابن حنزابة والصاحب بن عباد، وكانت دوافعهم إلى تأليب النقاد لتتبع سرقات المتنبي واحدة، إذ كانوا جميعًا يطمعون في مديح أبي الطيب، لكنهم لم يظفروا بشيء من أشعاره، فاستعدوه وحرضوا الأدباء على النيل منه، ولكن المؤلفات التي أُنجزت في سرقاته سرعان ما انكشف عوارها، وتبين الناس دوافعها، فكانت من العوامل التي ضاعفت من شهرة المتنبي، ولهذا نقول إن البحث النقدي لم يستفد كثيرًا من تلك

المؤلفات، فبقيت صورة من صور الخصومة والنزاع الشخصي.

حواشي البحث

١- الجرجاني (الوساطة) ص: ١٨٣.
٢- ابن رشيق (العمدة) ص: ٢/ ١٠٣٩.
٣- المصدر نفسه ص: ٢/ ١٠٣٨.
٤- المصدر نفسه.
٥- المصدر نفسه.
٦- المتنبي (ديوانه بشرح العكبري) ٣/ ٥٤.
٧- المصدر نفسه.
٨- ابن عباد، الصاحب (الكشف عن مساوئ المتنبي) ص: ١١.
٩- المصدر نفسه.
١٠- المصدر نفسه.
١١- المصدر نفسه.
١٢- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٤٩.
١٣- ابن العديم (بغية الطلب) ص: ٢٦.
١٤- ابن عباد، الصاحب (الكشف عن مساوئ المتنبي) ص: ١٢.
١٥- الثعالبي (المتنبي ما له وما عليه) ص: ٤٣.
١٦- البديعي (الصبح المنبي) ص: ١٨١.
١٧- الثعالبي (المتنبي ما له وما عليه) ص: ٤٢.
١٨- المصدر نفسه.
١٩- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٦.
٢٠- البديعي (الصبح المنبي) ص: ٥٩.
٢١- ابن العديم (بغية الطلب) ص ٢٨٨.

٢٢- القفطي (إنباه الرواة) ٣/ ١٠٣.

٢٣- الصفدي (الوافي بالوفيات) ٢/ ٣٤٢.

٢٤- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٢١.

٢٥- الثعالبي (المتنبي ما له وما عليه) ص: ١٥٢.

٢٦- ابن العديم (بغية الطلب) ص: ٥٢.

٢٧- الحاتمي (الرسالة الموضحة) ص: ٢١.

٢٨- المصدر السابق.

٢٩- ابن العديم (بغية الطلب) ص ٥٤.

٣٠- ابن وكيع (المنصف – مقدمة المحقق) ص: ٢٢.

٣١- المصدر نفسه ص: ٦.

٣٢- المصدر نفسه.

٣٣- المصدر نفسه.

٣٤- المصدر نفسه.

٣٥- المصدر نفسه.

٣٦- المصدر نفسه.

٣٧- المصدر نفسه.

٣٨- المصدر نفسه.

٣٩- المصدر نفسه.

٤٠- المصدر نفسه.

٤١- المصدر نفسه.

٤٢- المصدر نفسه.

٤٣- المصدر نفسه.

٤٤- المصدر نفسه.

٤٥- ياقوت (إرشاد الأريب) ص: ١٢/ ١٤٣.

٤٦- الصفدي (الوافي بالوفيات) ص: ٢/ ١١٤.

٤٧- ياقوت (إرشاد الأريب) ص: ١٩/ ٣٧.

٤٨- العميدي (الإبانة عن سرقات المتنبي) ص: ٢٢.

٤٩- البديعي (الصبح المنبي) ص: ٤١.

٥٠- العميدي (مقدمة محقق الإبانة) ص: ٢٣.

٥١- المصدر نفسه.

٥٢- المصدر نفسه.

٥٣- المصدر نفسه.

٥٤- الجرجاني (الوساطة) ص: ١٨٥.

مصادر البحث ومراجعه

١- البديعي، يوسف (الصبح المنبي عن حيثية المتنبي) تحقيق: مصطفى السقا ومحمد شتا طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

٢- **الثعالبي** (أبو الطيب المتنبي ما له وما عليه) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبع مكتبة الحسين التجارية بالقاهرة ١٩٣٦م.

٣- **الجرجاني** (الوساطة بين المتنبي وخصومه) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي منشورات المكتبة العصرية – صيدا/ بيروت ١٩٦٦م.

٤- **الحاتمي** (الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره) تحقيق: محمد يوسف نجم طبع دار صادر بيروت ١٩٦٥م.

٥- **الحناوي**، المحمدي عبد العزيز (دراسة حول السرقات الأدبية ومآخذ المتنبي في القرن الرابع الهجري) القاهرة ١٩٨٤م.

٦- ابن **رشيق** القيرواني (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) تحقيق: محمد قرقزان طبعة أولى دار المعرفة بيروت ١٩٨٨م.

٧- **شعيب**، عبد الرحمن (المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث) طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٤م.

٨- **الصفدي** (الوافي بالوفيات) تحقيق: هلموت ريتر وس (سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المشتشرقين الألمان) طبع سنة ١٩٥٩م.

٩- ابن **عباد**، إسماعيل المعروف بالصاحب (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي) نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ١٩٣٠م.

١٠- ابن **العديم** (بغية الطلب من تاريخ حلب) صورة عن نسخة محفوظة بمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت.

١١- **العميدي** (الإبانة عن سرقات المتنبي) تحقيق: إبراهيم الدسوقي طبع دار المعارف بمصر ١٩٦١م.

١٢- **القفطي** (إنباه الرواة على أنباه النحاة) تحقيق أبو الفضل إبراهيم دار الكتب المصرية ١٩٥٠.

١٣- ابن **وكيع** (المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي) تحقيق محمد يوسف نجم طبعة أولى ١٩٨٤م.

١٤- **ياقوت** الحموي (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) تحقيق مرجليوث طبع بالقاهرة ١٩٢٧م.

حول نسبة منظومة نحوية
للخليل بن أحمد الفراهيدي

د. عمر عبد الرحمن الساريسي

كيف صرت إلى هذه المنظومة

رغبت إلى بعض طالباتي العمانيات، اللواتي يدرسن في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، أن يرسلن لي ما يمكن أن تصل إليه أيديهن، مما كُتب عن الخليل بن أحمد الفراهيدي في عُمان، فقد ذكرت بعض الروايات أنه ولد في بعض أنحائها، وذلك كي أستكمل ما يمكن أن يسعف في بحث كنت أعده عن شعره، بعد عودتي إلى جامعة الزرقاء الأهلية من العمل في الخليج. فأرسلت إليَّ الطالبة المهذبة حنان سيف العجمي أوراقًا بهذا الخصوص، منها أجزاء مصورة من كتاب صادر هناك، عن منظومة نحوية منسوبة إلى الخليل، تقترب من الثلاثمئة بيت !

والحق أنني فوجئت بهذا الكتاب. فلئن ثبتت نسبته إليه فلسوف يكون إضافة نوعية إلى إبداعات هذا الرجل العبقري، ولكن عصره لم يكن عصر النظم التعليمي أو عصر الألفيات النحوية.

ولما كان الكتاب لم يصلني مصورًا بتمامه، رغبت إلى صديقي إبراهيم الجراح وزميلي في العمل في وزارة التربية والتعليم الأردنية، أن يعمل على أن يصلني الكتاب كاملاً. فقد عمل في عُمان نحو عقد من الزمان في الإشراف التربوي، فأرسل إلى ولده عامر، وهو يعمل هناك، فسارع إلى إرساله مع أقرب

بريد بشري قادم إلى عَمان. فالشكر إليه وإلى أبيه وإلى الطالبة حنان موصول وموفور.

الكتاب والتحقيق

لقد قام الأستاذ الدكتور أحمد عفيفي، أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة، بتحقيق القصيدة المنسوبة للخليل بن أحمد. وأصدر المنتدى الأدبي التابع لوزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمَان هذا التحقيق في كتاب بعنوان «المنظومة النحوية للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٠هـ(دراسة وتحقيق». الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م. وقد ألقى فيه من قبل محاضرة ثقافية مساء يوم الثلاثاء ٢٠/ ٦/ ١٩٩٥، ضمن فعاليات المنتدى الأدبي وقد وقع الكتاب في ٢٣٣ صفحة.

وقد قسم الكتاب قسمين أساسيين: الأول: الدراسة، والآخر: التحقيق.

وقد جاء في القسم الأول الفصول التالية:

(١) الخليل وشخصيته.

(٢) المنظومة.

(٣) مصطلحات الخليل.

(٣) (مكرر) الخليل مصدر المصطلحات النحوية.

(٤) الأعلام الواردة بين التمثيل والحقيقة.

(٥) عناوين الخليل في المنظومة.

(٦) قضايا نحوية للمناقشة، منها مثلاً، أمس بين الإعراب والبناء، حتى وعملها، النداء المضاف، قط، قد، حسب، كفى.

(٧) الأمثلة والنماذج التطبيقية. (٨) نتائج الدراسة.

وفي القسم الثاني: وصف نسخ المخطوطة، وصورها، ومنهج التحقيق.

وقد وقع النص المحقق في ٢٩٣ بيتًا من البحر الكامل، ومطلعه:

الحمد لله الحميد بمنّه أولى وأفضلُ ما ابتدأت وأوجبُ

وآخره واستغن أنت ببعضه عن بعضه وصن الذي علّمت لا يتشذب

خطة بحث

وقد يرى الباحث أن عزو هذه المنظومة النحوية للخليل بن أحمد الفراهيدي يمكن أن يُتساءل عنه بطريقتين: أولهما عام، نناقش فيه أمورًا أساسية مهمة، وثانيهما خاص، نحاور فيه المحقق وننظر في منهجه في التحقيق، ثم نقلب صفحات المنظومة وننظر فيها من الداخل، وفي الخط الذي كتبت به. وذلك كي نصل في النهاية إلى رأي علمي يمكن أن يوصل إلى إجابة مناسبة عن هذه التساؤلات.

مناقشة عامة

وأول ما نتساءل عنه في أمر هذه النسبة هو تاريخها، وأعني ذكرها في المراجع منذ عصر الخليل، المتوفى عام ١٧٠هـ.

ويعرف الباحثون في حياة هذا الرجل وإبداعاته أن الكتب التي ترجمت له لم تذكر هذه المنظومة فيها[1].

(1) تجد ترجمته في:

١- الفهرست، ابن النديم، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٨هـ، ص ٤٢.

٢- معجم الأدباء، ياقوت، دار الفكر للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٨٠، ٤/ ١٨، ١٦/ ٧٢.=

وهذا أمر يلفت الانتباه، فمؤلفو كتب الطبقات والتراجم لم يذكروا هذه القصيدة النحوية في إبداعات الخليل، منذ القرن الثاني والثالث الهجريين إلى القرون المتأخرة.

والاستثناء الوحيد من هذه المصنفات كتاب حقق قبل عدة عقود لخلف الأحمر، وهو «مقدمة في النحو».

ففي عام ١٩٦١ حقق عز الدين التنوخي (عضو المجمع العلمي العربي في

=٣- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٦٩، ١/ ١٧٢.

٤- إنباه الرواة في طبقات النحاة، ابن القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٧، ١/ ٣٤١.

٥- مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٥.

٦- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي، دار المعارف، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص ٤٧.

٧- بغية الوعاة في أخبار النحاة، السيوطي، مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ.

٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، العماد الحنبلي، ١/ ٢٣٥.

٩- طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق عبد الستار فراج، دار المعارف ١٩٢٨، ص ٩٦.

١٠- المزهر – السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه، ط٤ ١٩٥٨، ١/ ٤٠١.

وقد ذكرت بعض أشعاره في مراجع أخرى منها:

١- نزهة الجليس، ومنية الأديب الأنيس للموسوي، طبع مصر ١٢٩٣هـ، ١/ ٨٠.

٢- شرح المقامات الحريرية، الشريشي، ٢/ ٢٤٦.

٣- الجاسوس على القاموس، أحمد فارس الشدياق، ص ٢٢.

٤- الفلاكة والمفلكون – الدلجي – ٩٣، ٩٤.

دمشق) هذا الكتاب، ونشرته مديرية إحياء التراث القديم في وزارة الثقافة السورية.

وفي باب حروف النسق (العطف) يرد في هذا المصنف وعلى الصفحة ٨٥، قول المصنِّف: «وحروف النسق خمسة، وتسمى حروف العطف، وقد ذكرها الخليل بن أحمد في قصيدته في النحو، وهي قول الشاعر (كذا)

فانسق وصِلْ بالواو قولك كله وبلا وثمَّ أوْ، فليست تصعب
الفاء ناسقة لذلك عندنا وسبيلها رحب المذاهب مشعب»

وهنا تنشأ عندنا أسئلة نفكر فيها بصوت عال.

فخلف بن حيّان الأحمر، المتوفَّى نحو عام ١٨٠هـ، أي بعد وفاة الخليل بعشر سنوات، وهو بصري معاصر له، قد قيل فيه ما قيل، «من أنه يصنع الشعر وينسبه إلى العرب فلا يعرف»[١]. وهذا أمر لاندحة عنه في مدى الثقة بروايته، مع أنه قيل عنه فيما بعد أنه «نسك وكان يختم القرآن كل يوم وليلة... فلما نسك خرج إلى أهل الكوفة يعرفهم الأشعار التي أدخلها في أشعار الناس»[٢].

ومما يقوي الشك في هذه النسبة للخليل أنها الوحيدة منذ نهاية القرن الثاني الهجري حتى عام ١٩٩٥ ميلادية الذي حُقق فيه هذا الكتاب، فالنحاة لا يذكرون أن له (للخليل) قصيدة في النحو، كما يقول محقق كتاب «مقدمة في النحو لخلف الأحمر» نفسه[٣].

ويعلق هذا المحقق على قول خلف في النص المذكور: «وهي قول

(1) الوافي بالوفيات – الصفدي، ١٣/ ٣٥٣، الأعلام – الزركلي.
(2) المصدر السابق، ص ٨٦.
(3) المصدر السابق والصفحة نفسها.

الشاعر» قبل إيراد البيتين السابقين فيقول: «وصواب التعبير أن يقال: (وهي قوله) لعودة الضمير على متقدم. ولعله أراد أن يشير إلى أن الخليل كان شاعرًا، وكان بالفعل شاعرًا[١].أقول إنه وإن كان قول المحقق صحيحًا إلا أن حرفية النص تشتت الذهن فيتنازعه شاعران أحدهما الخليل.

ولا أدري إذا كان يحق لي أن أفصح عن إحساس خافت آخر يخالج النفس، في هذا الصدد، وهو عنوان هذا الكتاب الذي توفي مؤلفه في نهايات القرن الثاني الهجري «مقدمة في النحو»، ألا يبدو عنوانًا معاصرًا؟ وهل سمعنا بكتاب في العصور السحيقة يحمل اسم مقدمة؟ أما مقدمة ابن خلدون المتوفَّ (٨٠٨هـ(فقد أطلقت، فيما بعد، على كتابه الشهير في التاريخ: كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر[٢].

أما التساؤل العام الآخر عن هذه المخطوطة وأمر نسبتها للخليل، فهو البون الشاسع بين زمن الزعم بقيام الخليل بنظمها، وبين زمن النظم التعليمي في مادة النحو. إن أقدم أثر روي في هذا الباب، في حدود ما أعلم، هو ألفية ابن معطٍ الذي ذكره ابن مالك الأندلسي (٦٧٢هـ(في ألفيته:

وتقتضي رضا بغير سخط فائقةً ألفية ابن معطي
وهو يسبق حائز تفضيلاً مستوجب ثنائي الجميلا[٣]

(1) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(2) طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، ط٤، ١٩٧٨.

(3) محمد محيي الدين عبد الحميد، محقق شرح ابن عقيل (ت٧٦٩) على ألفية ابن مالك (ت٦٧٢هـ(. المكتبة العصرية – بيروت – ١٩٩٥، ١/ ١٠.

وابن معطٍ هذا توفي عام (٦٢٨هـ(.

يقول أحد الباحثين عن ابن مالك: «ولم ينتفع من جاء بعده بأن يحاكوه أو يدّعوا أنهم يزيدون عليه وينتصفون منه. ولو لم يُشِر في خطبته إلى ألفية ابن معطٍ لما ذكره الناس ولا عرفوه»[١].

ومع ذلك يذكر محقق ألفية ابن معطٍ بعض الأسماء الصغيرة في هذا الصدد، مثل شعبان بن محمد بن داود المصري الإقامة، الموصلي المولد، (٨٢٨هـ(، في منظومته «كفاية الغلام في إعراب الكلام» وعبد العزيز اللمطي المكناسي الميموني (نحو ٨٨٠هـ(فيما سمي بألفية النحو، وكذلك السيوطي (٩١١هـ(في ألفيته[٢].

وإذا قيل إن عصر الخليل قريب من نظم تعليمي مشهور آخر هو نظم أبان اللاحقي (٢٠٠هـ(لحكايات كليلة ودمنة[٣]، قلنا إن هذا النظم مختلف في مادته عن مثل هذه المخطوطة، فهي في مادة الأدب والقصة على ألسنة الحيوان، والمنظومة التي ندرسها في علمي النحو والصرف، وهو الذي يرى أنه تأخر زمن نظم الألفيات التعليمية فيه.

ومما يقوي في أنفسنا أمر هذا التساؤل، تساؤل أعمق، تمليه قضية فلسفية فطرية ولا تكاد تغيب عن ذهن، هو الزمن اللازم لتطور أي موضوع فكري، بين تاريخ بدايته وتواريخ بلوغه عصر الإبداع والإنتاج الجديد في أشكاله وألوانه.

---

(1) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي ٥/ ١٢٩، بغية الوعاة ٤١٦.

(2) شرح ألفية ابن معطٍ – تحقيق د. علي موسى الشوملي، ١/ ١٦ – ٦٦.

(3) راجع الأغاني، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ٢٠/ ٧٣، وكذلك طبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق عبد الستار فراج، دار المعارف ص ٢٤١.

ففي عصر الخليل قعّدت أولى القواعد النحوية والصرفية في عصر الخلفاء الراشدين والقرن الثاني الهجري، على أيدي الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ وأيدي بعض الصحابة المخضرمين من أمثال أبي الأسود الدؤلي ورجاله الذين بدؤوا في بناء أساسيات النحو وعلله. وسينقضي زمن طويل حتى يثمر هذا الأمر وَيُونِع ويصل إلى مرحلة الترف الفكري ونظم النحو في قصائد وألفيات، أم أن الخليل بن أحمد قد قُدّر له أن تأتي على يديه البدايات في هذا الأمر والنهايات؟ يضع أسس النحو وعلله ويفيد منها تلميذه سيبويه في كتابه، وفي العمر نفسه يكون لديه وقت فراغ يتفرغ فيه إلى نظم قصيدة في النحو تقترب من ثلاث مئة بيت؟

فإن قيل ألم يأت على يديه، بهذا الوصف، علم العروض الذي جاء مكتملاً تقريبًا؟ قلنا إن بين الأمرين فرقًا كبيرًا، فعلم العروض لا يقسّم، كما أن المراجع التي فيها أخبار الخليل قد تواتر القول فيها على نسبة العروض للخليل.

إن عصر الخليل هو عصر الإبداع، أما عصر وضع القصائد الطويلة في النحو والألفيات والتجميع في الموسوعات فقد تأخر كثيرًا.

حول أسباب نسبة المنظومة للخليل

إن الدكتور أحمد عفيفي قد اعتمد أمورًا معينة، فعدّها عوامل مساعدة في هذه النسبة، وسنعرض لها ولمدى الثقة بها في أمر هذه النسبة.

وأول ما لفت انتباهه في هذا الصدد نسبة بيتين فيه للخليل في كتاب لمصنِّف معاصر له، هو خلف الأحمر، وقد ناقشنا هذا الأمر في ضوء ما عرف عن هذا الراوية من عدم الأمانة العلمية.

وأعان الدكتور المحقق أمران آخران على ما يرى، وهما المصطلحات

النحوية الواردة فيها، والأعلام الذين ساق أسماءهم فيها.

أما المصطلحات فمثل الصفة والرفع والجر والنصب والجزم وما لم يسم فاعله. وبسبب تناثر مثل هذه المصطلحات في هذه المنظومة يحكم بنسبتها للخليل (ص٥٥- ٨٧)، الذي عرف أنه رأس مدرسة البصرة في النحويين، ومعلم الكسائي في رأس مدرسة الكوفيين أيضًا، ولا أدري إذا كان مثل هذا الأمر يقوي هذه النسبة، إذا كانت المصطلحات النحوية والصرفية مشاعًا يستخدمها الباحثون في موضوعاتها منذ أن عرفت، وفي كل زمان ومكان!؟.

أما الأعلام التي ذكرت في هذه المخطوطة (ص٩٢ وما بعدها) ومدى ما يمكن أن ترخي عليها من الأقدمية، فإن المدقق لا يكاد يجد من هذه الأسماء، مثل عبد السلام وغيره، ما يستحق أن يكون دليلاً على ذلك. فبعضها قد يطلق على أناس يولدون في عصرنا الحاضر مثل شوزب ومرحب وحوشب، ومنها ما يمكن أن يسمع في بعض أطراف الخليج العربي وحضرموت. والاسم الوحيد الذي يمكن أن يوقف عنده في هذا المجال هو اسم قطرب[1]، فهو مذكور من بين النحويين القائلين بنصب التاء إذا كانت ضمير رفع اتصلت بالفعل الماضي.

فنصبت لما أن أتت أصلية وكذاك ينصبها أخونا قطرب

ومن المعروف أن قطرب هذا لم يكن من تلاميذ الخليل، بل من تلاميذ تلميذه، وهو سيبويه. وقد توفي بعده بأكثر من ثلاثين عامًا (عام ٢٠٦هـ)[2].فكيف يكون قطرب أخًا للخليل وبينهما هذه السنون الطويلة؟

(1) ص ٩٦ من الكتاب المحقق.

(2) وفيات الأعيان ٤/ ٣١٢.

ولا يجري على لسان الخليل تلاميذه الأدنون مثل سيبويه والنضر بن الشميل وغيرهما؟ أغلب ظني أن ناظم هذه المخطوطة قد أورد هذا الاسم للتعمية والتدليس، وقد أسعفته القافية على ذلك، وعبارة «أخونا قطرب» ربما تشي بذلك، لما فيها من لهجة شعبية، لا ترقى إلى لغة الخليل.

ويخالج النفس خاطر خافت آخر، على طريق الأعلام الواردة في المخطوطة، مادام ذكرها يعني شيئًا. وهو السؤال عن دلالة ورود اسم زيد سبع عشرة مرة في المخطوطة، وورود اسم عمرو ثلاث عشرة مرة فيها[1]؟ أليس استعمال المشتغلين في النحو لاسم زيد وعمرو متأخرًا عن عصر الخليل؟

وثمة أمر ثالث نرى أن المؤلف يخرج به من استقراء أبيات المخطوطة بما لا يخدم هدفه، وهو التدخل في الأمور الشخصية للخليل؛ فهو يرى أن أسماء نساء قد ورد في المخطوطة، فسمّى ذلك غزلاً، وإنما أراد صاحب المنظومة أن يضرب أمثلة نحوية من أسماء النساء. فوجد أن هذا الأمر يتعارض مع ما عرف عن الخليل من زهد ونسك والتزام بيت. فقضى بأن هذه الأخبار عن الخليل غير دقيقة، وأدقّ منها هذا الغزل الذي يبدو في المخطوطة، ذلك أن «حياة الخليل»، كما يلوح له، «كان لها شقان: الأول كان الخليل فيه شابًّا... وربما كتب بعض غزلياته... والثاني وفيه كان زاهدًا...[2]

إن اسم المرأة قد ورد في شعر أكثر شعراء الجاهلية والإسلام، ولم يكن ليكفي وحده أن يذكر أن صاحبه قد كان يتغزل. أما ما ذكره على الصفحتين ٤٦، ٤٧ من الأمور التي أعانته على صحة نسبة المخطوطة للخليل فهي

(1) راجع هامش الصفحة ١٠٧ من الكتاب.

(2) ص ٣١ من الكتاب.

تدخل، في نظرنا، في نطاق منهجه في التحقيق.

وبعد، فلا أدري إذا كانت هذه الإشارات كافية لاستنتاج علاقة هذه المخطوطة بالخليل أم لا!؟

منهج التحقيق

ويقع الباحث المدقق في منهج الدكتور أحمد عفيفي، في تحقيقه لمخطوطة «المنظومة النحوية»، ونسبتها إلى الخليل، على أمور يحسب أنها لا تجري في المجرى السليم لتحقيق المخطوطات:

– فمنها أنه يعثر على عشر نسخ لهذه المخطوطة، لم يجد لها ذكرًا أو أصلاً في كتب فهارس المخطوطات المعروفة مثل الفهرست (لابن النديم)، أو كشف الظنون (لحاجي خليفة)، أو مفتاح السعادة (لطاش كبرى زاده)، أو معجم المؤلفين (عمر رضا كحالة)، أو معجم المطبوعات العربية (لسركيس)، أو فهارس بروكلمان في تاريخ آداب العرب، أو أعمال فؤاد سزكين، أو فهارس مؤسسة آل البيت/ عَمّان[1]؛ ذلك أنه عثر عليها منسوخة في مجاميع أخرى هي معها. أما ذكرها وذكر بيتين منها فقط في كتاب لخلف الأحمر فقد بيَّنا ما فيه من ضعف وتمريض.

– وقد عثر عليها جميعًا في مكتبات عُمان العامة، أو التي يملكها بعض المثقفين فيها، وقد وُجدت جميعًا في مجاميع، منسوخة مع مخطوطات أخرى (ص١٤٥)، ولو وجد فيها ناسخوها أو مالكوها قيمة علمية خاصة لأفردت وحدها.

– وليس في متن واحدة منها نسبة صريحة أو غير صريحة للخليل، وإنما

(1) التوثيق، د. عبد المجيد عابدين، بغداد، ١٩٨٢، ص ٣٨.

النسبة أثبتت له على أيدي الناسخين، في نهاياتها، إلا واحدة فقط ليس فيها أية نسبة.

ولم يشك في هذه النسبة إلا ناسخ واحد، أنهى كلامه بقوله: «والله أعلم بصحته» (ص٤٦). ويخيل للباحث أن هذا الناسخ يحمل من الشك في هذه المخطوطة وفيمن نسبت إليه قدرًا كافيًا، كما يبدو من قوله قبل العبارة السابق ذكرها «على حسب الطاقة والإمكان». والغريب أنه يقول قبل ذلك: «تم معروضًا علي:!!! والمعروف أن النسخة التي فرغ ناسخها من نسخها يُذكر عليها أنها عرضت على الأصل فيقال «بلغ عرضًا على أصله» أو «على الأصل» كما وجدت أنا في تحقيقي لمخطوطة «مجمع البلاغة» للراغب الأصفهاني.

ثم إن الباحث لم يجد في متون هذه المنظومة أو حول متونها نسبة للخليل؛ كذلك لم نجد عليها ما يفيد بشيء حول طرق التحمل الأخرى: كالإجازة أو الإملاء مثلاً أو السماع أو الوجادة. فليس عليها ما يفيد بأن المؤلف أجاز أحد تلاميذه بنسخها ونقلها وروايتها، أو أنه أملاها على أحد في زمان أومكان، أو أن أحدًا سمعها من المؤلف، أو أنه وجد عليها في الأصل، ما يفيد بصلتها بالمؤلف.

وتسلسل المراجع المختصة طرق تحمّل الحديث النبوي الشريف أولاً وأساليب نقل العلم والتعليم في سائر العلوم ثانيًا، بما يلي بدءًا بالأهم (١) السماع. (٢) القراءة على الشيخ. (٣) الإجازة. (٤) المناولة. (٥) المكاتبة. (٦) السماع دون الإذن بالرواية. (٧) الوصية. (٨) الوجادة[1].

(1) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الحكمة، دمشق، ١٩٧٢، ص ٦٢– ٨٦.

– وكما أننا لم نجد عليها ما يفيد بقدمها أو عراقتها، كذلك وجدنا عليها تواريخ نسخ حديثة. فمنها: ما نسخ عام ١٢٧٧هـ)ص١٥١)، ومنها: ما نسخ عام ١١٤١هـ)ص١٥١) أو عام ١١١٧هـ. وليس على غيرها تواريخ نسخ قط.

– ومن الغريب أن المحقق يعتمد في صحة نسبة المخطوطة للخليل، من بين ما ذكر سابقًا، على مرجع مطبوع حديث نشر عام ١٩٩٢م !! اسمه «إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان»، سيف بن حمود بن حامد البطاشي — ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، عُمان !! (راجع ص ٤٩).

– ومن الغريب، أيضًا، أن المؤلف يعتمد، في الحديث عن تحقيق هذا النص ونسبته، على كتب بعيدة عن مراجع أصول تحقيق المخطوطات ونشرها، مثل مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية، ومناهج البحث في التربية وعلم النفس. (راجع هامش ص٣٧).

– بل الأغرب أن يعتمد المؤلف على مرجع لم يظهر بعد !! فهو في هامش ص١٦ يقول: «موضوع» المنظومات النحوية تاريخها وأهميتها العلمية «محور لبحث مازلت أجمع خيوطه وأعمل فيه ولم أنته منه بعد»!!!. أقول إنه بحث جليل حقًا لو تم وطبع ونشر.

– ولقد اعتمد مرة على معجم العين المنسوب للخليل، ليقوي نسبة المنظومة له. وهذا أسلوب علمي متبع في ربط مصنفات المصنف الواحد بعضها ببعض من الداخل. ولكن الشك في نسبة معجم العين للخليل، كما طبع ونشر، أمر ليس سهلاً نفيه[1].

– وتبقى النقطة الأخيرة مقلقة أكثر، ألا وهي اعتماد النسخة الأم. إن

(1) راجع المزهر للسيوطي ١/ ٨٦– ٩٢.

المؤلف يذكر أنه اتخذ إحدى النسخ العشر للمنظومة النسخة الأساس أو النسخة الأم، للأسباب التالية (ص١٤٧):

١) كان الناسخ حريصًا على ضبطها ضبطًا صحيحًا إلى حد بعيد.

٢) جودة خطها وعدم التباس كلماتها أو غموض حروفها إلا في القليل النادر.

٣) من الواضح أن الناسخ كان أمينًا مع نفسه، فقد كان حريصًا دائمًا في هذا المجموع الذي جاء كله بخط واحد.

إن هذه الاعتبارات جميعها لا تقوم في أسس التحقيق العلمي لكتب التراث. وإنما الذي يحسب له حساب في النسخة الأصلية هو:

أ – أن يكتبها المؤلف نفسه وعليها توقيعه.

ب– أن يشير بكتابتها.

جـ– أن يمليها أو أن يجيزها.

د– أن يكون عليها ما يفيد اطلاعه على نسختها أو قراءته لها[1].وهذه هي طرق التحمل الصحيحة.

المنظومة من الداخل

ولدى النظر في هذه المنظومة من الداخل، بعد أن تسرب إلينا الشك فيها من الخارج، تستوقفنا ثلاث طوائف من الملاحظات التي تلفت الانتباه وتثير الاستغراب.

فأما الأولى فتتصل بصياغة التراكيب صياغة تبدو فيها الركاكة، التي تتنافى

(1) راجع تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥، ص٣٥– ٣٦ وكذلك التوثيق، تاريخه وأدواته، عبد المجيد عابدين، بغداد، ١٩٨٢، ص ٢٨.

مع قوة النسج الفني في النثر، أواخر القرن الثاني الهجري – عصر الخليل.

– ففي البيت (٢٦) يقول: «فيظل يسخر من كلامك معرب»، فهو قريب من الصياغة العامية.

– وفي البيت (١٩٦): «يرجع سليمًا غانمًا لا يغلب»، وهذه صياغة شعبية.

– وفي البيت (١٩): «واستعجم الناس الذي من مثلهم» والصواب الذين.

– وفي البيت الثالث – وعلى النبي محمد من ربه أزكى صلاة – وهو تعبير شعبي.

– وعن المنظومة يقول ناظمها في البيت الرابع: «إني نظمت قصيدة حبّرتها» – وهل يلزم للنظم تحبير؟ ألا يكفي أحدهما؟

– ويريد أن يمدحها فيقول «عربية» لا عيب في أبياتها «(البيت السادس) – وماذا ستكون إن لم تكن عربية؟! وهل ثمة شك في عربيتها؟

– وهم «يتعجبون من الصواب ركاكة» (البيت ١٣)– وماذا عنى بركاكة؟

– «وحروف خفض الجر» (البيت ٣٢) – أليس الخفض هو الجر؟ فكيف نضيف الشيء إلى نفسه؟

– «وحروف رفع النحو» (البيت ٥١)، وهل ثمة حروف رفع الصرف؟

– «ومضى الصحابة قبلُ» (البيت ١٨) أليست «قبل» حشوًا؟

وأما الثانية ففي صياغاتها غموض حينًا واستغراب حينًا آخر.

– فقوله أثيرت في العمارة أرنب (البيت ١٤٧)– كيف نتصوره؟

– وقوله عن القرآن الكريم في البيت (١٧):

لا لحن فيه، فمن تلاه لاحنًا عمدًا فذاك على التلاوة يكذب

وهل كثير أن تقول عن القرآن الكريم أنه لا لحن فيه ؟! فأين الفضل في

هذا الكلام؟

– وعن لغة النبي يقول في البيت (١٥) أنها «من كل ما لغةٍ أصحُّ وأصوبُ» فكيف أقحمت «ما» بين المتضايفين بهذا الاستعمال الثقيل؟

– وفي البيت ١٨٧ تفاضل الناظم بين هيُؤ وأتقن فيقول:

«أهيا وأتقن في الكلام وأوزن»، والتفاضل منهما بصيغة ما أفعل.

وأما الثالثة ففي بعض تراكيبها وجملها ما يدل على مواضعات اجتماعية حديثة ومعاصرة. فهو في البيت ٢٤ يستعمل كلمة «طبيخ» وأحسب أنها عامية معاصرة، وفي البيتين ٢٢، ٢٣ يروي قصة الثعلب الذي رام عنقودًا من العنب، فلما أعياه قال هذا حصرم! حتى لو كانت القصة مبثوثة في بعض كتب التراث، فإنها لا ترقى إلى نهايات القرن الثاني الهجري.

وربما يكون من هذا القبيل تكرار اسم زيد واسم عمرو، أكثر من عشر مرات في المنظومة. ولا أحسب هذا الأمر إلا مستحدثًا في الإكثار من الأمثلة النحوية حتى الملل، أو هو على الأقل متأخر من عصر الخليل. ويلحق بها المثال النحوي المكرر كثيرًا «أكلت الحوت حتى رأسه» (البيت ١٣٧).

وفي النفس أمر آخر يأتي، هذه المرة، من الوزن العروضي لهذه القصيدة. فالذي أعرفه أن هذه القصائد الطويلة المنظومة أو الألفيات إنما تنظم على وزن بحر الرجز، وبقافية ورويّ متجددين في كل شطرين متقابلين في العروض والضرب. وقد مثلنا على ذلك بأربعة أشطار من هذا الرجز من ألفية ابن مالك وهو يشير لألفية ابن معطٍ، التي أحسبها هي أيضًا من وزن البحر نفسه. حتى إن أرجوزة الأمثال التي نظمها أبو العتاهية في الحكمة هي أيضًا كذلك. فكيف انفردت منظومتنا المنسوبة للخليل بوزن البحر الكامل برويّ

وقافية ثابتين في جميع الأبيات؟

إن النظر في المنظومة من الداخل يزيد الشك لدينا في أمر نسبتها للخليل.

الخط

ومن قبيل النظر في المخطوطة من الداخل معرفة الخط الذي كُتبت به.

ومن الاطلاع على نماذج المخطوطات العشر، التي عرضها المحقق في الكتاب فيما بين صفحتي ١٦٥- ١٧٦، يجد الباحث أنها كتبت جميعًا بخط النسخ المقروء بسهولة ووضوح وجمال. وقد كتبت جميع أبيات هذه النماذج كتابة شعرية واضحة، كل بيت شعري في سطر مستقل، وبين صدره وعجزه فاصل واضح. وقد شكلت الكلمات شكلاً تامًا بمختلف الحركات، في صفحات النماذج المعروضة كلها.

ولدى التدقيق في هذا الوصف يرى الباحث، الذي عرف طريق تحقيق كتب التراث وخبر معاناته، أن هذا الخط حديث، لا يرقى إلى نهايات القرن الثاني الهجري. ولما كانت معرفة تاريخ الخط تعين على تحديد نسخ الكتاب ومكانه «كما يقول برجستراسر[1]، «ولما كان لكل عصر نهج خاص في الخط ونظام كتابته» كما يقول الأستاذ عبد السلام هارون[2]، فإننا نشك في هذا الخط النسخي، لأن «الغالب على خط أهل القرون الثلاثة الأولى هو الخط

(1) في كتابه «أصول نقد النصوص ونشر الكتب»، وهو في الأصل محاضرات ألقاها هذا المستشرق الألماني، بكلية الآداب جامعة القاهرة، عام ١٩٣٢، وترجمها محمد حمدي البكري، ونشرتها دار المريخ – الرياض، عام ١٩٨٢، ص٨٤.

(2) تحقيق النصوص ونشرها ص ٣٨.

الكوفي، كما يقول هو نفسه في موضع آخر[١]، و«لأن الخط القديم يهمل النقط والإعجام» كما يقول في موضع ثالث[٢].

فمن المعروف أن القرآن الكريم قد أخذ يُكتب منذ تنزيله بخط أقرب ما يكون لما عرف فيما بعد بالخط الكوفي. وهو خط مطوّر عن الخط الآرامي، الذي أخذه عرب شمال الجزيرة قبيل بعثة الرسول، عليه السلام، من أهل الشام، في تنقلاتهم التجارية. وقد ظلت الكتابة بوجه عام بهذا الخط الجاف ذي الزوايا نحوًا من ثلاثة قرون، حتى غلب عليه خط النسخ، وهو ابتكار سوري شمالي حذقه الشاميون الشماليون، على يد الوزير العباسي ابن مقلة. أما سبب تسميته بالكوفي، قبل أن يظهر خط النسخ، فهو أن الكوفة كانت مركز تجويد وافتنان[٣].

أما النَّقْط، أو ما عرف ويعرف بوضع النقط على الحروف، فلم يجد طريقه إلى المخطوطات القديمة، التي كتبت في هذه القرون الثلاثة الأولى، وذلك بعد أن عرف خط النسخ وكذلك الإعجام، وهو إزالة العجمة والغموض والغُفْل من الحركات. فقد عرف في خط النسخ، فعرفت الحركات الثماني (الفتحة والضمة والكسرة...إلخ)، بعد القرن الثالث والرابع الهجريين.

(1) المرجع السابق ص ٢٥.

(2) المرجع السابق ص ٣٩.

(3) قصة الكتابة العربية، إبراهيم جمعة، سلسلة اقرأ، ٥٣ دار المعارف بمصر ص ٥٦، وما بعدها. كذلك التوثيق تاريخه وأدواته، عبد المجيد عابدين، بغداد، ١٩٨٢، ص١٤. وكذلك الخط العربي تاريخه وأنواعه، يحيى سلوم العباسي الخطاط، مكتبة النهضة بغداد، ص٥٣.

فقد حققتُ مخطوطة كبيرة للراغب الأصفهاني، الذي عاش إلى أوائل القرن الخامس الهجري (٤١٥) تقريبًا باسم: «مجمع البلاغة»، ثم حققتُ، بفضل الله تعالى، أربع رسائل مخطوطة صغيرة للمصنف نفسه، دون أن أجد في أي منها نقطًا وإعجامًا، كالذي وجدته في الصفحات المضروبة مثلاً للمنظومة المنسوية للخليل.

من هذا كله يرى الباحث أن الخط الذي كتبت به نسخ المنظومة العشر (المنسوبة للخليل بن أحمد) يُشك فيها جميعًا وفي نسبتها هذه. وذلك لما وجد فيها من ركاكة في صياغة التراكيب، وغرابةٍ وتعقيدٍ ومعاصرة في بعض المعاني والألفاظ، ولما روي حول الخط الذي كتبت به.

وهنا يتضاعف لدينا الشك في علاقة الخليل بهذه المنظومة ويتأكد.

شك سابق

إن الشك في أمر هذه المنظومة وأمر نسبتها للخليل بن أحمد لم يصدر أول مرة مني، ولكن سبقني إليها غير واحد.

ولعل أول من شك فيها أحد النساخ لإحدى النسخ. وذلك في قوله «والله أعلم بصحته». كما يبدو من صورة إحدى صفحات هذه النسخة ص١٦٦. ففي هذه العبارة من التمريض ما فيها.

أما الثاني فهو الأستاذ عز الدين التنوخي، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، في تحقيقه لكتاب «مقدمة في النحو»، من تأليف خلف الأحمر. فهو يقول في هامش ص٢٨٦ عن هذه المنظومة، «إن صحت نسبتها». وفي هذا التعبير شك كافٍ وعدم اطمئنان، وإن ذهب في أثناء هذا الهامش يفكر في احتمالات

إثباتها.

أما الثالث، فهو الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي– رحمه الله – فهو يقطع الشك، ولا يكتفي به، حينما يقول: «ولا أراها تصح». ولم يكن شكّه في نسبة الأبيات للخليل فحسب، ولكن في وجودها أصلاً. فهو يقول في كتابه «المدارس النحوية، أسطورة وواقع»، عمان ط١: ١٩٨٧، ص١٣٥، ١٣٦.

«وإذا صحت هذه الأبيات، ولا أراها تصح...» ...

وحسبك بهذا الأستاذ الباحث المدقق في اللغة وعلومها ثقة وعلمًا.

وفي الختام

وفي الختام يحسب الباحث أنه قد أشار إلى عوامل الشك في أمر نسبة هذه المنظومة للخليل بن أحمد الفراهيدي بالتدريج. فقد كانت البداية فقدان ذكرها في قائمة إبداعات «عبقري العرب»[1]، إلا على لسان راوية قد عرف عنه نحل الشعر لغيره بعد أن يقوم بنظمه. ثم كانت الإشارة إلى بعد المسافة الزمنية بين زمن الإبداع الخليلي وعصره وعصر تجميع مواد الموسوعات والقيام بنظم القصائد والألفيات في بعض الموضوعات الخاصة.

ثم إننا قد رأينا ضعف محاولة نسبة هذه المخطوطة للخليل من خارجها، من خلال أعلامها ومصطلحاتها، ومن داخلها في ركاكة تراكيبها اللغوية وغرابتها وهلهلتها، وفي منهج تحقيقها والخط الذي كتبت به، مما دلّ، في النهاية، على تهاوي تعليقها بالخليل ونسبتها إليه.

(1) لقب أطلقه عليه الدكتور يوسف العش، في بحثه المعمق عنه، وقد وضعه أولاً ونشر في سلسلة اقرأ، ثم أضاف عليه وتوسع فيه في طبعة ثانية.

وهكذا

وهكذا يخيل للباحث المدقق أن نحويًا عُمانيًا غيورًا من أهل القرون الثلاثة الأخيرة في زماننا، قد استهوته رواية مولد الخليل في بعض أنحاء سلطنة عمان، فهب محاولاً إثبات هذا الأمر، فنظم نحوًا من ثلاث مئة بيت، يشرح فيها بعض القضايا النحوية، وينسبها له، ثم تناسخ الناسخون هذه النسبة للخليل بن أحمد، وسموه العروضي أو الخروصي في بعض النسخ، دون التنبه إلى أنها فاقدة الجذور التاريخية والسوق والأغصان البنائية القوية.

المصادر والمراجع

١) أحمد عفيفي، المنظومة النحوية للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠- ١٧٥) — دراسة وتحقيق، ط١، المنتدى الأدبي، وزارة التراث القومي والثقافة — عمان — ١٩٩٥.

٢) حاتم الضامن، عشرة شعراء مقلون — جامعة بغداد - ١٩٩٠.

٣) ابن خلكان — وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس — دار صادر — بيروت، ١٩٦٠.

٤) السيوطي — بغية الوعاة في أخبار النحاة — مطبعة السعادة، ١٣٢٦هـ.

— المزهر في علوم اللغة وأنواعها — تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميله، ط٤، ١٩٥٨.

٥) عبد السلام هارون - تحقيق النصوص ونشرها، مؤسسة الحلبي القاهرة ط٢، ١٩٦٥.

٦) عبد المجيد عابدين، التوثيق تاريخه وأدواته، بغداد، ١٩٨٢.

٧) الشريشي، شرح المقامات الحريرية، المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.

٨) أبو بكر الزبيدي — طبقات النحويين اللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف.

٩) أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٥.

١٠) ابن القفطي، إنباه الرواة في طبقات النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٠.

١١) عبد الله بن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، دار المعارف، ١٩٢٨.

١٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق شعيب الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق.

١٣) ابن النديم، الفهرست، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٤٨هـ.

١٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

تطوّر مفهوم العدد عند علماء العرب والمسلمين

بالاعتماد خاصة على كتاب الحصّار(البيان والاعتبار في علم مسائل الغبار) و (كشف الجلباب عن علم الحساب) للقلصادي

الأستاذ الدكتور محمد سويسي

ستكون لنا، فيما يلي، جولة بين مخطوطات الحساب العربية من القرون الأولى التي أكبّ فيها العرب على كتب الأقدمين واهتمّوا بعلم العدد، وسنقف، أثناء هذه الجولة، على تطوّر نظرتهم إلى هذا العلم وتصوّرهم له وتعريفهم لأصوله.

ففي القرن الرابع للهجرة يقول إخوان الصفاء في رسالتهم الأولى في القسم الرّياضي المخصّصة للعدد: «كلّ ما لا ينقسم فهو واحد من تلك الجهة التي بها لا ينقسم، وأما الكثرة فهي جملة الآحاد؛ وإن شئت قلت: الواحد ما ليس فيه غيره بما هو واحد. والواحد الذي قبل الاثنين، هو أصل العدد ومبدؤه ومنه ينشأ العدد كلّه، صحيحه وكسره، وإليه ينحلّ راجعًا، أمّا نشوء الصحيح فبالتّزايد، وأما الكسور فبالتّجزؤ... ».

ويشمل مراتب العدد كلّها اثنتا عشرة لفظة بسيطة، وذلك من واحد إلى عشرة، عشرة ألفاظ ولفظة مئة ولفظة ألف (ص ٢٦).

ويقولون في صفحة (٣٠): «ومن خاصية الاثنين أنه أوّل العدد مطلقًا» وفي القولين تناقض.

وفي القرن العاشر الهجري يقول بهاء الدين العاملي (١٥٤٧- ١٦٢٢م) (٩٥٣- ١٠٣١هـ(في كتابه [خلاصة الحساب] (ط. ١٩٧٦، ص٢):

«والعدد قيل كمية تطلق على الواحد وما تألّف منه **ويدخل فيه الواحد**، وقيل نصف مجموع حاشيتيه، **فيخرج**، **وقد يُتكلّف لإدراجه** بشمول الحاشية الكسر. **والحق أنّه ليس بعدد**، وإن تألّف منه الأعداد، كما أنّ الجوهر الفرد عند مثبتيه ليس بجسم، وإن تألف منه الأجسام».

وفي القرن الثاني عشر للميلاد، يقول محمد بن عبد الله بن عيّاش الحصّار، أبو بكر، المغربي في كتابه [البيان والتذكار لعلم مسائل حروف الغبار]: «الواحد العددي بذاته **ليس من العدد**، لأنّه **علّة العدد**، والعدد معلول له، وليست العلّة من المعلول، **فالواحد إذن ليس من العدد**».

ويقول (في الورقة ٢): «اعلم أن أسماء العدد اثنا عشر اسمًا أولها **العدد الواحد** الذي هو أصل العدد ومبدؤه ومنشؤه، ثم زيد على الواحد واحد فصار ذلك **اثنين**، **وهو أوّل العدد لأنّ الواحد ليس عددًا**».

وفي ذلك عين التناقض الذي أشرنا إليه سابقًا. ويقول شرف الدين محمد بن محمد المسعودي الخراساني، في شرح مختصر أبي شجاع البسطامي: «والحسّاب، كما أطلقوا اسم العدد على الكثرة المجتمعة من الآحاد، أطلقوه أيضًا على الواحد وعلى أجزائه، فقالوا: والعدد يقسم إلى صحيح وكسر». (ص ٢ من اللمعة المارديني، في شرح الياسمينية، ط. الكويت ١٩٨٣). ويضيف المارديني: «وهذ الذي يريده الجبريون أيضًا، باعتبارٍ أوّل من حيث هو مصرّح باسمه بقطع النظر من أمرٍ آخر، فسمّوه **عددًا مطلقًا** لأنّ اسمه حينئذ حقيقي، لا يتوقف تعقله في الذهن على تعقل أمر آخر، ولا يتقيّد بشيء، ويطلق على الواحد والآحاد والصحيح والكسر».

ويستنتج ابن غازي (في بغية الطّلاب في شرح منية الحسّاب، ط. حلب ١٩٨٣، ص ٨): أنه: «إن أخذ العدد في التعريف غير مضاف فهو صحيح، وإن أخذ مضافًا فهو كسر، فتقسيمه هذا إنما هو تقسيم عرضي للعدد لا ذاتيّ له» ويضيف أنّ في [رفع الحجاب] (لابن البنّاء المرّاكشي) «مزيد تحرير يتبين لك به أنّ حكاية الخلاف في عددية الواحد على الإطلاق ليس بتحقيق» ثم يحوصل القول ذاكرا: «أنه مهما عرضت للواحد الكثرة أو أخذ في مادّة فهو عدد، وإن لم تعرض له كثرة بوجه من الوجوه، ولاأُخِذَ في مادة فليس بعدد».

يقول ابن البنّاء في [رفع الحجاب]: «والواحد إذا اعتبر من حيث هو مؤلّف من آحاد، كما تقول في خمسة عشر هي ضرب خمسة في ثلاثة، فكل واحد من الثلاثة خمسة، وكل واحد من الخمسة ثلاثة؛ ولأنّ كلّ عدد فهو عدد واحد (فالواحد) مؤلّف من آحاد، وهو بهذا الاعتبار، عدد وبه كانت مرتبة الآحاد تسعة أعداد لا ثمانية، وأسماء الأعداد البسيطة اثني عشر لا أحد عشر، وإذا اعتبر من جهة اتّحاده وانفراده من غير أن يكون هناك اعتبار طبيعة أخرى، فهو نفس الوِحدة التي هي مبدأ العدد، أعني التي إذا أضيف إليها غيرها صار مجموعها عددًا فيكون **الواحد ليس من العدد، وكل عدد واحد،** وليس كل واحد عددًا».

فكما شاهدنا إنّ النِّقاش في موضوع وحدوية الواحد قد طال، ولم يكن هذا النقاش مجرّد جدل فلسفي، بل كان يسعى إلى زيادة التّحرير في تصوّر العدد والتقدّم في تطوّر نظرية العدد.

وذلك أنّ العرب، في البداية، نقلوا عن اليونان حدّهم للعدد بكونه «نصف مجموع حاشيتيه».

فإذا كانت ثلاثة أعداد متتالية في سلسلة الأعداد الصحيحة الطبيعية، أ ،ب ، ج ، فإن $ب = \frac{أ + ج}{2}$

فما لم يتمّ للعرب نقل الصفر عن الهندية لم يكن للواحد حاشية صغرى؛ ويكون الواحد، بهذا الاعتبار، ليس من العدد.

ولما تمّ نقل الصفر [وإن لم يكن في البداية سوى رمز جعلوه «علامة الخلا»] انتظمت مجموعة الأعداد الصحيحة الطبيعية في صورة ، 0 ,1 ,2....

بلا نهاية، بالغًا ما بلغ وصار الواحد $1 = \frac{2+0}{2}$ ، أي انطبق عليه تعريف العدد (واتّسع البحث إلى تصوّر مفهوم اللانهاية). وانطبقت عمليات الحساب السابقة على العدد (واحد).

فمن ذلك أن الضرب قد حدّد بكونه «عملية يجمع فيها أعداد مساوية للمضروب بعدّة ما في المضروب فيه من آحاد».

فإذا ما طبّق التعريف على عدد الواحد نتج ما يلي:

أ× 1 (مرة واحدة) = أ

1× أ =1+1+....+1 (أ مرات) = أ

1= 1×1

وكان الواحد **عددًا** له خاصّية ذاتية سمّي فيها (بعنصر الحياد) في عملية الضرب.

ولكن الصورة $1 = \frac{2+0}{2}$ لم يقتصر فيها على اعتبار الصفر كما عرّفه ابن الياسمين. وجعلوا الصفر علامة الخلاء، وهو مدوّر كحلقة، بل قد استعمل، من جهة، للمحافظة على منزلته في العدد. وبذلك ميّزوا بين

العددين 21 و 201 ومن جهة أخرى قد استعمل كعامل ضرب ميّزوا به بين الكتابتين 21 و 210

أو بصفة عامة وبالكتابة الرّمزية أ× 10= $\overline{0\ أ}$

واستنتج القلصادي من ذلك قواعد مهمة تساعد على الحساب الذهني وتيسّر نتائجه:

مثلاً: إذا كان أ عددًا زوجيًا بحيث: أ= 2 ن ⟸ أ× 5=$\overline{0ن}$

أ× 15 = 20 ن + $\overline{0\ ن}$

= $\overline{30\ ن}$

وإذا كان أ عددًا فرديًا: أ = 2ن + 1

⟸ أ×15 = $\overline{30\ ن}$ + 10 + 5

= $\overline{0(3ن+1)}$ + 5

مثاله: 13× 15 = $\overline{0(3×6+1)}$ + 5

= $\overline{190}$ + 5

= 195

وبصفة عامة أ× 100= $\overline{00\ أ}$

أ× 9 = $\overline{0\ أ}$ – أ

أ× 99 = $\overline{00\ أ}$ – أ

أ× 11 = $\overline{0\ أ}$ + أ

يقول القلصادي في «كشف الجلباب عن علم الحساب»: «وكل عدد تضرب في أحد عشر، فضع تحته مثله ولتكن آحاد الأسفل تحت عشرات الأعلى واجمعهما فقط ».

ومثال من ذلك: إذا قيل لك اضرب ستة عشر في أحد عشر فضع الستة عشر في سطر وضع تحتها مثلها ولتكن الستة تحت العشرة والعشرة بعد ذلك هكذا: 16
16

ثم اجمعهما يكن المطلوب وذلك ستة وسبعون ومئة 176.

ومن الملاحظ، عند التصفح لكتاب الحصّار: «البيان والتذكار في علم مسائل الغبار» وكُتب القلصادي من بعده، أننا لا نجد التصريح بكون الصفر عددًا؛ بل بقي، على العموم، اعتباره «علامة للخلا» أو عامل ضرب في عشرة.

هذا على أننا نجد ضمن خوارزميات الحصّار والقلصادي للعمليات الحسابية من جمع وطرح وغيرهما ما نقف به على معاملتهما للصفر معاملة العدد.

فيقول القلصادي في «كشف الجلباب»: «إذا كان في المجموعَيْن صفر أو أصفار فاجمع العدد إلى العدد وضع الصّفر إن كان في المنزلتين لحفظ المرتبة».

ويأخذ لذلك مثلاً جمع أربعمئة 400 إلى ثلاثة ومئتين 203 هكذا يقول: «ثم اجمع الثلاثة إلى الصفر تكن ثلاثة ضعها أول المرتبة، ثم

$$\begin{array}{r} 603 \\ 400 \\ 203 \end{array}$$

اجمع الصفر إلى الصفر يكن صفرًا لا غير فتضعه في مرتبة العشرات، ثم اجمع الاثنين إلى الأربعة تكن ستة ضعها على رأس المجموعَيْن، فيكون الخارج ثلاثة وستمئة 603».

وللتأكيد على هذا العمل الذي يبدو جديدًا يعدّد القلصادي الأمثلة:

1040+5203، 502+320، 5300+3021

وفي الخلاصة إنه تمّ اعتبار الصفر، في عملية الجمع والطرح اعتبار العدد كما يلي:

أ + 0 = أ

0+ أ = أ

0 = 0 +0

الأمر الذي لخّص فيما بعد فقيل: «إنّ الصفر هو عنصر الحياد في عملية الجمع».

وتبعًا لذلك عُومل الصفر في عملية الضرب، معاملة العدد (حسب تحديد الضرب بكونه عملية يعرف بها مجموع عدّة من الأعداد المساوية للمضروب بعدد ما يكون في المضروب فيه من الآحاد).

أ × 0 = مجموع صفر من الأعداد مساوية لـ (أ) أي 0.

0 × أ= 0 + 0 + ... +0 (أ مَرّات) = 0

0 = 0 × 0

وهكذا توجّه الفكر تدريجيًا إلى اعتبار الصفر عددًا. وبذلك (حسب الحدّ العام للعدد) ستلاحظ المعادلة الآتية:

س 0 1 2... $\Longleftarrow$ $\frac{1+س}{2}$ = 0

وسينطلق البحث عن عدد يمثّل الحاشية اليمنى (الصغرى) للصفر. ويبشر باكتشاف مجموعة جديدة من الأعداد: مجموعة الأعداد النسبية[1] Z .

وبعد هذه الملاحظات العامة السريعة حول تطوّر مفهوم العدد عند علماء العرب والمسلمين سنعرض لوحات من خوارزميات أعمال الحساب المستمدّة من كتاب الحصّار ومن مصنفات القلصادي.

[كشف الجلباب عن علم الحساب]

للقلصادي

[البيان والاعتبار في علم مسائل الغبار]

للحصّار:

I– الجمع:

١) الحالة الأولى: مجموع الرقمين لا يفوق 10

67	655	9968
22	534	7635
45	121	2333

٢) تشتمل الأعداد على أصفار

603	822	6243
400	320	5203
203	502	1040

ملاحظة: أ + 0 = أ 0+ أ = أ 0+ 0= 0 =0

0 عنصر الحياد في عملية الجمع.

٣) مجموع الرقمين أصغر أو أكبر أو يساوي 10

---

(١) Z هي، في مصطلحات الرياضيات في التعليم العالي في سورية: «حلقة الأعداد الصحيحة». ينظر معجم الرياضيات المعاصرة للأساتذة صلاح أحمد وموفق دعبول وإلهام حمصي – نشرته مؤسسة الرسالة بدمشق في عام ١٩٨٣.

100	1000	10000
24	452	6432
76	548	2343
1	11	1225
		111

1423	1572	136192
746	974	78764
677	598	57428
11	11	11 1

II– الطّرح **أ – ب**

١) أرقام ب أصغر من أرقام أ في عين المنزلة:

24	223	23313
67	746	57948
43	523	34635

٢) بعض الأرقام في ب (ماعدا المنزلة الأخيرة) أكبر من مقابليها في أ:

43	057	0062
71	235	1000
28	178	0938
1	11	111

III– الضرب **أ× ب**

أ و ب ذوا رقمين:

32 ×14 23 × 64

448
8
2
12
3 32
1 4

٢) أ (رقمان)

72 ×592

42624
4
18
10
14
63
35 72
59 2

ب (٣ أرقام)

1472
12
18
8
12 23
6 4

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير
في كتاب القانون لابن سينا
(القسم التاسع عشر)*

د . وفاء تقي الدين

بلونطريس

بلونطريس الذكر ١: ٣٧٩

ذكره ابن سينا نقلاً عن ديسقوريدس على أنه اسم من أسماء نوع من السرخس يدعى السرخس الذكر، وقد وقع في أسماء أنواع السرخس تصحيف وتخليط كثير. انظر التحقيق في مادة (سرخس) من هذا المعجم.

بليخنون**

يلحرون ١: ٣٧٩

كذا وردت اللفظة مصحفة في القانون سواء في ذلك طبعة رومة وطبعة بولاق. ذكرها ابن سينا على أنها اسم يوناني لنوع من السرخس يدعى السرخس الذكر.

الصواب في هذه اللفظة بليخنون Blechnon كما جاء في معجم الدكتور أحمد عيسى. وقد وقع في أسماء السرخس المنقولة عن ديسقوريدس تصحيفات وأوهام كثيرة، فانظر تحقيقها في مادة (سرخس) من هذا المعجم.

(*) نشرت الأقسام الثمانية عشر السابقة في مجلة المجمع (مج٦٧: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) ومج (٧٩: ص٧١، ٣٣٣).

** معجم الدكتور أحمد عيسى ٧٢ (١٦).

بَلِيلَج*

بَلِيلَج ١: **٢٧١**/٢: ٦٤، ٣١٦، ٤٨٢، ٤٨٣، ٥٢٥/ ٣: ١٤٤، ١٤٥، ٢٦٥، ٢٩١، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٥، ٤٠٠، ٤٠٧، ٤١٤، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٠.

بليلج مقلو ٢: ٥٢٤

بليلج منزوع النوى ٣: ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٩٤

عسل البليلج ٣: ٣٣٩

لب البليلج ١: ٢٧١

ذكره ابن سينا في أدويته المفردة فقال: «الماهية: قريب الطبع من الأملج، ولبه حلو قريب من البندق».

اتفقت المراجع على أن البليلج ثمر شجرة تنبت في الهند ثم يحمل الثمر منها إلى الأقطار، وأكثرها على أنه من أنواع الهليلج. وصف البيروني هذه الثمرة وصفاً مفصلاً فقال: «بليلج: جوزات ملس محددة الرؤوس، غبر الألوان، في عظم العفص الكبار، لها نويات على شكلها، تنكسر عن لبوب مأكولة كلبّ اللوز أو البندق، حلوة المذاق، دسمة، مغثّية، محددة الرؤوس»، أما ابن البيطار فنقل عن إسحاق بن عمران أن «الثمرة الخضراء ترض وتجفف فتصغر. وطعمه مرّ عفص. المستعمل منه قشره الذي على نواه» ويضيف الغساني في حديقة الأزهار

* الملكي ٢: ١٢٠، والصيدنة ٩٨، ومنهاج البيان ٥٢أ، والمختارات لابن هبل البغدادي ٢: ٤٣،والمنتخب لابن العبري ٦١ ، ومفردات ابن البيطار ١: ١١٠، ومفيد العلوم ١٨، والشامل ١٠٤، والمعتمد ٣٤، ومالايسع ١٠٥، وحديقة الأزهار ٦٣ (٦١)، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ٧٩، والمعربات الرشيدية ١٣٧، وتاج العروس في مستدرك (بلج)، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ١٧٨ (١٤)، وبرهان قاطع ١: ٣٠٢ (بليله).

أن بزر الثمرة مما يُتَنَقَّل به حيث قال: «هو ثمر شجرة بأرض الهند يشبه ثمر الجوز والعفص، لونه أغبر إلى الصفرة، في داخله نوى طيب الطعم دسم يشبه الفستق والبندق، وهو مما يُقْرف على أصناف الطعام ويتفكه به». اشتهرت هذه الثمرة بأنها من الأدوية المصلحة لجهاز الهضم.

الاسم العلمي لنبات البليلج هو Terminalia bellerica من فصيلة الهليلجات Combretaceae.

كلمة بليلج معربة من الفارسية (بليله) بفتح الباء، وهي على الأغلب من أصل سنسكريتي.

بُنّ

بُنّ ١: ١٧٨/ ٢: ٤٩٠[1]

ورد هذا المصطلح في كلام ابن سينا على تدبير المشايخ في الكتاب الأول من القانون في قوله: «وليجتنبوا كل غذاء غليظ .. وكل حاد حريف .. فإن فعلوا من ذلك مالا ينبغي لهم .. أو فعلوا الخطأ الثاني، فأكلوا الكوامخ والصحناة والبن عولجوا بتناول الضد ..»

واضح من السياق أن البن نوع من الطعام المطبوخ الحريف. وهو من المشهيات للطعام، ذكره مؤلف التاج في مادة (بنن) فقال: «البن بالضم وهو شيء يتخذ كالمريّ» ونقل تعريفه إلى المعجم الكبير الذي جاء فيه: «البن إدام يتخذ كالكوامخ وغيرها. (عن الزبيدي)». ذكره أيضاً التبريزي في برهان قاطع فقال إنه إدام معروف مشهور في أصفهان.

---

٥ تاج العروس (بنن)، والمعجم الكبير لمجمع القاهرة ٢: ٥٩٤، وبرهان قاطع ١: ٣٠٤

(١) في هذه الصفحة وردت لفظة البن في الكلام على علاج هزال الكلية، ضمن عبارة مضطربة، نصها وفقاً لما جاء في طبعتي رومة وبولاق كمايلي: «وينفع شراب لبن البقر والبن المطبوخ مع ثلثه أو أربعه ترنجبين» بينما وردت هذه العبارة في المخطوطة المصورة على الشكل التالي: «وينفع شرب لبن البقر المطبوخ مع ثلثه أو ربعه ترنجبين». وهكذا تخلص الناسخ من الكلمة المشكلة. أقول: لاشيء يمنع أن يكون المراد هو البن المذكور في الموضع السابق. انظر مادتي (كامخ) و (مري) في هذا المعجم.

أما البن الذي نصنع منه القهوة المعروفة في عصرنا هذا فلم يذكر في كتب الطب واللغة القديمة، والظاهر أنه لم يعرف في بلاد العرب إلا في عصور متأخرة. ذكره مؤلف التاج نقلاً عن تذكرة داود الأنطاكي[1].

بنات عرس

انظر مادة (ابن عرس) التي تقدمت في باب الهمزة.

بنات وَرْدان*

بنات وَرْدان ١: ٢٨٠، ٤٦٥.

ذكرها ابن سينا في الأدوية المفردة فلم يصفها بل تكلم على فوائدها. وكان التداوي ببعض الحشرات أمراً معروفاً في الطب القديم، لذلك ذكرت بنات وردان في كثير من كتب المفردات.

يطلق هذا الاسم على أنواع من الحشرات مستقيمات الأجنحة لها قرون طوال تكثر في المواضع الرطبة الحارة كالمطابخ والأفران والحمامات والمراحيض. قال الزبيدي: «بنات وردان دواب معروفة هي هذه الخنافس» ويسميها أهل الشام (الصرصور) ومازال أهل السعودية يعرفونها باسمها العربي. اسمها بالفرنسية Blatte.

بنات وردان صيغة الجمع مفردها بنت وردان. ولم ترد في القانون إلا صيغة الجمع.

---

(١) توفي داود الأنطاكي سنة ١٠١١هـ على أبعد التقديرات. ومنهم من قال سنة ١٠٠٥ أو ١٠٠٨ إلخ.

* كتاب ديسقوريدس ١٤٠ (سلفينون) والحيوان ٣: ٣٧١/ ٤: ٣٩، ٢٧٢، ٣٠٠، ومنهاج البيان ٥٥ أ، والمختارات ٢: ٤٧والمنتخب ٨٩، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢١، والمعتمد ٤٠، والشامل ١٢٨، ومالايسع ١١٤، وحياة الحيوان ٢: ٣٣٦، وتذكرة داود ١: ٨٢، واللسان والتاج (ورد)، ومعجم الحيوان ٣٦، ومعجم الشهابي ٩٠.

بناست*

بناست ٣: ٣٣١

تياست ٢: ٥٩٩ كذا في طبعة رومة وصحفت

بأشكال أخرى في المخطوطات في كتاب الأدوية المركبة أي الأقرباذين ذكر ابن سينا معجوناً سماه «معجون القوفى» فكان من أخلاطه البناست.

لم يشرح ابن سينا هذا المصطلح. وهو كما جاء في المراجع اسم يطلق على صمغ شجرة البطم. وقد عبر بعضها عن الصمغ بالعلك.

لفظة بناست معربة من الفارسية، وقد اختلفت كتابتها في المراجع العربية كثيراً، فهي في القانون المطبوع بناست بالسين المهملة وآخرها تاء معجمة باثنتين من فوق، كذا وردت مرتين في الصفحة نفسها، وفي منهاج البيان ومالايسع الطبيب جهله كذلك. وهي بالشين المعجمة في الملكي وتذكرة داود. وجاءت في معجم الدكتور أحمد عيسى مفتوحة الأول بسين مهملة، وآخره باء معجمة بواحدة من تحت.

قال مؤلف مالايسع الطبيب جهله. بناست اسم فارسي لصمغ البطم. وفي الألفاظ الفارسية لأدي شير: «البناست فارسي محض وهو صمغ البطم». ضبطها التبريزي في برهان قاطع بكسر أولها وفتح السين. وقال: هي بالعربية صمغ البطم.

بَنج**

بنج ١: ١٧١، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٤٨، **٢٧٣**،

---

* الملكي ٢: ١٢٥ (بناشت)، ومنهاج البيان ٥٤ أ، والمختارات ٢: ٤٠ (بناسب)، ومالايسع ١١٤ (بناست)، ومعجم أحمد عيسى ١٤١ (٤١) بَنَاسَبْ، وبرهان قاطع ١: ٣٠٤ (بناست)، والألفاظ الفارسية المعربة (بَنَاست). وانظر مادة (بطم).

** كتاب ديسقوريدس ٣٣٤ (ايسقواس)، ٤٠ (ايا سقيامين وهو دهن البنج)، والصيدنة ٩٩، ومنهاج البيان ٥٤ ب، وشرح أسماء العقار ١٠، ومختارات ابن هبل ٢: ٤٠، والمنتخب ٧٦، ومفردات ابن البيطار ١: ١١٧، ومفيد العلوم ١٥، والمعتمد ٣٦، والشامل ١١٣، ومالايسع الطبيب جهله ١١٠، ٢٥٤ (دهن البنج)، وحديقة الأزهار ٥٨ (٥٥)، وتذكرة داود ١: ٨١، وقاموس الأطباء ١: ٨١، ومعجم أحمد عيسى ٩٦ (٢، ٣، ٥)، ومعجم الأمير الشهابي ٣٧٢، وتاج العروس (بنج، سكر، شكر)، والألفاظ الفارسية ٢٧، وبرهان قاطع ١: ٣٠٩ (الحاشية)، والمعجم الكبير ٢: ٥٧٩.

٢٨٦، ٣٥٨، ٣٨٣/ ٢: ٤٣، ٥٦، ١٢٥،
١٢٩، ١٨٩، ١٩٠، ٢٢٠، ٢٣٦، ٢٣٨،
٣٤٣، ٤٤٠، ٤٩٨، ٥١٣، ٥٤٥، ٥٥٣/
٣: ١١٥، ١٧٢، ١٧٥، ٢٢٩، ٢٧٠،
٢٧٥، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٢٩،
٣٥٨، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٣٨
بنج أبيض ١: ٢٧٣/ ٢: ٥٤٦/ ٣: ٣٣٠، ٣٤٠
بنج أحمر ١: ٢٧٣
بنج أسود ١: ١٧١، ٢٧٣
بنج مجفف ٢: ١٣١
أصل البنج ١: ٢٧٣/ ٣: ٣٢٩
بزر البنج، بزو البنج ١: ٢٥٧، ٢٧٣، ٣٨٣/ ٢: ١٦٤، ١٨٩،
١٩٠، ١٩٢، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٧،
٣٤١، ٣٤٤، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٧، ٤٣٢،
٤٣٨، ٤٦٩، ٤٩٨، ٥١٤، ٥١٧، ٥٢٠،
٥٢٥، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٨٨، ٦٢١ / ٣:
٣٠، ٥٥، ١١٩، ١٤٩، ١٦٢، ١٧٩،
٢٢٠، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٧٠،
٢٧٢، ٣٠٣، ٣١٣، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٢٣،
٣٢٥، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٤،
٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٥٠، ٣٨٢، ٣٨٦،
٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٨، ٤١٣، ٤١٦، ٤٢٢،
٤٢٣، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨
بزر البنج الأبيض ٣: ٣١٧، ٣٢٣، ٣٣٣، ٣٣٤، ٤٣٠،
٤٣٧
بزر البنج البري ٣: ٣٢٢، ٣٢٣
بزر البنج البستاني ٣: ٣٢٢، ٣٢٣

ترياق البنج	١: ٣٨٣
ثمرة البنج	٣: ١٦٢، ٤٠٢
حب البنج	٣: ٣١٩
حب البنج الأبيض	٣: ٤٣٠
دهن البنج	١: ٢٧٣/ ٢: ١٥٦/ ٣: ٢٧٠، **٤٠٢**
دهن بزر البنج	٢: ٢٣
زهر البنج	١: ٢٧٣
زهر البنج الأبيض	١: ٢٧٣/ ٢: ٤٨٥
زهر البنج الأحمر	١: ٢٧٣
زهر البنج الأسود	١: ٢٧٣
طبيخ البنج	٢: ١٨٨، ٤٣٢
طبيخ ورق البنج وبزره	١: ٢٧٣
عصارة بزر البنج	١: ٢٧٣
عصارة البنج، عصير البنج	١: ٢٧٣/ ٢: ١٣١، ٤٣٢، ٤٨١، ٦٢٢/ ٣: ١٢١، ٢٧٠، ٣٠٦، ٤١٨
عصارة شجر البنج	٢: ٢٨٣
عصارة أغصان البنج	٢: ٢٧٣
عصارة ورق البنج	١: ٢٧٣
أقراص بزر البنج	٢: ٤٣٢
قرص عصير البنج الأبيض الجاف	٣: ٤١٩
ماء بزر البنج	٢: ٢٨٣
ماء البنج	٣: ٤١٩
ماء البنج الرطب	٣: ٢٧٠
ماء ورق البنج الرطب	٢: ٤٨٤
معجون البنج	٢: ٤٣٢
المعاجين البنجية	٢: ٣٥٦

ورق البنج ١: ٢٧٣/ ٢: ٥٥١
ورق البنج الرطب ٢: ٤٨٤

ذكر ابن سينا البنج في أدوية القانون المفردة فقال: «بنج. الماهية: أردؤه وأخبثه الأسود ثم الأحمر. والأبيض أسلمه، وهو الذي يستعمل، والأولان لايستعملان، وزهر الأسود أرجواني، وزهر الأحمر أصفر، وزهر الأبيض أبيض أو إلى صفرة. وفي المستعمل رطوبة دهنية». هذا الكلام مقتبس عن ديسقوريدس الذي وصف هذا النبات وأنواعه. ونقله عنه أيضاً ابن البيطار. وهو كما جاء في كتاب ديسقوريدس: «ايسقواامس ومن الناس من يسميه ادامنتي وهو البنج، وهو ثمنش[1]، وله قضبان غلاظ، وورق عراض صالحة الطول، مشققة الأطراف، إلى السواد، عليها زغب. وعلى القضبان ثمر شبيه [بالجلنار]

بزر الفنجنكشت ٢: ٧٠، ٢٨١، ٣٧٨، ٤١٤، ٤١٧، ٤٦٢، ٤٩٥، ٥٠٤، ٥١٦، ٥٣٨، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٦٦، ٦٠٤، ٦٠٨ / ٣: ١٢٠، ٢٢٤، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٨، ٣٨٥
بزر الفنجنكشت المحمَّص ٢: ٥٤٦
ثمرة بنجنكشت ١: ٢٧٥
ثمرة الفنجنكشت ٣: ٢٣٧
دخان ورق بنجنكشت ١: ٢٧٦
زهر بنجنكشت ١: ٢٧٥
طبيخ بنجنكشت ١: ٢٧٦
طبيخ الفنجنكشت ٣: ٢٢٤
عصارة ورق الفنجنكشت ٢: ٦٠١
عيدان بنجنكشت ١: ٢٧٥
عصارة الفنجنكشت ٣: ١٤٢
أغصان بنجنكشت ١: ٢٧٥

(١) في المطبوع ثميش، والصواب ماأثبته. الثمنش أي الجنبة أو الشجيرة.

أقراص الفنجنكشت ٢: ٤١٤، ٤١٧
قضبان بنجنكشت ١: ٢٧٦
ماء طبخ الفنجنكشت والفاريقون ٢: ٦٠١
نَطولات فنجنكشتية ٢: ٥٤٨
ورق بنجنكشت ١: ٢٧٥
ورق الفنجنكشت ٢: ٤١٨، ٥١٠/ ٣: ٢٣٨

ذكره ابن سينا في فصل الباء من الأدوية المفردة، وأحال إليه في فصل الفاء، قال في ماهيته: «الماهية: نبات يكاد لعظمه أن يكون شجراً، وينبت في المواضع القريبة من المياه، وأغصانه صلبة، وورقه كورق الزيتون إلا أنه ألين، ولاتدخل عيدانه في الطب[1]، بل زهره وورقه وثمرته. وسائر مايستعمل منه فيه لطافة وحرافة وعفوصة ...».

كلام ابن سينا مأخوذ من وصف ديسقوريدس وجالينوس. قال البيروني في كلامه على هذا النبات :« .. وسمي في كتاب الترياق فنطافلن» وفي مختارات ابن هبل أيضاً أنه هو البنطايلون. وفي المعتمد نقلاً عن ابن جزلة أنه قال في البنجنكشت هو فيطافلون[2]. قال ابن البيطار: «بنجنكشت تأويله بالفارسية ذو الخمسة أصابع، وغلط من جعله البنطافلن». أما فوائده وخواصه فهي متشابهة في المراجع، وأكثرها تسمي حبه حب الفقد، وفي مفيد العلوم أن أهل المغرب يسمون شجرته شجرة إبراهيم. وجاء في كتاب ديسقوريدس أن هذا النبات يسمى (آغنس وهو الطاهر لأن الزاهدات من النساء يفترشنه في الهياكل ليقمع الشهوة.»

نقل ابن البيطار تحلية هذا النبات عن بعضهم فقال: «ورقه على قضبان خارجة من الأغصان، على رأس كل قضيب خمس ورقات مجتمعة الأسافل متفرقة الأطراف كأصابع الإنسان، وعسراً مايوجد أقل أو أكثر من خمس. وإذا

(١) قال هذا لأن عيدانه الصلبة تستخدم عكاكيز يستعان بها أثناء المشي، ونسب إليها بعضهم أنها تفيد في منع الحفا.

(٢) المعتمد ٣٨. وفي الحاوي أيضاً ٢٢: ٢٦٨ منصاميلون بنج انكشت عن حنين في الترياق.

فركت الورق ظهر منها رائحة البسباسة. وأغصانها تطول نحو القامة وأكثر. ومنه مازهره أبيض، وهو في وشائع طوال في أطراف أغصانه. وبزره ربما كان أبيض، وربما كان أسود. وليس في كل مكان يعقد الحب».(١) الاسم العلمي لهذا النبات Vitex agnus castus وهو جنبة للتزيين من فصيلة رِعْي الحمام.

ضبط القوصوني بنجنكشت بفتح الباء وسكون النون وفتح الكاف. وهو اسم معرب من الفارسية پنج ومعناها خمسة، وانكَشت ومعناها أصبع فيكون معنى الاسم ذو الخمسة أصابع. وتجوز بعضهم فسماه ذا الخمسة أوراق، وهذا ماأدى إلى خطأ من ظن أن هذا النبات هو نفسه بنطافلن، لأن معنى بنطافلن ذو الخمسة أوراق.

بُنْدُق*

بندق، بندقة	١: ١٥١، ٢٦٧، ٢٧١، **٢٧٥**، ٣٢١، ٣٢٤، ٤٢٨، ٤٦٨/ ٢: ١٣١، ١٣٦، ١٩٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٩٧، ٤٩٠، ٤٩٩، ٥٣٩، ٥٤٤/ ٣: ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٥٥.
فندق	٢: ٥٠٤، ٥٤٤/ ٣: ٣٥٩
بنادق كبار	١: ٣٦٩
بندق محرق	٣: ٢٦٦، ٢٦٩
بندق مشوي	٢: ٤٥٠، ٥١٤/ ٣: ٣٣٢

(١) وفي الشامل وصف مشابه أكثر تفصيلاً.

* كتاب ديسقوريدس (بنطيقيا)، وكتاب النبات (جلّوز)، والملكي ١: ١٩٠، والصيدنة ١٠١، ومنهاج البيان ٥٣ أ وشرح أسماء العقار٨ ومفردات ابن البيطار ١: ١١٩، ومفيد العلوم ١٦، والمعتمد ٣٨، ١٧٣ (دهن البندق)، والشامل ١١٦، ومالايسع ١١١، ٢٥٤ (دهن البندق)، وحديقة الأزهار ٦٦ (٦٥)، وتذكرة داود ١: ٨٢، ولسان العرب، وتاج العروس (بندق، وفندق)، ومعجم أحمد عيسى ٥٨ (١٣)، ومعجم الشهابي ٤٥٥، والمعجم الموحد ١٠١، ١٠٦، والمعجم الكبير ٢: ٥٨٢، وشفاء الغليل ٦٥

بندق مقشر	٢: ٥٤١/ ٣: ٣٠١، ٣٠٢، ٤٢٨، ٤٣٧
بندق مقلو	٣: ٣٦٣
حراقة البندق	١: ٢٧٥
دهن البندق	٢: ٥٢٦، ٥٤١
قشر البندق	١: ٢٧٥
لب عشرين بندقة	٣: ٢٦٦
بندق هندي	هو مدخل قائم بذاته التمسه في الموضع المناسب.

ذكر ابن سينا البندق في أدويته المفردة فقال في ماهيته: «هو معروف، أرضيته أكثر من أرضية الجوز وهو أغذى من الجوز ...»

أكدت المراجع أنه حمل شجر يعرف بالعربية بالجَلَّوْز ولم تصفه لأنه معروف. وهو ثمر الشجر الذي يعرف علمياً باسم Corylus avellana. وحين يذكر البندق في كتب الطب فالمراد البذر، وهو لبٌّ غني بالدهن لذيذ الطعم يحيط به غلاف خشبي يكون لونه أحمر بنياً حين تنضج الثمرة.

ضبطت كلمة بندق في المعجمات بضم الباء وسكون النون. قالوا: معرب عن الفارسية فندق. ورد في قانون ابن سينا بالباء والفاء. والأصح أنه منقول إلى اللغتين العربية والفارسية من اليونانية بنطيقا Pontica وهي اسم أرض تقع شمال الأناضول، يكثر فيها هذا النبات.

بندقة، بنادق*

بندقة، بنادق	٢: ١٦٨، ١٨٥، ١٨٨، ٢٢٣، ٤٨٢، ٤٩١، ٤٩٣، ٥١٥، ٥٢٠، ٦١٣، ٦٢٧/ ٣: ١١٩، ١٤٤، ١٧٩، ٢٢٠، ٢٣٧، ٣٥٥

* أقرباذين القلانسي ٥٥، ومفيد العلوم ١٦، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٢١ب (بنادق البزور)، ولسان العرب وتاج العروس (بندق)، وكشاف اصطلاحات الفنون ١: ١٤٢، والمعجم الكبير ٢: ٨٢

بنادق البزور ٢: ٤٩٣، ٥١٦، ٥٢٢
بنادق الحبوب ٢: ٤٩٩
بنادق جوزية ٣: ٣٠١
(دواء) مُبَنْدَق ٢: ٢٥٩
يُبَنْدَق (الدواءُ) ٢: ١٨٨، ٢٣٢، ٥٤٣/ ٣: ٣٠١

يطلق ابن سينا هذا المصطلح على كمية من الدواء، المعجون غالباً، تشكَّل بشكل البندقة، وتقدر بمقدارها وحجمها، فإن كان الحجم مخالفاً للبندقة نبه على ذلك، كما في قوله: بنادق جوزية.

اطرد هذا الاصطلاح في كتب القراباذينات، واشتقت منه أفعال وصفات، وأخذ يتخصص بمرور الزمن. قال القلانسي في اقرباذينه: «البنادق جمع بندقة، وهي أكبر من الحبوب في هيئة البندقة» وقال في الكلام على الشياف: «اسم لما يتحمل في المقعدة ... تسمى أيضاً البلوطة والبندقة..»، وفي مفيد العلوم: «.. وبَنْدَقَةُ الدواء تصييره على هيئة البندق». وحاول مؤلف كشاف اصطلاحات الفنون أن يجمع استعمالات كلمة بندقة فقال: «البندقة هو اسم مايتحمل في المقعدة كالشياف. ويطلق أيضاً على درهم واحد. وبعض الأطباء يجعلها مثقالاً، وبعضهم أربع دوانق. ويقال أيضاً على شيء أكبر في هيئة البندق ..» ولم يظهر لي من دراسة القانون أن ابن سينا أراد بالبندقة وزناً معيناً، لكنه أراد الشكل والحجم.

انتقلت كلمة البندق أيضاً إلى المجال العسكري. جاء في اللسان وفي التاج: «والبندق بالضم الذي يرمى به. الواحدة بندقة» وكان البندق يصنع قديماً من الطين أو الرصاص ثم غدا يصنع من النحاس والبارود ومنه سميت آلة الحرب التي تقذف البندق بالبندقية.

بندق هندي*

بندق هندي ١: ٤٢٨/ ٣: ٢٥٥، ٣٢٠

* الملكي ٢: ١١٩، ومنهاج البيان ٥٣ب، ومفردات ابن البيطار ١: ١١٩، والمعتمد ٣٩، ومالايسع ١١٢، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ٣٥ (١٦). وانظر مادة (رتة) في هذا المعجم.

فندق هندي ٢: ١٠٥

قشر الفندق الهندي الأعلى ٢: ١٠٥

ذكرته المراجع بهذا الاسم وقالت هو الرتة. أما ابن سينا فذكره أثناء كلامه على الرتة حيث قال: «هو البندق الهندي»، ونبه ابن البيطار على غلط يقع فيه فقال: بندق هندي هو الرتة، وقد غلط من قال إنه الغوفل ..» فانظر مادة (رتة) في هذا المعجم.

بندواش

بندواش ١: ٤٥٠

ورد هذا الاسم في كلام ابن سينا على الثيل حيث قال: «الماهية: قيل إنه بندكنا، وأهل طبرستان يسمونه بندواش وهو نبات معروف ..»

كذا وردت اللفظة في القانون المطبوع برومة وببولاق، وهو مما اختصرته النسخة المصورة.

لم أجد هذا الاسم في المراجع التي تكلمت على الثيل، إلا في محيط المحيط، الذي نقلت إليه عبارة ابن سينا. فهو اسم محليّ يطلقه أهل طبرستان على الثيل المعروف بالعربية باسم النخيل. ولم أظفر بما يعينني على ضبطه، انظر (ثيل).

بَنْطَافِيلون*

بنطافيلون ١: ٣٣٤

فنطافلن ٣: ٣١٢

قنطافلون ١: ٤٦٣

بنطافيلون ١: ٣٣٤

أصل بنطافلن ٢: ٥٠٣، ٥٠٥

أصل القنطافلن ٣: ٤٢٧

* كتاب ديسقوريدس ٣٢٤ (بنطافلون)، والحاوي ٢٢: ٢٦٠ (فنطافلن)، ٢٦٢ (فيطافلن)، والصيدنة ٢٩٥ (فنطافيلون) والمنتخب من مفردات الفافقي ٧٥ (بنطافلون)، ومفردات ابن البيطار ١: ١١٦ (بنطافلن)، والمعتمد ٣٨ (بَنطافِلُن)، والشامل ١١٣ (بنطافلن)، ومالايسع ١١٠ (بنطافلن)، وحديقة الأزهار ٦٠ (٥٧) بنطافلون، وتذكرة داود ١: ٨١ (بنطافلن)، ومعجم أحمد عيسى ١٤٧ (١٧)، ومعجم الشهابي ٥٣١. وانظر (ذو الأوراق الخمسة).

أصل فيطايلون	٢: ١٥٨
ماء بنطافلن	٢: ٥٠٣
ورق قنطافلون	١: ٤٦٨/ ٣: ١٥٣

ذكره ابن سينا في الكلام على اليتّوعات، ولم يتخذه مدخلاً في أدويته المفردة. قال في ماهية اليتوع: «هو كل نبات له لبن حاد مسهل مقطع محرق والمشهور منه سبعة: القشر والشبرم ... وبنطافيلون[1]، وهو ذو الأوراق الخمسة. وكلها قتالة، وأكثر الغرض فيها في لبنها»

وصف ديسقوريدس في كتابه هذا النبات فقال: «هو نبات له قضبان دقاق طولها نحو من شبر، وعليها ثمر، وله ورق شبيه بورق النعنع، خمسة على قضيب، وعسر مايوجد أكثر من خمسة، والورق مشرف من كل جانب مثل تشريف المنشار، وله زهر لونه مشرق بين البياض والصفرة. وينبت في أماكن رطبة وقرب الأنهار، وله أصل لونه إلى الحمرة مستطيل، وهو أغلظ من أصل الخربق الأسود، وهو كثير المنافع. وطبيخ الأصل ... سكّن وجع الأسنان. وإذا تُمضمض به منع خشونة الحلق. وإذا شرب نفع من إسهال البطن ...»

تحلية هذا النبات وفوائده في سائر المراجع مشابهة لما جاء في كتاب ديسقوريدس، وكذلك استعمالاته في القانون موافقة لما ذكرنا. لكن الإشكال يبقى في قول ابن سينا إنه من الأدوية القتالة. قال هذا في الكلام على اليتوع،[2] وفي الكلام على ذي الأوراق الخمسة[3]. ولم أجد أحداً صرح بأنه قتال. بل هو في المراجع من الأدوية المشروبة الداخلة في تركيب الترياق والسنوناز بوجهٍ خاص.الاسم العلمي لهذا النبات هو: Potentilla repentens

ورد اسم هذا النبات في القانون والمراجع الأخرى بأشكال مختلفة هي:

(١) صحفت في المطبوع فجعلت نبطافيلون.

(٢) القانون ١: ٣٣٤.

(٣) القانون ١: ٤٦٣ حيث قال: «خمسة أوراق هو قنطافلون .. عصارة أصله دواء قتال» على حين جاء في كتاب ديسقوريدس ٣٢٤: «وعصارة الأصل إذا كان طرياً تصلح لوجع الكبد ووجع الرئة والأدوية القتالة» !

قنطافلون، قيطافلون، بنطافلون، بنطافلن، فنطافيلن .. وكلها أشكال من التعريب أو التصحيف للاسم اليوناني Pentaphyllon ومعناه خمسة أوراق.

بَنَفْسَج°

بَنَفْسَج	١: ١٩٩، ٢٣٨، **٢٦٦**، ٢٧٤، ٣٤٤/٢: ٢٠، ٣٦، ٣٩، ٤٨، ٥٢، ٥٤، ٩٨، ١٢٧، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٨، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٦، ٣٢٩، ٣٤٢، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٦١، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٩٤، ٥٥٣/ ٣: ٢٤، ٢٨، ٣١، ٣٧، ٥٣، ١٢٢، ٣٧٨
بنفسج مبرد	٢: ٥٣
بنفسج مربى	١: ١٨٠، ٢٦٦/ ٢: ١٦٩، ٢٣٠، ٢٥٢ ٣: ٣٥، ٤٦
بنفسج مسحوق	١: ١٥٥ /٢: ٤٦٨، ٥٥١.
بنفسج يابس	١: ٢٦٦/٢: ٣٥٧/ ٣: ٤٦، ٣٨٣، ٣٨٩
أصل البنفسج	١: ٢٦٦
بزر البنفسج	٢: ٢٩٢

° كتاب ديسقوريدس ٣٥٢ (إبن)، وكتاب النبات ٦٢، والملكي ١: ٢٠٩، ٢٠٧ (شراب البنفسج) ٢: ١١٧، ١٤٨ (بنفسج)، ١٢١ (دهن البنفسج)، ٥٥٥ (قرص البنفسج المعروف بالمارستاني)، ٥٩٠ (شراب البنفسج غير المربى)، ٥٩٣ (بنفسج مربى)، والصيدنة ١٠٢، ومنهاج البيان ٥٣ ب، ١١٦ب «دهن البنفسج ١٦٤ أ»شراب البنفسج)، ٢٠٧ب (قرص البنفسج)، ومختارات ابن هبل ٢: ٣٥، والمنتخب ٧٢ ومفردات ابن البيطار ١: ١١٤، والمعتمد ٣٥، ١٦٥ (دهن البنفسج)، والشامل ١٠٩، ومالايسع الطبيب جهله ١٠٨، ٢٤٨ (دهن البنفسج)، وحديقة الأزهار ٤٣ (٣٧)، وتذكرة داود ١: ٨٠، ومعجم أحمد عيسى ١٨٩ (١٨)، ومعجم الشهابي ٦٧٨، والمعجم الموحد ٢٠٥، وتاج العروس (بنفسج)، والمعربات الرشيدية ١٣٠، والمعجم الكبير ٢: ٥٨٧، وبرهان قاطع ١: ٣٠٨.

وتركيب مالايسع ٤٦أ (دهن البنفسج)، ٥٨ب (شراب البنفسج)، ٧٤أ

دواء البنفسج ٢: ١٣٣
دهن البنفسج ١: ١٥٥، ١٨٤، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٦٦، ٤٣٢/ ٢: ٢٠، ٢٣، ٣١، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٣، ٦١، ٧٠، ١٠٥، ١٣٢، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٤، ١٦١، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٨، ٢٢٧، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٨١، ٢٨٢، ٣٢٩، ٣٤٢، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٦٦، ٥١٢، ٥١٣، ٥٢١، ٥٤١، ٥٤٧، ٥٥٥، ٥٦٦، ٣: ١٠، ٢٢، ٣٥، ٣٦، ٦١، ٦٢، ١٣٨، ١٤٣، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٦، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣١٨، ٣٩٤
دهن بنفسج طري ٢: ٢٢٦
دهن البنفسج العذب مفتّراً ٢: ٥٨٥
روائح البنفسج الذكي ٢: ٣٧
رائحة دهن البنفسج ٢: ٧٠
شراب البنفسج ١: ٢٦٦/ ٢: ٢٠، ٢١، ٤٠، ٢٠٣، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٥٢، ٤٤٨، ٤٦٦، ٤٩٧/ ٣: ٢٢، ٣٥، ٣٦، ٤٦، ٧٦، ٢٢٧، ٢٣١
طبيخ البنفسج ٣: ٣٢، ٧٢، ٢٧٨
عصارة البنفسج ٣: ٧٠، ٣٧٣
قرص البنفسج ٢: ٤٦٦
ماء البنفسج المربى ٢: ٣٢٩
مربى البنفسج ٢: ٤٦٦

ورد البنفسج ١: ٢٦٩

ورق البنفسج ١: ٢٦٩/ ٢: ٢٥٤

البنفسج من أدوية القانون المفردة، لم يصفه ابن سينا، بل قال: «الماهية: فعل أصله قريب من أفعاله، وهو معروف» ثم تكلم على استعمالاته الطبية وأكثرها لدهنه.

استغنت معظم المراجع عن وصف هذا النبات لشهرته وشهرة زهره العطر ذي اللون المركب من زرقة وحمرة، ينسب إلى لونه فيقال بنفسجي. وفي معجمات النبات الحديثة يطلق اسم البنفسج على جنس زهري له أنواع وضروب كثيرة أحدها ماوصفه ديسقوريدس وأراده ابن سينا وغيره من الأطباء واسمه العلمي Viola odorata، وهو عشب قصير حولي من الفصيلة البنفسجية، أوراقه لها أذينات مفصصة يزهر في الربيع ويكثر في المواضع الظليلة، تستعمل أزهاره في العطور والزينة، وكانت تستعمل في الأدوية. وفي حديقة الأزهار وصف لنوعين من البنفسج أحدهما ماذكرناه آنفاً وسماه البنفسج البري، والآخر من نوع الجنبة وهو البستاني. قال الغساني في وصفه: «له وريقة ملفوفة خارجة من ناحية أقماعه ممايلي طرف الغصن المتعلق به النَّوْر كلسان مسلول من القفا. وإلى هذا المعنى أشار بعض المشارقة بقوله:

زعم البنفسج أنه كعذاره حسداً فسلوا من قفاه لسانه

أما دهن البنفسج، وهو مشهور كثير الاستعمال في الطب، فله عدة نسخ تختلف في طرق تحضيرها والعقاقير الداخلة في تركيبها، لكنها لاتخلو من زيت تنقع فيه أزهار البنفسج مدةً طويلة. وكذلك شرابه الذي يصنع من الأزهار مطبوخة بالماء والسكر.

اسم البنفسج «اسم أعجمي، وقد جرى في كلام العرب» قاله أبو حنيفة. فهو من المعربات قديماً، فارسيته الحديثة بنفشه، وكان في الفهلوية القديمة ڤنڤشك. ضبط بالعربية بسكون الفاء وفتح سائر الحروف.

بنقسة

بنقسة ١: **٢٧٣** تصحيف. بيقية

بُنْك*

بنك ١: **٢٧٠**
بنك أبيض ١: ٢٧٠
بنك أصفر ١: ٢٧٠

البنك مدخل من مداخل الأدوية المفردة في كتاب القانون. قال فيه ابن سينا: «الماهية: هو شيء يحمل من الهند ومن اليمن، قال بعضهم إنه من أصول أم غيلان إذا نجر فتساقط».

يعد هذا العقار في أصناف الطيب، ذكره يوحنا بن ماسويه في جواهر الطيب المفردة فقال: «البنك جنس واحد يؤتى به من بلاد اليمن، أجوده الأصفر الخفيف العذب الريح. والأبيض منه لاخير فيه. ويقال إنه خشب أم غيلان يسقط هنالك فينخر، وهو من أصولها سوقها، يدخل في طيب النساء اليابس، ويشبه داخل الكَرَب[1] النخر». أما كتب الطب فتؤكد أنه يجلب من الهند كما يجلب من اليمن. قال ابن الخشاء في مفيد العلوم إنه غير معروف بالمغرب.وشبهه ديسقوريدس بقشور شجرة التوت، يُدَخَّن به لطيب رائحته، ولنفعه من بعض أمراض الرحم والمعدة، لكنه مما يشوش العقل.

ضبطت كلمة بنك في لسان العرب وتاج العروس وغيرهما ضبط قلم بضم الباء وسكون النون. على حين قال داود الأنطاكي: «بنك بالتحريك قشر يمني خفيف أصفر.. رائحته عطرة ..»ولا أرى ضبطه صحيحاً. اللفظة معربة من

* كتاب ديسقوريدس ٣١ (لشفشن)، وجواهر الطيب ٢٣، والملكي ١: ٢١٠، والصيدنة ٩٩، ومنهاج البيان ٥٤ أ، والمختارات ٢: ٤١، والمنتخب من مفردات الغافقي ٦٠ ومفردات ابن البيطار ١: ١٢٠، ومفيد العلوم ١٦، والشامل ١٢٨، وتذكرة داود ١: ٨٢، ومعجم أحمد عيسى ٢ (١٢)، ولسان العرب وتاج العروس (بنك)، والمعجم الكبير ٢: ٥٨٩، وبرهان قاطع ١: ٣٠٨.

(١) الكَرَب: أصول السعف الغلاظ العراض التي تيبس فتصير مثل الكتف.

بنك الفارسية. ومعنى بنك الشيء أصله وخالصه، ويسمى بها خاصة هذا الطيب. ضبطت في برهان قاطع بضم أولها وسكون ثانيها وثالثها ضبط ألفاظ.

بُنّي

البني ١: ٣٩٢

في الكلام على السمك ذكر ابن سينا بعض أنواعه مبيناً فوائدها الغذائية والدوائية فقال: «أما في الأجناس فالشبابيط أفضلها ثم البني ..»

وصف ابن الحشاء هذا النوع من السمك فقال: «هو صنف من السمك صغير يتخذ منه البُنّ وهو مريّ الحوت، وإليه ينسب. ويتخذ هذا المري بالمغرب من صنف السردين الكبير وقد يتخذ من غيره»، قال الزبيدي في تاج العروس إنه «أفخر الأنواع يكون كثيراً في النيل» ونقل أمين معلوف عن الإدريسي قوله في وصف أسماك النيل: «وفيه سمك يقال له البني وهو كبير عجيب الطعم والطيب، وربما وجد في الواحد منه خمسة الأرطال وعشرة الأرطال وأكثر وأقل» وفي كتاب الحيوان وصف لهذا السمك في طرفة استحسنت نقلها وهي[1]: «قال الأعمش لجليس له: أما تشتهي بُنانيّ[2] زرق العيون، نقية البطون، سود الظهور، وأرغفة حارة لينة، وخلاً حاذقاً؟ قال: بلى! قال: فانهض بنا. قال الرجل: فنهضت معه، ودخل منزله. قال: فأومأ إلي أن خذ تلك السلة. قال: فكشفها فإذا برغيفين يابسين، وسكرجة كامخ شِبْث. قال: فجعل يأكل. قال: فقال لي: تعال كل. فقلت: وأين السمك؟ قال: ماعندي سمك. إنما قلت لك: تشتهي؟ !»

البنيّ سمك من فصيلة الشبابيط يكون في المياه العذبة له أنواع كثيرة. واسمه العلمي Barbus والنيلي منه خاصة Barbus bynni ، وُصف في المعجم الكبير لمجمع القاهرة بأنه سمك نيلي من فصيلة الشبابيط يطول إلى نصف متر، ويزن الكبير

• كتاب الحيوان: ١: ١٤٩، ١٥١/ ٣: ١٨/ ٥: ٣٦٩/ ٦: ١٨، ومفيد العلوم ١٥، وتذكرة داود ١: ١٩١، ومجلة مجمع دمشق ٢٣: ٣٣٠ (الألفاظ السريانية في المعجمات العربية)، ومعجم الحيوان ٢٨، ومستدرك التاج (بنن)، والمعجم الكبير ٢: ٥٩٦.

(١) الحيوان ٣: ١٨.

(٢) جمع بُنّي كما هو ظاهر.

منه نحو خمسة كيلو غرامات. ظهره أصفر قاتم إلى زيتوني، وبطنه فضي اللون، وزعانفه برتقالية إلى حمراء، ومقدمه مستدير وفمه صغير، على جانب منه حسّاستان، وهما مايحيط بفمه من زوائد لحمية يتحسس بها الأشياء».

ضبطت كلمة البني بضم الباء وتشديد الياء. قال الزبيدي: «البني كقُمَيّ ضرب من السمك ..» والعامة في مصر تكسر أوله. نقل مؤلف معجم الحيوان أن هذه الكلمة مصرية الأصل من بنبنو بالمصرية القديمة. ومن العربية أُخذ اسمه النوعي الذي يعرف به عند العلماء. على حين رأى البطريرك أغناطيوس أنها سريانية الأصل.

بَهَار*

بَهَار	١: ٢٧٣
ورد البهار	١: ٢٧٣
ورق البهار	١: ٣٣٨
بهار كما فيطوس	١: ٣٣٨ يريد زهر كما فيطوس. انظر مادة (كما فيطوس)

ذكر ابن سينا البهار في الأدوية المفردة فقال: «الماهية : هو الذي يسمى كاوجشم أي عين البقر، ورده أصفر الورق، أحمر الوسط، أسمن من ورق البابونج».

جاء في المقالة الثالثة من كتاب ديسقوريدس قوله: «بفثلمن وهو البهار، وهو عين البقر، له ساق رخصة، وورق شبيه بورق ماراثن[1]، وزهر أصفر، أكبر من زهر البابونج، شبيه بالعيون، ولذلك يسمى بهذا الاسم، وينبت في الدمن[2]،

* كتاب ديسقوريدس ٣٠٠ (بفثلمن)، والملكي ٢: ١١٨، والصيدنة ١٠٤، ومنهاج البيان ٥٦ ب، وشرح أسماء العقار ٨، ومختارات ابن هبل ٢: ٤٣، والمنتخب ٧٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢١، والمعتمد ٤٠، والشامل ١٢٨، ومالايسع ١١٩، وتذكرة داود ١: ٨٣، ومعجم أحمد عيسى ١٧ (١٨)، ومعجم الشهابي ٤٤، ولسان العرب وتاج العروس (بهر)، والمعجم الكبير ٢: ٦١٧، وبرهان قاطع ١: ٣٢٢. وانظر مواد: (أقحوان) و (بابونج) و (كاوجشم).

(١) كذا في المطبوع، وفي مفردات ابن البيطار «الرازيانج». وأظن الصواب «امارقن» وهو الأقحوان.

(٢) في الأصل المطبوع «المدن» ومأأثبته من مفردات ابن البيطار ومن تابعه.

وزهره إذا سحق ...» نقل هذا النص ابن البيطار وابن رسول . ومؤلف الشامل وغيرهم. وذكرت المراجع أسماء أخرى لهذا النبات منها الأقحوان الأصفر، وبهار البر. واسمه العلمي Anthemis arvensis وهو من المركبات الأنبوبية الزهر. ويظهر لمن يراجع معجمات اللغة أن العرب كانوا يطلقون اسم البهار على أنواع من جنس هذا النبات، وعلى أنواع أخرى من جنس الأقحوان، قاله الشهابي في معجمه.

ضبطت المعجمات لفظة البهار بفتح الباء، ونقلت عن الأزهري قوله: «وأرى البهار فارسية» قلت: البهار بالفارسية تعني الربيع، وتعني زهر الأشجار عامة، وزهر النارنج خاصة. وقد يسمى بها الكاوجشم كما في العربية.

بَهْرَامَج*

بهرامج ١: ٢٧٢

فقاح بهرامج ١: ٢٧٢[١]

نطول بهرامج ١: ٢٧٢[٢]

ورق بهرامج ١: ٢٧٢

البهرامج من مفردات القانون. اكتفى ابن سينا في تعريفه بالقول: «هو من الرياحين»، ثم ذكر منافعه في الطب.

قال أبو حنيفة في كتاب النبات: «البهرامج فارسي، وهو الرَّنْف، وهو ضربان؛ ضرب منه مشرب شعر نَوْره حمرة، ومنه أخضر هيادب النَّوْر. والبهرامج هو الذي يسمى الخلاف البلخي. وكلا النوعين طيب الرائحة». ونقل ابن البيطار عن التميمي أن البهرامج هو زهرة الشجرة البَلْخيّة. ويظهر من كلام

* كتاب النبات ١: ٦٠، والملكي ١: ٢٠٩، ٢: ١١٨ (ورد البهرامج)، والصيدنة ١٠٥، ومنهاج البيان ٥٦ ب، وشرح أسماء العقار ١٠، والمنتخب ٧٣، والمختارات ٢: ٤١، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢٢، والشامل ١٢٨، ومالايسع الطبيب جهله ١١٩، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ١٦٠ (٩، ١٢)، ومعجم الشهابي ٥٨٨، والمخصص ١١: ١٤٣، ولسان العرب، وتاج العروس (بهرمج، رنف)، والمعربات الرشيدية ١٣٠، والمعجم الكبير ٢: ٦١٩، وبرهان قاطع ١: ٣٢٥.

(١) أي زهره.

(٢) أي ماؤه الذي يغسل به الوجه.

ابن سينا والأطباء أن زهره هو المستعمل في الطب. والاسم العلمي للبهرامج Salix balchia من الفصيلة الصفصافية.

كلمة بهرامج اسم فارسي لما يسميه العرب الرنف أو الخلاف البلخي أو البلخية أو الصفصاف البلخي، وهذة الأسماء الأخرى لم ترد في القانون. ضُبطت كلمة بهرامج في المعجمات بفتح أولها والميم. ونص برهان قاطع على فتح الميم في الفارسية أيضاً.

بَهَطٌ*

البَهَطّ ٢: ٣٦٧[1]، ٤٧٠، ٥٠٠، ٥٤٧

البهط: نوع من الطعام المطبوخ. ذكره ابن سينا في أطعمة بعض المرضى، ولم يصف طريقة صنعه ولا المواد الداخلة فيه.

هذا الطعام مأخوذ عن الهند، أساسه الأرزّ. نبه ابن الحشّاء شارح المنصوري على أنه ليس صنفاً من الحلوى حيث قال: «بَهَطّة: هو طعام يتخذ من الأرزّ واللبن الحليب والسكر، وقد يتخذ على مرق الدجاج، وقد لايتخذ بها، وبالجملة هو من الأطعمة لا من صنف الحلواء كما وقع في الكتاب». وقال مؤلف المنهاج إن البهطة هي المهلبيّة، وبين ابن الكتبي في تركيب مالايسع الطبيب جهله مكونات هذا الطعام فقال هي الأرز باللبن والسكر، وقد يضاف إليها صدور الدجاج. وفي اللسان والتاج أنه الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة. أما البهط في القانون فهو من الأطعمة المغلّظة، ذكره غالباً مقروناً بأصناف الحلوى مثل اللوزينج والقطايف والفالوذج والهريسة .. الخ. مما يؤكد أنه عنده، كما هو عند الرازي، طعام حلو الأرز واللبن أساس فيه.

ضبطت كلمة بهط بالتحريك وتشديد الطاء، وهي معرّبة من الهندية

---

* مفاتيح العلوم ١٦٧ (البهطة)، ومنهاج البيان ٥٦ ب (البهطة)، ومفيد العلوم ١٤ (بهطة)، وتركيب مالايسع ٢٢ أ (بهطة)، وتذكرة داود ١: ٨٣، ولسان العرب وتاج العروس (بهط)، والمعجم الكبير ٢: ٦٢٨، وبرهان قاطع ١: ٣٢٣ (بهط).

(١) في المطبوع «الهبط» وهو تصحيف.

بَهَت ومعناها الأرز. استعملت العرب هذا الاسم بالهاء في آخره فقالوا بهطة. كذا في أكثر الكتب جاء في تاج العروس «وصرح الليث أنه بلا هاء». قلت: وهكذا ورد في القانون خلافاً لسائر المراجع.

بَهْمَن*

بهمن ١: **٢٦٦**، ٢/٢٧٢: ٢٨٧، ٥٠٤/ ٣: ٣٠٢، ٣٣٧، ٣٤٠

بهمن أبيض ١: ٢٦٦/ ٢: ٥٢٤، ٥٤٠، ٥٧١/ ٣: ٣٠٣، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٥٨

بهمن أحمر ١: ٢٦٧/ ٢: ٥٤٠، ٥٧١/ ٣: ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٥٣، ٣٥٩

بهمن أحمر مقلو ٢: ٤٣٧

البهمنان ٢: ٢٦٧، ٥٤٤، ٥٧٤/ ٣: ٣٠٢، ٣٥٨

أصول بهمن ١: ٤٢٩

أصل البهمنين ٢: ٥٣٩

فرون مايرعي البهمنين ١: ٣٦٠

ذكره ابن سينا في أدوية القانون المفردة فقال: «الماهية: قطع خشبية هي أصول مجففة متشنجة متغضنة. وهو نوعان أبيض وأحمر .. مسمّن .. يقوي القلب جداً وينفع من الخفقان ..»

نقل ابن البيطار عن إسحاق بن عمران قوله في وصف البهمن: «هو

* الملكي ٢: ١٢٩، والصيدنة ١٠٥، وشرح أسماء العقار ٨، والمنتخب من مفردات الغافقي ٦٦، والمختارات ٢: ٤١، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢١، ١٢٢، ومفيد العلوم ١٦، والمعتمد ٤٠، والشامل ١١٧، ومالايسع ١١٩، وحديقة الأزهار ٥١ (٤٥)، وتذكرة داود ١: ٨٣، ومعجم أحمد عيسى ٤٤ (١٣) بهمن، ١٦١، (٢٣)، ١٧٤ (١٠) بهمن أحمر، والمعجم الكبير ٢: ٦٤٠، وبرهان قاطع ١: ٣٢٨ .

ضربان أحمر وأبيض وهما جميعاً عروق في قدر الجزر الصغار، وكثيراً ماتكون مفتولة ومعوجة، فالأحمر منها أحمر القشر إلى السواد، وباطنه أقل حمرة من ظاهره. والأبيض منهما أبيض الباطن والظاهر، ومذاقتهما جميعاً طيبة لزجة، وفي رائحتهما شيء من طيب. يؤتى بهما من أرض أرمينية من أرض خراسان ..» وقال البيروني في الصيدنة: «بهمن: هو نوعان أحمر وأبيض .. وكنت أراه في الجبال فما كنت أشبه نباته وأرومته إلا بالجزر لولا حمرة الأرومة ...» ونقل داود الأنطاكي عن الشريف صفة نبات البهمن بقوله: «نبات فارسي جبلي يقوم على ساق نحو شبر ويبسط أوراقاً سبطة كورق الإجاص لكنها شائكة كثيرة التشريف، وفي رأسه أوراق ملتفة بلا زهر ويدرك في تموز، وهو نوعان: أحمر ظاهره إلى السواد وأبيض». والظاهر أن هذا العقار غدا مجهولاً عند سواد الأطباء منذ وقت مبكر. قال ابن الحشّاء في مفيد العلوم: «بهمن: أحمره وأبيضه غير معروفَيْن بالمغرب. وكل مايستعمل عنهما من الأصول غير صحيح. وكذلك هما اليوم[1] بالمشرق مجهولان، ويستعملون نباتاً غيرهما كما فعل بالمغرب» ولهذا السبب يصعب تحديد الاسم العلمي لنبات البهمن، ففي معجم الدكتور أحمد عيسى وضع اسم البهمن مقابل ثلاثة أسماء علمية لثلاثة أجناس من النبات. أما في المعجم الكبير لمجمع القاهرة فلم يُثبَت الاسم العلمي للبهمن واكتفي بوصفه على أنه أصل نبات شبيه بأصل الفجل الغليظ، فيه اعوجاج غالباً وهو أحمر وأبيض، وذيل الوصف بصورة نبات لاتنطبق عليها أي من التحليات القديمة.

بوارد

بوارد ٣: ٤٩

جاء في كلام ابن سينا على أغذية المصابين بالحمى النهارية والليلية البلغمية قوله: «أما أغذيتهم؛ أما اللطيفة فمثل الخل والزيت .. وأما التي أقوى فالطياهيج والفراريج .. وماء الحمص أجود الأغذية لهم إذا جعل فيه الكمون وشبث وزيت، وأيضاً بوارد تتخذ من السلق والمري والخل والزيت المغسول ...

(١) أي في النصف الأول من القرن السابع للهجرة.

ويجتنب البقول التي فيها تبريد وترطيب ..»

بوارد. كذا وردت اللفظة في القانون بطبعتيه وفي النسخة المصورة. والمعروف أن هذا الوزن يجب أن يكون جمعاً لفاعله أي باردة، لكن سياق الكلام أوحى إلي أنه ربما أراد بهذه الكلمة ماجاء في مادة برد في تاج العروس وهو : «برد الخبز صب عليه الماء فبله فهو برود كصبور ومبرود. وهو خبز يبرد في الماء تطعمه النساء للسمنة». لم تتكرر الكلمة بهذه الصيغة مرة أخرى في سائر كتاب القانون.

بوحا*

بوحا ١: ٢٨٠/ ٣: ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٧

في فصل الباء من أدوية القانون المفردة مدخل بعنوان بيش موش بوحا. جاء فيه: «الماهية: أما بوحا فحشيشة تنبت مع البيش، فأي بيش جاوره لم يثمر شجره، وهوأعظم ترياق البيش، وله جميع المنافع التي للبيش في البرص والجذام. وأما بيش موش ...»نقلت كلام ابن سينا السابق كل المراجع التي تلته.وأظنه هو قد أخذ معلوماته من الخوزي الذى نقل عنه البيروني في الصيدنة حيث قال: «بيش موشك. قال صهار بخت هو فأرة غذاؤها البيش ولحمها يقاوم البيش ويمنع ضرره. وقال الخوزي: إنه ينبت مع البيش نبات يسمى بوحا[1] يؤتى به من الهند مع البيش فمنافعه مثل منافع بيش موش ..» الاسم العلمي لهذا النبات هو Aconitum anthora ومعناه قامع السم.

بودريحان

بودريحان ٣: ٣٠٣ (في طبعة رومة نودرنجان وهو الصواب)

* الصيدنة ١٠٧ (بيش موشك)، ومنهاج البيان ٥٦ أ (بوحا)، ٥٧ ب (بيش موش بوحا)، ومختارات ابن هبل ٢: ٤٢ (بيش موش بوكا)، ومفردات ابن البيطار ١: ١٣٣ (بيش موش بيشا)، وتذكرة داود ١: ١٨٥ (بيش موش وبيش موشن ويقال بوحا)، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ٤ (١٣). وانظر مراجع بيش.

(١) في الصيدنة المطبوع «يسمى بـ وحاتى» وفي حاشيته وحافى وكلاهما تصحيف.

بودرنجبين أبيض وأحمر ٣: ٣٤٠

(في طبعة رومة بودرنجين وهو تصحيف أيضاً)

كلاهما تصحيف والصواب نودريجان أو نودريجين، يريد نوعَيْ التودري الذي قد يسمى أيضاً توذريج أو نودرنج. انظر مادة نودري.

بورج

بورج ٣: ٤٠٧

خطأ طباعة حدث في طبعة بولاق فقط. وهو في طبعة رومة والمخطوطات بورق. فانظر تلك المادة في موضعها.

بورس ذرنبدي

البورس الذرنبذي ٢: ٥٩٠

ورد هذا الاسم ضمن دواء لعلاج حكة الرحم حيث قال ابن سينا: «ولطخ فم الرحم بمثل الأقاقيا و .. وأشياف ماميثا أو البورس الذرنبذي والخل ودهن الورد ..».

كذا وردت اللفظة في طبعة بولاق، والذي في طبعة رومة: « .. وأشياف ماميثا والتوب الذي يبرئ والخل ..». وفي المصورة: « وأشياف ماميثا والموش الدرزيدمي». كل هذا تصحيف والصواب بُوش دَرْبَنْدي وهو من الشيافات. انظر (بوش دربندي).

بُورَق*

بورق، بوارق ١: ١٦٦، ٢٤٤، ٢٢٩، ٢٥٢، **٢٦٧**، ٢٦٨، ٢٧٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٧١، ٤١٠،

* كتاب ديسقوريدس ٤٢٦ (نيطرون)، والحاوي ٢٠: ١٣٤، والملكي ٢: ١٣٢، والصيدنة ١٠٢، ومنهاج البيان ٥٥ب، وشرح أسماء العقار ٩، والمنتخب ٨٤، والمختارات ٢: ٤٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢٥، ومفيد العلوم ١٧، والمعتمد ٤١، والشامل ١١٧، ومالايسع ١١٦، وتذكرة داود ١: ٨٤، وتاج العروس (برق)، والمعرَّبات الرشيدية ١٧٤، والمعجم الكبير ٢: ٢٥، والمعجم الموحد ٣: ٣٣، وبرهان قاطع ١: ٣١٥ (بوره) وانظر مادة (نطرون).

٤٦١، ٤٦٩، ٣٤٢، ٣٧١، ٣٩٦ / ٢: ٣٤،
٨٩، ١٠٣، ١١٦، ١٢٥، ١٣٢، ١٣٤،
١٥١، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٩، ١٧٧، ١٩٠،
١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٢، ٢٢١، ٢٢٢،
٢٢٣، ٢٢٤، ٣٣٠، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٩٠،
٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٦، ٤١٨،
٤٤٥، ٤٤٩، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٦٨،
٥٢٠، ٥٤١، ٦٠٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٥،
٣٢٦ / ٣: ١٤، ٢٢، ٢٩، ٣٥، ٣٧، ١١٩،
١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٨٣، ٢١٩، ٢٢١،
٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٥٣، ٢٦٥، ٢٦٩،
٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠،
٢٨١، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥،
٢٩٩، ٣٠٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٤٠٦، ٤٣٩

بورج ٣: ٤٠٧ (كذا في المطبوع ببولاق)

بورق أرمني ١: ٢٦٧، ٣٧٦ / ٢: ١٣٤، ١٥٧،
١٥٨، ١٨٨، ٢٢١، ٥٠٣ / ٣: ٢٩٠،
٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٤٢١، ٤٢٤

بورق أحمر ٢: ٣٩٤ / ٣: ٢٧٠، ٣٤٨، ٤٠٦، ٤١٣
٤٣٥

بورق أسود ٣: ٤٢١

بورق أفريقي ١: ٢٦٧ / ٣: ٢٦٩

بورق فريطي ١: ٢٦٨

بورق غير محرق ١: ٢٦٨

بورق محرق ١: ٢٦٨

بورق التنين ٢: ١٩٢

بورقية	١: ٢٦٨، ٢٨٧، ٣٦٤، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٦١
ثفل البورق	١: ٢٦٨
رغوة البورق	١: ٢٦٨ / ٣: ١٢، ١٨٣، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٧٨
رماد البورق	٢: ١٨٥
زَبَد البورق	١: ٢٦٧، ٢٦٨/ ٢: ٦٢٠
قيروطي البورق	١: ٢٦٧
ماء البورق	١: ١٥٦، ٢٦٨/ ٣: ١٣٠

البورق من الأدوية المعدنية التي ذكرها ابن سينا في مفردات القانون فقال: «الماهية هو أقوى من الملح ومن جنس قوته لكن ليس فيه قبض. وقد يحرق على خزف فوق جمر ملتهب حتى ينشوي .. الاختيار: أجوده الأرمني الخفيف الصفائحي الهش الإسفنجي الأبيض ...»

ذكرت المراجع هذا الملح بأنواعه المختلفة ومعادنه الكثيرة واتفقت على أن أجود هذه الأنواع البورق الأرمني، وفيها جميعاً أن البورق يسمى بالعربية النطرون، لكنها اختلفت في دلالة هذا الاسم على نوع دون آخر. فمن الأطباء من قال إن النطرون هو البورق المجلوب من أرمينية، منهم ابن سينا، ومنهم من قال هو البورق الأحمر، ومنهم من قال هو البورق المصري .. والمراجع القديمة ـ كما قلت مراراً ـ تخلط في التسميات بين الأنواع المعدنية المتشابهة، ولهذا أطلق اسم البورق حتى على ملح الطعام فسمي بورق الخبز قال ابن الحشاء في مفيد العلوم: «وبورق الخبز هو الملح المعلوم ..».

البورق بالمدلول الحديث للكلمة هو ملح بورات الصوديوم، من أملاح البوريك، يذوب بسهولة في الماء الدافئ، وبصعوبة في الماء البارد، ويوجد في الطبيعة على هيئة بلورات منشورية أو كتل أو قشور نتيجة تبخر° مياه البحيرات الملحة. كذا في المعجم الكبير لمجمع القاهرة. اسمه العلمي لايختلف عماورد في القانون وهو Borax.

ضبطت كلمة بورق في تاج العروس بضم الباء ضبط ألفاظ، وفي غيره

° [هذه الكلمة غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها السياق / المجلة].

ضبط قلم. وضبطت في بعض المراجع بفتحها ضبط قلم. جمع ابن سينا البورق على بوارق. وهي لفظة معربة فارسيتها بُورَه.

بُوزِيدان*

بوزيدان ١: ٢٧٢/٢: ٥٣٩، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٤، ٦١٩، ٦٢٢، ٦٢٣/ ٣: ٣٢٢، ٣٥٨

بوزيدان أملس دقيق العود قليل البياض ١: ٢٧٢

بوزيدان غليظ كثير الخطوط الخشنة ١: ٢٧٢

بوزندان ١: ٢٦٣/ ٢: ٦١٧، ٦١٩/ ٣: ٤٣٨

بورندان ١: ٤٣٦

حب البوزندان ٢: ٦١٧

ذكره ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة فقال: «الماهية: دواء خشبي فيه مشابهة لقوة البهمن. الاختيار: جيده الأبيض الغليظ .. نافع من وجع المفاصل والنقرس نافع من السموم».

وجدته في معظم مراجع الطب والنبات حيث نعت بأنه أصول لبعض نباتات الهند يجلب منها على شكل قطع خشبية صلبة ذات لون أبيض فيها خطوط بالطول .. تشابه أصول البهمن الأبيض. جاء في الصيدنة أن منه نوعاً بغدادياً يُعرف بمستعجل وهو أملس غير متشنج يتناول للسِمَن. ونقل ابن البيطار عن ابن رضوان أنه ضرب من المستعجلة، وسماه بعض أهل المغرب خصى الثعلب فخطأهم ابن الخشاء حيث قال: «بوزيدان هو دواء هندي غير معروف بالمغرب. وأخطأ من قال إنه خصى الثعلب خطأ فاحشاً» لكن تنبيهه لم يلق أذناً صاغية، لأن اسم خصى الثعلب ظل يطلق في المغرب على بعض أنواع هذا العقار. قال مؤلف

---

* الحاوي ٢٢: ١٤، والصيدنة ١٠٣، ومنهاج البيان ٥٥ ، والمختارات ٢: ٤٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٢٢، ومفيد العلوم ١٧، والمعتمد ٤١، والشامل ١٢٨، ومالايسع .. ١١٤، وحديقة الأزهار ٥٩ (٥٦)، وتذكرة داود ١: ٨٣، ومعجم الدكتور أحمد عيسى ١٢٩ (٨، ١١)، والألفاظ الفارسية المعرّبة ٣١، والمعجم الكبير ٢: ٦٧١، وبرهان قاطع ١: ٣١٦.

حديقة الأزهار في كلامه على البوزيدان: «هو نبات يشبه البهمن الأبيض في اللون والقوة لا في الشكل، ويعرف بخصى الثعلب، ويسمى بالمستعجلة لأنه يعجل السِّمَن ..» والظاهر أن القدماء لم يتفقوا على ماهية هذا العقار، وهو مما ذكره مؤلف الشامل في آخر حرف الباء، ومن عادته أن يذكر الأدوية المجهولة في الأخير، واكتفى في وصفه بالقول: «هو عرق أبيض مصمت».

بوزيدان كما في المعجمات النباتية الحديثة عشب معمر اسمه العلمي Orchis flava من الفصيلة السحلبية يكون له وقت الإزهار درنتان لحميتان إحداهما تضمر تدريجياً ويخرج منها الجزء الزهري، على حين الأخرى تتضخم تدريجياً بما تختزنه من المواد المدخرة. وتستعمل الدرنة غذاء ... ولذلك قد يسمى هذا النبات قاتل أخيه. يعرف اليوم في الشام ومصر باسم السحلب، ويشرب سحيق درناته كالشاي.

اختل إعجام هذا الاسم في مواضع عدة من القانون. وهو كما في المعجمات: بُوزِيدان اسم معرّب. قال ابن الكتبي إنه أعجمي هندي. وأكثر الآخرين على أنه معرب من الفارسية بوزيدان. نصّ برهان قاطع على وزنها هكذا وعلى أنها بالدال المهملة، على حين ضبطها الغساني في حديقة الأزهار بقوله: وبوزيذان بكسر الزاي وبالذال المعجمة. ولم أجد الذال معجمة في أي مرجع آخر.

(التعريف والنقد)

كتاب المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية

المستشفيات وكلية طب الشام(*)

د. عزة حسن

هذا كتاب طريف، فريد في بابه. ألَّفه عالم كبير شهير في التاريخ وتاريخ العلوم. وهو الأستاذ الجليل الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي، من أساتذة كلية الآداب في جامعة إستانبول. وقد شغل سنواتٍ طويلةً، وبجدارة وكفاية عالية، منصبَ المدير العام لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في إستانبول. وهذا المركز مؤسسة علمية من الطراز الرفيع، تابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، قائم في جناح خاص من قصر يبلديز الكبير الشهير. وقد انتُخب الأستاذ الدكتور أكمل الدين حديثًا، عن جدارة واستحقاق، لمنصب الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم كل دول العالم الإسلامي. ومقرها في جُدَّة بالمملكة العربية السعودية.

دعاني إلى الاهتمام بهذا الكتاب العلمي، والرغبة في التعريف به، معرفتي لمؤلِّفه العالم الكبير، وثقتي بمكانته العلمية الرفيعة، وعلمي الوثيق لحبه للغة العربية التي يتكلمها بأفصح لسان، ويكتبها بأصحّ عبارة، وأجمل أسلوب، ولشغفه بالثقافة العربية والحضارة الإسلامية، ولعمله الدؤوب في التعريف بثمارهما وقيمهما، وفي كشف وبيان آثارهما القيِّمة في بناء صرح الحضارة الإنسانية.

---

* منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمّان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، تأليف أكمل الدين إحسان أوغلي.

وحفزني إلى ذلك أيضًا محتوى الكتاب نفسه. فهو يتضمن معارفَ وحقائقَ ومعلوماتٍ عن بلدنا سورية، يجهلها عامة الناس. يُضاف إلى كل ذلك أنني أعْرِف بنفسي بعض المنشآت الصحية التي عرض لها المؤلِّف، فتحدث عن تأسيسها، وبيّن جدواها وأثرها في نهضة بلدنا، وتأسيس العلم الحديث وتقدمه فيه. فكم من مرة استشفيت في مستشفى الجامعة القديم بدمشق، وهو بناء عثماني، وحَظِيت بعناية أطبائه خلال دراستي في كلية الآداب بجامعة دمشق، في خمسينيات القرن الماضي. وكم من مرة لجأت إلى المستشفى الوطني بحلب، وهو بناء عثماني، وحظيت بعناية أصدقائي الأطباء فيه، حين مرضي أو مرض أحد من أسرتي، في سنوات إقامتي بمدينة حلب. وقد دُعيت مرة للذهاب إلى المستشفى العسكري في حي الرمضانية بحلب، وهو بناء عثماني في الأصل، من أجل معاينتي الصحية بسبب دعوتي لخدمة العَلَم، أي الخدمة العسكرية الإلزامية في بلدنا سورية.

وهذا الكتاب دراسة علمية دقيقة لموضوع طريف بكر. لم يطرقه أحد قبل صدور هذه الدراسة. فقلما يخطر على بال إنسان أن يشتغل بمثل هذا الموضوع الطريف العجيب. والحق أنه لم يسبق لعالم أو باحث كتابة مقال أو إعداد بحث فيه، بَلْهَ تأليفَ كتاب كامل قائم بنفسِه، كافٍ وشامل لكل جوانب الموضوع، ومحيط بكل أطرافه.

قد نرى كلامًا وجيزًا، يأتي عرضًا في بعض المؤلفات، ويلمس جانبًا جزئيًا من جوانب الموضوع. لكنه لايجدي شيئًا كثيرًا، ولايشفي غليلاً. مثل كتاب (الطب والمدارس الطبية العربية من نهاية القرون الوسطى وحتى العصر الحديث)، وهو أطروحة دكتوراه، من إعداد محمد كامل شحادة، بإشراف الدكتور محمد زهير البابا،

في معهد التراث العلمي العربي، قسم تاريخ العلوم الطبية، بجامعة حلب. ومثل كتاب (المستشفى الوطني بحلب)، وهو رسالة علمية، من إعداد عبد المنعم سكر وماجد سلطان الأشرفي، بإشراف أحمد فيصل الرفاعي، في معهد التراث العلمي العربي، قسم العلوم التطبيقية، بجامعة حلب.

ونذكر في هذا الشأن مقالاً للمرحوم الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، بعنوان (تعريب علوم الطب)، نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٦٠)، الجزء (٤)، ص (٦٤٧-٦٦٥). ونذكر في هذا الشأن أيضًا مقالاً للدكتور عبد الله واثق شهيد الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق، بعنوان (تجربة سورية الرائدة في مجال تعريب العلوم في التعليم العالي). وقد ألقاه في الندوة الدولية حول قضية (اللغة العربية .. إلى أين؟) التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والبنك الإسلامي للتنمية، في الرباط بالمملكة المغربية، بتاريخ ١-٣ تشرين الثاني سنة ٢٠٠٢م. ثم نشر المقال نفسه في مجلة (التاريخ العربي) التي تُصدرها جمعية المؤرخين المغاربة في الرباط، في العدد الخامس والعشرين، شتاء ٢٠٠٣م، ص (٢٩٣-٣١٣).

ذكر المؤلِّف السبب الذي دعاه لتأليف هذا الكتاب، في أول مقدمته، فقال:

«يأتي ظهور هذا الكتاب ثمرة للالتقاء بين مصادفة بحتة ومشغولية بأمر معيَّن. وهذا الأمر هو الرغبة الصادقة في إعادة رسم صورة التاريخ العثماني، بشكل يتفق والحقائق التاريخية، بعد أن تشوّهت، لأسباب غير علمية، زورًا وبهتانًا، والكشفُ عن قيم الحضارة العثمانية التي انطمست بين ظلمات الجهل أو سوء النيّات».

وتابع المؤلِّف كلامه على بداية اهتمامه بموضوع الكتاب. فقال في مقدمته:

«أما الكتاب الذي بين أيدينا عن (المؤسسات الصحية العثمانية في سورية) فقد ظهر نتيجة لالتقاء بعض المصادفات مع هذا الاهتمام، أو المشغولية التي تحدثت عنها. وكانت أُولى هذه المصادفات في عام ١٩٨٥، عندما دعتني الزميلة الفاضلة الأستاذة (كول راسل) لحضور الندوة التي عقدتها في (دبلن) عاصمة إيرلندا. وكانت تحت عنوان (أسس تاريخ الطب العربي الحديث). وكان المقرَّر في الندوة الحديثَ عن المؤسسات التي كان لها دور الريادة في مجال الطب الحديث في البلدان العربية. وفي ذلك الاجتماع الذي خُصِّص لدراسة تاريخ مدارس الطب التي أُقيمت في القاهرة وبيروت، كانت مفاجأة الندوة أن يقع اختيارنا على موضوع (كلية طب الشام العثمانية) التي لم يكن أحد من كل الحاضرين تقريبًا يعرف شيئًا عنها، على حين كان علمنا نحن بها نتيجة للدراسة التي قام بها المرحوم الأستاذ الدكتور علي رضا آتاصوي. فقد كان واحدًا من أساتذة تلك الكلية. وكانت دراسته عنها هي كل ماكان موجودًا، مما شجعنا على هذا الاختيار».

وأضاف المؤلِّف، في مقدمته، كلامًا بيّن فيه استكمال مواد الكتاب. فقال:

«وفي عام ١٩٨٨م شاركنا في تنظيم وإعداد (مؤتمر تاريخ الطب التركي الأول). وحرصنا آنذاك على أن يكون للمؤسسات الصحية في العهد العثماني الأخير قسم مستقل ضمن أعمال المؤتمر. وقدّمنا تحت ذلك العنوان ورقة عن (المستشفيات في سورية). أما في عام ١٩٨٩م عندما دُعينا لمؤتمر تاريخ العلوم الذي نظمه (معهد التراث العلمي العربي) التابع لجامعة حلب، في مدينة طرطوس السورية، فقد قدّمنا ملخَّصًا لهذا الكتاب مع الرسوم والجداول الخاصة به. ورأينا عند ذلك بريق الحقيقة وهو يلمع في عيون الكثيرين من الزملاء

السوريين.

وأدرك الجميع بوضوح مدى التقدُّم الذي بلغه العهد العثماني الذي كان يُوصم دائمًا بأنه مظلم، ومدى الفرق الشاسع بين ذلك الموقف والصورة التي ترسّخت في الأذهان. فكانت سعادتنا عظيمة ونحن نكشف عن الأدلة بوثائق لاتحتمل اللَّبْس. فالأوراق والبحوث التي قدّمناها نتيجة لتلك المشغولية، والمصادفات التي تحدَّثنا عنها هي التي شكَّلت المسودات الأولى لهذا الكتاب».

لقد رجع المؤلِّف إلى المصادر والمراجع الأصيلة التي تتعلق بموضوع الكتاب. واستقى منها بصدق وإخلاص معلوماته كلها. ووثَّقها بأمانة علمية مثلى. ونرى تفصيلاً لها في (قائمة المصادر والمراجع) التي نظمها، وألحقها بالكتاب.

ونرى إشارة واضحة إلى قيمة هذه المصادر وأهميتها في قول المؤلِّف في مقدمة الكتاب:

«وقد كشفت لنا مصادر ذلك العهد عن معلومات جد ثريّة ومتنوعة، قد لانصادفها في عهد آخر من عهود التاريخ العثماني. وأحد المصادر الأساسية الذي نود الوقوف عنده، وتأكيد أهميته، هو (جريدة سورية) و (جريدة الفرات). وبدأ نشر هاتين الجريدتين في الشام وحلب عام ١٨٦٥ و ١٨٦٧م، جريدتين رسميتين للولاية، باللغتين التركية والعربية. وهما المصدران اللذان تزوّدنا منهما بالمعلومات التي أثْرَتْ هذا الكتاب، والإحصائيات التي شكلَّت جداوله. وهما كنز قيّم، لاغنى عنه للباحثين حول ذلك العهد، بما يضم من مادة ثريّة ومتنوعة. فهما يقدمان، باللغتين التركية والعربية، المعلومات والوثائق الرسمية التي تكشف، بشكل مفصَّل، عن الأعمال التي كان يُنجزها الإداريون العثمانيون، في مجالات التعليم والصحة والإعمار. وتعكس في الوقت نفسه الأنشطة

المختلفة في الولايتين، ومدى اهتمام الأهالي بها. ومن ثَمَّ فهما مصدران فريدان في بابهما».

وقد عرف هذا الصدق وهذه الأمانة العلمية في توثيق الكتاب الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت، وهو مقرر لجنة تاريخ بلاد الشام في عَمَّان. فقال عن ذلك على سبيل التنويه، في تقديمه للكتاب:

«لقد قام الزميل الأستاذ الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي على هذه الدراسة الموثقة الشاملة، بكل ماعُرف عنه من دأب وصبر وأناة ودقة في التعبير، مزوِّدًا الدراسة بالمصادر الأولية والمراجع، من عثمانية وتركية وعربية وأجنبية، وبخاصة باللغة الفرنسية».

وحقًا أتى هذا الكتاب ثمرة طيبة لجهود علمية كبيرة. بذلها المؤلف في جد واجتهاد، والتزام دقيق صارم للمنهج العلمي وقول الحقيقة. فوفى الموضوع حقه في صدق وأمانة. وبيّن جدوى المنشآت الصحية العثمانية في بلدنا، وكشف عن أثرها العلمي والصحي والاجتماعي فيه.

وقد أدرك هذه الحقيقة وأبان عنها الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت. فقال في تقديمه للكتاب مشيرًا إلى ذلك:

«وتجيء هذه الدراسة الموضوعية الشاملة، القائمة على قراءة دقيقة ومتأنية للمصادر التاريخية، من سالنامات وصحف تركية وعربية، وأوراق رسمية ومذكرات، فريدةً من نوعها، في تناولها للخدمات الطبية في بلاد الشام، في حلب ودمشق وبيروت وبقية المدن الشامية، بمبادرة من دولة السلطنة العثمانية... وتقدّمُ صورة واضحة عن المخصصات المالية والعينية التي أُفردت لهذه المؤسسات، في زمن كانت الدولة تعاني فيه من العسر المالي. وتواجه تحديات أجنبية كثيرة، وبخاصة عشية دخول الدولة في حمّى

الحرب العالمية الأولى».

ويجدر بنا هنا أن نبيِّن فائدة هذا الكتاب في إبراز أثر (كلية طب الشام) العثمانية في الجانب اللغوي. ونعني المصطلح العلمي العربي في العصر الحديث، ولاسيما في العلوم الطبية وتعليمها. وكان تدريس الطب في هذه الكلية باللغة التركية العثمانية.

وقد أوضح مؤلِّف الكتاب هذا الأثر اللغوي المفيد بكلامه على (كلية طب الشام). فقال:

«ويبدو أن التعليم باللغة التركية في (كلية طب الشام) مَزِيّة لمصلحة أهالي المنطقة، لأن هذه الكلية هي التي شكَّلت أساس كلية الطب في دولة سورية المستقلة فيما بعد. فقد كان التدريس في (كلية طب الشام) باللغة التركية العثمانية أمرًا يَسَّر الانتقال إلى تدريس الطب باللغة العربية دون عوائق. وأصبح ذلك من المزايا الهامة التي انفردت بها كلية الطب في دمشق دون سائر كليات الطب في العالم العربي التي لازال يُدَرَّس الطب فيها باللغات الأوربية. ولاشك أن هذا تعبير واضح عن مدى الأثر الذي تركته (كلية طب الشام) في تدريس الطب باللغة العربية.

«ويرجع السبب في ذلك إلى حركة ترجمة العلوم الحديثة إلى اللغة التركية العثمانية، التي قام بها معلمو الطب بالتركية في كلية طب إستانبول. فإن المنهج الذي جروا عليه في وضع المصطلح قد يَسّر انتشاره في سائر الدول الإسلامية الأخرى. ففي الوقت الذي كان الأوربيون فيه يضعون الكلمات والمصطلحات الجديدة للمفاهيم والمواد المكتشفة حديثًا مستعينين باللغتين القديمتين اليونانية واللاتينية، اللتين هما الأساس التقليدي في الأرضية الثقافية، كان العثمانيون قد فضّلوا، في مقابل ذلك، سبيل الاشتقاق ووضع مصطلحاتهم الجديدة من اللغتين

العربية والفارسية، اللتين تشكّلان إلى جانب اللغة التركية الأسس التقليدية في حضارتهم. ورأى رُوَّاد الجمعية الطبية أن يستفيدوا من الثراء العظيم في أدبيات الطب الإسلامي التقليدي المدوَّن بالعربية. فراحوا يضعون لمصطلحات الطب الحديث مفردات جديدة، تعتمد بالدرجة الأولى على اللغة العربية»[1].

قدّم المؤلِّف لكتابه بمقدمة ذكر فيها السبب الأساسي الذي دعاه لتأليفه. وبيّن المراحل التي أتمّ فيها أقسام موضوعه. ثم تحدَّث عن المصادر والوثائق الأساسية التي اعتمد عليها. ومنها (جريدة سورية) و(جريدة الفرات) اللتان كانتا تصدران باللغتين التركية والعربية.

وكتب المؤلِّف مدخلاً، ألقى فيه (نظرة على المؤسسات الصحية في بلاد الشام قبل العهد العثماني).

ثم كسر مضمون الكتاب على ثلاثة فصول.

الفصل الأول: المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية

أولاً: المستشفيات في دمشق.

١- المستشفى المركزي العسكري بدمشق والخدمات الصحية العسكرية.

٢- مستشفى الغرباء بدمشق.

٣- افتتاح مستشفى للنساء في قسم من مستشفى الغرباء بدمشق.

٤- مستشفى الحميدية للغرباء بدمشق.

ثانيًا: المستشفيات العثمانية في حلب.

١- مستشفى الرمضانية المركزي العسكري بحلب.

٢- مستشفى الحميدية للغرباء بحلب.

(1) المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية، ص (٩٤ – ٩٥).

ثالثًا: المؤسسات الصحية الأخرى في ولاية سورية.

الفصل الثاني: كلية طب الشام

أولاً: معاهد تعليم الطب الحديث في الدولة العثمانية.

١- بداية التعليم الطبي الحديث عند العثمانيين.

٢- معاهد التعليم الطبي الأخرى داخل أراضي الدولة العثمانية.

أ- مدرسة الطب المصرية.

ب- مدرسة الطب والصيدلة الأمريكية في بيروت.

ج- كلية الطب الفرنسية الكاثوليكية في بيروت.

ثانيًا: كلية طب الشام الملكية أو كلية طب دار الفنون العثمانية.

١- تأسيس كلية طب الشام.

أ- الاستعداد لافتتاح كلية طب الشام.

ب- الاحتفال بافتتاح كلية طب الشام.

ج- بداية الدراسة في كلية طب الشام.

د- هيئة تدريس الصف الأول.

هـ- إقامة بناء خاص بالكلية.

٢- أمور الإدارة والتدريس في كلية طب الشام.

أ- هيئة الإدارة.

ب- هيئة تدريس الصف الثاني.

ج- هيئة تدريس الصف الثالث.

د- هيئة تدريس الصف الرابع.

هـ - هيئة تدريس الصف الخامس.

٣– كلية طب الشام خلال العهد الدستوري الثاني.

أ – هيئة تدريس الصف السادس ومواد الدراسة.

ب – انتقال كلية طب الشام إلى مبناها الجديد.

٤– انتقال كلية طب الشام إلى بيروت.

٥– إغلاق كلية طب الشام.

٦– أهمية كلية طب الشام في المنطقة.

٧– خلاصة موجزة للوضع.

الفصل الثالث

الملاحق:

أولاً: تعريب التعليمات المحتوية على أصول إدارة المستشفى الحميدي بدمشق.

ثانيًا: بعض الملاحظات على القيام بمهنة الطب والصيدلة في سورية.

ثالثًا: إحصائيات المستشفى الحميدي للغرباء بدمشق.

وأمّا بعد فإنني أقول في الختام ماكان ينبغي لي قوله في بدء الكلام. ذلك أنه قد تولاّني العجب والإعجاب معًا، حين قرأت عنوان الكتاب. وازداد عجبي وإعجابي حين تصفحته أوَّلَ وَهْلة، ورأيت وثائقه وجداوله وصوره. ثم مضيت في قراءته بتمامه، متعجبًا متمتعًا، مع الشعور بكامل الثناء، وبالغ التقدير، لمؤلِّفه العالم الكبير. جزاه الله خيرًا، ولَقَّاه بِرًّا، وزاد في عمره عمرًا.

(آراء وأنباء)

تقرير عام شامل حول أعمال المجمع السنوية(*)

السيد رئيس المجمع، السادة الزملاء، يرافق هذا التقرير، تقرير سنوي آخر يوضع بين أيديكم لتطالعوا فيه ماأُحصي من أعمال المجمع المنجزة وتطّلعوا على ماقمنا جميعًا به منها في عام. وهو كغيره من التقارير السنوية السابقة التي أشرفت على إعدادها منذ ثماني سنوات، حصيلةُ أعمالنا السنوية فيها دون ما نطمح إليه.

لقد استجابت الدولة لمطلبنا تطوير قانون المجمع، وأخذت بمقترحاتنا في تحديثه، فأصدر السيد رئيس الجمهورية مشكورًا القانون ذا الرقم ٣٨ بتاريخ ٢٠٠١/٦/٦ الذي ضمنّاه مقترحاتنا تلك، في عضوية المجمع ومجلسه ومكتبه ولجانه ووسائل عمله. فارتفع عدد أعضاء المجمع من عشرين عضوًا إلى خمسة وعشرين. وأحدث القانون، بما اقتضته المقترحات من وسائل العمل وأساليبه، مؤتمر المجمع ومجموعة خبرائه وهيئته الفنية التي جاءت فيه على غرار مثيلاتها في الجامعات، وأجاز تفرغ أعضاء هيئة التدريس للعمل في المجمع بناءً على طلبه. وحدّثنا اللائحة الداخلية لتنسجم مع القانون الجديد، ووضعنا التعليمات التنفيذية والقواعد الإجرائية لتنفيذ القانون ولائحته، واقترحنا على السيد رئيس مجلس الوزراء نظامًا لمكافآت

(*) قرر مجلس المجمع في جلسته السابعة المؤرخة في ٢٠٠٤/٤/٢٨ الموافقة على ما ورد في التقرير من مقترحات لتطوير أساليب العمل في المجمع، وطلب إلى أمين المجمع وضع آليات تنفيذها.

قدم الأمين تقريره بآليات تنفيذ التطوير فناقش المجلس التقرير على مرحلتين، ناقش في الأولى آليات رصد مصطلحات الحياة العامة ووضْعها بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٦ وأقرها، وناقش ما تبقى من التقرير في جلسات متتالية ما بين ٩/١٥ و ١١/٣ وأقره.

الإنتاج الفكري، فصدر ذلك النظام بالقرار ذي الرقم /١٠٩٩/ المؤرخ في ٢٠٠٣/٢/٣، وهو وإن لم يأت مطابقًا لما اقترحناه فقد كان خطوة كبيرة في رفع مستوى مكافآت الإنتاج الفكري للمجمع كما تذكرون.وتقدم المجمع باقتراح تعديل القرار /١٠٩٩/ لتحسين مكافآت بعض أنواع الإنتاج الفكري التي رأيتم ضرورة تحسين المكافأة عليها[١]. وبعد أن انهار جناح المدرسة العادلية الغربي في صيف عام ١٩٩٩ وتداعت أجزاء من الأجنحة الأخرى فيها، وضع المجمع مشروع ترميم شامل للمدرسة يعيد إليها بهاءها ورونقها ويؤهلها للاستخدام المجدي وبما يليق ببيئةٍ علميةٍ معاصرة. وقد مُنح المجمع كل ماطلبه من مالٍ للقيام بأعمال الترميم، كما ووفق على خطته الخمسية التي ستصل فيها أعمال الترميم إلى دار الكتب الظاهرية.وخصص لبناء قبوٍ ومرأبٍ في وجيبة المجمع مايحتاج إليه تنفيذ المشروع من المال في الموازنة الاستثمارية لهذا العام. وتطورت مخصصات المجمع في موازنتيه الجارية والاستثمارية تطورًا كبيرًا، فبعد أن كانت ٩.١٢٦مليون ليرة فقط في عام ١٩٩٥، بلغت ٣٧.٩١٥مليونًا في عام ٢٠٠٤وهي أكثر من أربعة أمثال ماكانت عليه في عام ١٩٩٥، كما ارتفع عدد العاملين في ملاك المجمع من/٦١/ عاملاً في عام ١٩٩٥ إلى /٨٦/ عاملاً على قانون العاملين الأساسي و٢١عاملاً في الهيئة الفنيّة، على قانون الموظفين الأساسي.

هذا كله دليل على قدر المجمع عند الدولة وعلى أنه لايزال موضع الثقة التاريخية التي منحته إياها الأجيال العربية منذ إنشائه.وإدراكًا منا لهذا كله أيضًا، فإن هممنا لم تفتُر أبدًا، فاجتماعات المجلس والمكتب واللجان آخذة في الازدياد، إلاأن

(١) وافق السيد رئيس مجلس الوزراء على التعديل الذي اقترحه المجمع، وصدربذلك قراره ذو الرقم ٥١٠١ بتاريخ ٢٠٠٤/٨/١٥م

حصيلة أعمالنا كانت دائمًا دون ما نحب ونرجو. وعوّل المجمع على تحقيق نتائج أفضل في تكثيف نشاطه في اتجاهات هامة منتقاة، فقرر إقامة ندوة سنوية يحدد موضوعها في أحد تلك الاتجاهات، فأقام ندوات عدة حول اللغة العربية والإعلام، واللغة العربية والتعليم وغيرهما... وقد أصبحت الندوة السنوية في قانونه الجديد مؤتمرًا سنويًا ثابتًا يناقش أعضاؤه فيه أيضًا ما حققه المجمع في تنفيذ توصيات المؤتمر السابق، ويؤمل أن يؤدي حسن التحضير للمؤتمر ومتابعة تنفيذ توصياته إلى نتائج مرضية.

لاشك أن حالنا هذه تستحق منا تحري الأسباب، وإعادة النظر في أسلوب عملنا وفيما نختاره من مشروعات، وتأمُّلَ مسيرة المجمع وبيئة العمل المجمعي وتحليل تطوراتهما.

مشروع تطوير أساليب العمل في المجمع

لقد كان نجاح المجمع في تحقيق أغراضه مرموقًا منذ إنشائه وحتى عهد قريب، وكانت تحيط به بيئة رعايةٍ و حبٍ واحترام، أحاطه بها المثقفون و الدولة. لقد اتخذ المجمع لتحقيق أغراضه إبان إنشائه، الوسائل والأساليب المتسقة مع تلك البيئة، فأصاب النجاح الذي مكّن له في الشام، بل في الوطن العربي كله. فعندما "تصدى المجمع لتصحيح لغة الموظفين في الحكومة، والإشراف على لغة الكتب المدرسية، ووضع المصطلحات العلمية العربية"، استعان أعضاؤه العاملون بأعضائه الشرفيين، «كما استعين بعدد من الأدباء والشعراء ورجال السياسة المثقفين لتدريس الموظفين اللغة العربية». كان المثقفون في بلاد الشام مستنفرين للتخلص من آثار التتريك، وكان التعريب هو التعبير عن التمسك بالوطن والتاريخ والهوية، وكانت استعانة المجمع بأي منهم تعد تكريمًا له ومدعاةً للفخار، كما كانت أسلوبًا ناجحًا استخدمه المجمع

لتحقيق أغراضه. في تلك البيئة ولد المجمع، في تلك البيئة كانت اللغة العربية في خلد المثقفين وبال جماهير الأمة، رمز الاستقلال وعنوان الهوية وشعار العزّة، وكان الذود عن حرمها لمن استطاع ذلك فضيلة وجهادا.

أما اليوم، وقد مضى على النفير الأول الذي رافق قيام الدولة العربية الأولى في العصر الحديث أكثر من ثمانية عقود، وعلى النفير الثاني الذي جاء في عُقْب خروج الاستعمار من أرض الوطن ستة عقود، فإن كثيرًا من الناس، كما يبدو مما يُقرأ ويُسمع، لم يعد يهمهم من أمر العربية والتعريب شيءٌ مما كان قد استحوذ على أفئدة أسلافهم، حتى لكأنّ هؤلاء الناس قد استنفروا للتباري في خلط العامية بألفاظ أجنبية لتسويق بضاعتهم (!) وترويجها.

لقد طرأت تغيرات عميقة على بيئة العمل المجمعي واللغوي في بلاد الشام، وقد يكون في الوطن العربي كله. فبينما كان المجمع يحمل لواء التطوير الذي «يجعل اللغة العربية وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون وملائمة لحاجات الحياة المتطورة»[(١)]، أصبح عليه اليوم تكثيف جهوده للدفاع عن العربية والذود عن حرمها وحمل لواء تطويرها في جميع الميادين: في التعليم والثقافة والإعلام.**ونحن في هذه البيئة أحوج مانكون إلى انتقاء أهداف دفاعنا ووسائله والتخطيط المهيّأ سلفًا لتحقيقها**. ولنبحث عن الأهداف في حاجات المجتمع الملحة للغة العربية السليمة. هذا مافعله مؤسسو المجمع، «فقد رسم إصلاحُ لغة الدواوين والكتاب والصحف، الخطوطَ الكبرى لتوجهات المجمع في سنواته الأولى، فكانت في المصطلح: وضع

(١) الفقرة الأولى من أغراض المجمع كما وردت في المادة (٣) من قانونه المحدث ذي الرقم ٣٨ لعام ٢٠٠١.

المصطلحات الأكثر تداولاً وإلحاحًا، وجلها يقع في مجال ألفاظ الحضارة والحياة العامة».

ولعلكم ترون معي :

١– **أن الحاجة إلى وضع مصطلحات الحياة العامة لا تزال مُلِحةً** كما كانت بالأمس ولعلكم ترون أنها أصبحت اليوم أشد إلحاحا. ففي كل يومٍ تولد آلاف الألفاظ العلمية والتقانية التي يدخل بعضها بسرعة مجال ألفاظ الحضارة الفسيح في بلدان عالم الصناعة والإنتاج، فيفرض بعض من تلك الألفاظ وجودَه في حياتنا اليومية مواكبًا مستجدات مجتمعنا الاستهلاكي وثقافتنا، ونفاجأ بما اختاره لها السبّاقون من مستخدميها في الإعلام والتجارة،فتستقر مصطلحاتهم في حياتنا العامة قبل أن ننهض حيارى لمعالجة مااستقر في لغة الناس، كالكومجي والدبلجة والخليوي..... ولوضع مصطلحات هذه الألفاظ، لابد للمجمع من **رصدها** لدى دخولها، ومن استشراف ماسيدخل منها إن أمكن ذلك، ونشر مايضع منها في الصحف اليومية وغيرها وتوزيعه أيضًا على الجهات المعنية. ولن يغيب عن أذهاننا أننا لن نتمكن من الاستعانة بالأعضاء المراسلين والشرفيين وبعض الأدباء....، على الوجه الذي استعان بهم مؤسسو المجمع فيما سميته النفير الأول. إلا أن الأسلوب المناسب لما تطورت إليه بيئة العمل المجمعي في أيامنا هذه، هو الاستعانة بهم جميعًا **خبراء**، وتنظيم عمل الخبير ضمن إطارٍ عام فيه من المرونة مايتيح تعظيم جدوى العمل وتطويره.

٢– **وأن وضع مصطلحات مختلف العلوم الأساسية والتطبيقية والإنسانية وتوحيد المصطلحات المستخدمة في مؤسسات التعليم العالي من جامعات ومعاهد لا يزال من أغراض المجمع الأساسية.** ذلك لأن استكمال تعريب التعليم العالي ونجاحه يسد أخطر ثغرةٍ في مواقع اللغة العربية في ديارها، ويعزز منعتها في

جميع الميادين، في الثقافة والوحدة الوطنية والقومية والاقتصاد. ويوجب القيامُ بوضع المصطلحات العلمية على المجمع حصر أهم ما يتطلبه وضعها، فتنسيق تحقيق تلك المطالب. وأهم ما يتطلبه وضعها هو:

أ : توحيد المصطلحات العلمية المستخدمة في الجامعات والمعاهد، ووضعها وتعريفها. وعلى المجمع أن يستعين لتحقيق هذا المطلب بالخبراء في لجانه المختصة (ويُعد الأعضاء المراسلون، كلٌ في مجال اختصاصه في عدادهم)، ويكون دوره في تحقيقه هو التوجيه والتنسيق والتقويم وتنظيم خطط العمل ومتابعة تنفيذها.

ب : إثراء أساليب ومنهجيات وضع المصطلح بالدراسات والبحوث المعجمية العامة والمصطلحية الحديثة، وتحديث الأساليب التقليدية. ويؤمل أن تُحدِث هذه الدراسات طفرةً في منهجية وضع المصطلح العلمي العربي وأساليبه، فقد يسرت من قبل في بلاد الغرب كما تعلمون أساليبَ وضع المصطلحات العلمية، فأتاحت لبلدان الاتحاد الأوربي، على سبيل المثال، نشر الدراسات والقرارات بلغات دول الاتحاد وتوزيعها عليها جميعًا بسرعةٍ ودون تلكؤ.وقد سبقتنا إلى هذا الميدان أيضًا دول عربية عدة، منها دول المغرب العربي خاصة، فأنشأت معاهد لأبحاث التعريب والمصطلحية والمعجمية، ومجلات تنشر فيها الدراسات وتنقد على صفحاتها وتقوّم.

٣– وأن تيسير تعليم اللغة العربية وتعلّمها أمر يهم المجمع، ويحظى بين أغراضه بالأفضلية كسابقَيْه، وأن البحث عن أسباب تراجعهما في النصف الثاني من القرن العشرين، وخاصةً في الربع الأخير منه وتدارك ذلك التراجع لتلافيه، هو ركن شديد من أركان نهضة اللغة العربية في الوطن. فبالأمس كان الطالب في المعهد الطبي العربي يُقْدم على وضع المصطلحات العلمية، وتنشر مجلة المعهد دراسات

الطلاب الرصينة، كتلك التي قدمها الطالب مختار هاشم في عام ١٩٣٥ [(١)]، واقترح فيها الكثير من المصطلحات ونقد في بعضها مصطلحات المجمع العلمي الملكي. وقد نجد في المقارنة التالية ما يشير إلى مدى تراجع تعلم اللغة العربية في التعليم الثانوي في أقل من عقدين من الزمن: فلقد ورد في مصطلحات الطالب مختار هاشم تلك، المصطلح التالي: الساتلة: Satellite، وبعد نصف قرن، في منتصف الثمانينيات، كانت غبطة خبير في المصطلحات العلمية كبيرة عندما اقترح كلمة **ساتل** مقابل تلك الكلمة الأجنبية مشيرًا إلى تقارب لفظيهما: طالب، وخبير أنهى التعليم الثانوي بعده بعقدين من الزمن فتأخر عنه في بلوغ مستواه في وضع المصطلح ثلاثة عقود !

٤– وأن متابعة لغة الصحافة والإعلام وتقويم الأغلاط المتأصلة فيها، يعزز عمل المجمع على تحقيق أغراضه. ويقتضي حسن تنفيذ هذه المتابعة تأليف لجنة من الخبراء ومن العاملين في المجمع للرصد والتقويم.

٥– وأن تحقيق التراث العلمي يستحق من المجمع عنايةً خاصة لما له من جهةٍ، من أثر طيب في فهم الأساليب التقليدية في وضع المصطلح وما أصابها من تطويرٍ، تُحلَّل أسبابه وتستخلص نتائجه، وما له من جهةٍ أخرى من دورٍ في إحياء التراث العلمي العربي الإسلامي، الذي أهمله الغرب في مشروعاته تأريخ العلم، وطمس بذلك فيها الكثير مما قدمناه في بناء الحضارة. وهذه العناية الخاصة لاتحجب مايستحقه تحقيق التراث من العناية في المجالات العديدة الأخرى.

(١) مختار هاشم: مصطلحات علمية، مجلة المعهد الطبي العربي، المجلد العاشر (١٩٣٥)، الصفحة ٣٧٦ .

هذه الأولويات جميعها هي بعض الأوجه الفعالة في الثقافة وبعض من مظاهرها أيضًا . وإن إيلاءها ما تستحق من العناية يوجب استكمال بعض جوانب التحديث التي جاء بها القانون وهي كما يبدو لي:

أولاً – ربط تحديد مواضيع المؤتمرات وتنسيق ترتيب طرحها زمنيًا بخطة المجمع البعيدة المدى في التطوير. وإعلان موضوع المؤتمر قبل أكثر من سنة، ويستحسن أن يكون قبل سنتين، ليتاح للباحثين الوقت لتقديم بحوث هادفة معمقةٍ وموثقةٍ، فيحقق إعلان جوائز للبحوث في بعض موضوعات محاور المؤتمر الهدف المحدد له.

ثانيًا – تنظيم عمل الخبراء في جميع المجالات التي منها تكليفهم دراسات في بعض مشروعات خطط المجمع العلمية، ودراسات محددة في بعض موضوعات محاور المؤتمرات والندوات يتم إعداد بعضها في مدد طويلة (سنة أو أكثر)...

ثالثًا – تأسيس الهيئة الفنية وجعلها مدرسة إعداد أطر المجمع في التخصصات اللغوية عامة واللغوية العربية خاصة، كالمصطلحية والمعجمية والتقييس...، وفي الاختصاصات المعلوماتية المساعدة في تحقيق بعض أغراض المجمع، كالاستفادة من (الإنترنيت) في تحديث تعليم اللغة العربية ومعالجة اللغة آليًا بواسطة الحاسوب، وتطبيقات المعلوماتية في المصطلحية، وفي وضع المصطلح العربي، وفي بناء بنوك المصطلحات، واللغويات الحاسوبية...

ويحسن لذلك إنشاء وحدتين للدراسات في الهيئة، إحداهما للدراسات اللغوية والأخرى لتطبيقات المعلوماتية في الدراسات اللغوية عامة واللغوية العربية بخاصة.

رابعًا – تطوير خبرات العاملين الإداريين والمساندين للهيئة الفنية، في اللغة العربية والمعلوماتية واللغات الأجنبية. واعتماد التدريب المستمر لجميع العاملين، في دورات متنوعة

تختلف باختلاف الاختصاص والمستوى والهدف وفئة المتدربين، ويستقى محتواها من حاجات المجمع من الاختصاصات ومن نوعية فئات المتدربين.

ولتمكين المجمع من تنفيذ برامج وخطط مفيدة في جميع هذه المجالات، لابد لأعضاء المجمع من اكتساب معارف فيها تمكنهم من المساهمة أو التوجيه في وضع البرامج والخطط، أو على الأقل تمكن بعضهم من ذلك، أو في أسوأ الحالات تمكنهم من استيعاب خطوطها الكبرى وتقييم مايؤمل من تنفيذها. كما سيتعذّر الارتقاء بالمجمع إلى المستوى اللازم لقيادة هذا التحديث إذا لم تنشرح صدور أعضائه لرياحه.

خامسًا – تنشيط التعاون بين المجمع والجامعات، ذلك التعاون الذي كان في عهود المجمع الأولى «حاضنة المشروعات» الكبيرة في قضايا التعريب، فيها ترعرعت مدارسه في بلاد الشام، فكان لكلٍ منها طابعها المميز، كمدرستي الشهابي والكواكبي. إن تطورات البيئة المحيطة بالمجمع قد غيرت بعض الشروط المحيطة بتلك الحاضنة، فأخرجت على الأغلب صناعة المعجمات المختصة من حوزة المجامع، فتولاّها بعض من المختصين (معجم الرياضيات المعاصرة...)، ومكتب تنسيق التعريب (سلسلة المعاجم الموحدة)، وبعض دور النشر كمكتبة لبنان، والمنظمات المختصة كاتحاد الأطباء العرب (المعجم الطبي الموحد)، والجمعية السورية للمعلوماتية (معجم مصطلحات المعلوماتية)... وعلى المجمع أن يعيد النظر في أساليب عمله ووسائله وفي أولويات أغراضه. وقد يحظى بالأولوية، في إطار التعاون مع الجامعات:

أ– تكليف المختصين من العاملين في المجمع إعداد بعض دبلومات الدراسات العليا، كالماجستير والدكتوراه في موضوعات تخدم أغراضه، وبخاصة في المعجمية وتطبيقاتها في المصطلحية العربية والتقييس، بإشراف مشترك من المجمع والجامعة. كما يمكن التوسع في هذا المجال ليشمل طلابًا من خارج المجمع، تتكامل

بحوثهم جميعًا في خطةٍ هادفةٍ يضعها المجمع لاستخلاص أدلة إرشادٍ في وضع المصطلح العربي والمعجمات المختصة للعاملين في هذا المجال، في المجمع أو بالتعاون معه أو في أيّة جهة أخرى.

ب- تطوير أساليب الاستفادة من المعلوماتية، والمشاركة الفعالة في بعض المشروعات الهامة كمشروع الذخيرة اللغوية.

ج- الاستفادة من وجهي التعاون السابقين (أ و ب) وغيرهما في وضع معجمٍ تاريخي وإعادة النظر في معجمات المعاني وترتيب أولويات صنعها وفق أولويات مطالب أغراض المجمع.

ومما قد يصيب مجلة المجمع من هذا التطوير:

١- تخصيص عنوانات ثابتة فيها: للمستجد من ألفاظ الحضارة، والمصطلحات العلمية، ولدراسات في تطبيقات المعلوماتية على بعض شؤون اللغة العربية كعلوم الدلالة، والمعجمية، والمصطلح، وتطبيقاتها على اللغة العربية..، وتيسير تعليم وتعلم اللغة العربية، وإصلاح أخطاء الإعلام والكتّاب.

٢- وتكليف مختصين من الأعضاء والأعضاء المراسلين والخبراء الكتابة في مختلف أبوابها.

وقد تحتاج إدارة المجلة للقيام بأعبائها على وجهٍ مرضٍ وإصدار أعدادها في أوقاتها، إلى الاستعانة بمساعدين لمديرها أو رئيس تحريرها.

وقد يملي هذا التطوير علينا إعادة النظر في تنظيم شؤون النشر في المجمع.

السادة الزملاء، آمل أن يلقى ماقدمته في هذا التقرير القبول والرضا، وإذا ما حظي بهما فإنه سيحظى منكم بإيلاء ما يثير من قضايا أساسية في إصلاح مسيرة المجمع العناية التي يتطلبها الإصلاح. كما آمل أن أكون قد وفقت لاقتراح خطوط أولية قد ترون أنها تصلح بما تغنيها آراؤكم السديدة، لاتخاذها "ورقة عملٍ" أو

مسوّدة مشروع إصلاح، نعكف جميعًا على تطويرها لنصنع منها مشروعًا ندخل بتنفيذه على نفوسنا الطمأنينة والرضا.

آليات تنفيذ التطوير المقترح

١– وضع مصطلحات الحياة العامة (الصفحة ٦٥١):

تصنف الألفاظ الجديدة في المشروع في فئتين هما فئة ألفاظ الحياة العامة، وفئة الألفاظ العلمية:

١– أما **فئة ألفاظ الحياة العامة**، فترصد فيما يصدر عن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة.

وللجنة ألفاظ الحضارة أن تضع بعض السمات أو المؤشرات التي ترى ضرورة الاستعانة بها في مَيْز ألفاظ الحياة العامة عن الألفاظ العلمية.

وينفذ المشروع على مراحل:

المرحلة الأولى[1]: يجري رصد فئة ألفاظ الحياة العامة في هذه المرحلة كما يلي:

أ– يطلب المجمع من مختلف مؤسسات الدولة تزويده بما تقع عليه من ألفاظ أجنبية دخلت أو يتوقع أن تدخل الاستخدام في القطر. والمجمع، بأعضائه والعاملين فيه هو إحدى تلك المؤسسات.

وقد يستحسن قصر الطلب في مرحلةٍ إعداديةٍ تجريبيةٍ، على المؤسسة العامة للإعلان في وزارة الإعلام، بل حتى على جرائد العاصمة اليومية.

ب – تحال الألفاظ الواردة إلى المجمع على أمانة لجنة ألفاظ الحضارة وتنسيق المصطلح، التي تعرض حصيلة ما يصلها على عضوين من أعضاء اللجنة أو خبيرين أو عضو وخبير، من اختصاصين مختلفين مناسبين تسميهما اللجنة، يقومان مع

(1) مرحلة بدأ تنفيذها في شهر آب من عام ٢٠٠٤

أمين اللجنة بفرز ألفاظ الحضارة والحياة العامة – من حصيلة ما وصلها من تلك الألفاظ – وتقدمها إلى لجنة ألفاظ الحضارة للنظر فيها، ويوزع ما تبقّى، حسب الاختصاص على اللجان الاختصاصية كلجنة العلوم الفيزيائية والرياضية والمعلوماتية والكيميائية، ولجنة العلوم الطبيعية والزراعية، ولجنة العلوم الهندسية..إلخ، التي تنظر فيها وفق الأسلوب المتبع في التعاون مع الجامعات في قضايا وضع المصطلح وتوحيده.

ج – تنظر اللجان فيما يحال عليها من ألفاظ وتستعين بما يمكن أن يكون قد وضعته منها أو نشرته، المجامع اللغوية العربية والجامعات ودور النشر.

د – يوجب تيسير الاستفادة مما يطرح خارج المجمع من مصطلحات في هذه المجالات، إنشاء علاقات تعاون مع الهيئات العربية التي من بين أغراضها رصد المصطلح ووضعه. إلا أن بعض الهيئات التي أنجزت في هذه المجالات مراحل متقدمة، قد ترغب عن التعاون مع جهةٍ لا تزال في بدايات عملها فيها كمجمعنا، بل قد يقتصر تعاوننا في هذه المرحلة على اتحاد مجامع اللغة العربية. وللجنة ألفاظ الحضارة وتنسيق المصطلح الاقتراح على مجلس المجمع التعاون مع ما تراه من تلك الهيئات وأشكال التعاون المجدي.

هـ– يدرس الأسلوب المتبع في هذه المرحلة وما قد يطرأ عليه من تعديلات بعد مدةٍ كافيةٍ من تطبيقه، وتحلل نتائجه وتعالج نقاط الضعف فيه، وتستخلص منه توصيات ينظر فيها لدى وضع خطة تنفيذ المرحلة أو المراحل الأخرى.

المرحلة الثانية: سيكون من مهام المرحلة الثانية إنشاء قاعدة معلومات مصطلحية، وإنشاء مرصد لألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية. وقد تكون من القضايا الهامة في تلك المرحلة، كيفية إيجاد تعاون مجدٍ بين الهيئات العربية في هذه المجالات. ذلك لأن العديد من الهيئات قد أنشأ قاعدة معلومات مصطلحية ومرصدًا

للألفاظ أو أنشأ أحدهما، ولن تبلغ هذه القواعد والمراصد الهدف المرجو على الوجه الأمثل، إلا بالتنسيق والتعاون المحكم الذي يجنب طاقاتنا العلمية والمالية التبعثر والازدواجية، ويجنّب طريقنا إلى الهدف المصاعب والتشعب ويعمل على اختصاره.

لقد عرضت آليات تنفيذ رصد مصطلحات الحياة العامة ببعض التفصيل، كمثال فقط، لذلك لم يتبع، هذا التفصيل، في عرض ما تلاه من آليات.

٢– فئة الألفاظ العلمية: يجري رصدها ووضعها وتحقيقها بالتعاون مع وزارة التعليم العالي والجامعات ومراكز البحوث في القطر، وفق أسلوب يطور عن أسلوب التعاون في توحيد المصطلحات العلمية الجامعية التي يجري تنفيذ توحيدها حاليًا. ونشير في الفقرة التالية إلى أهم عناصر آليات تنفيذه.

٣– توحيد مصطلحات العلوم ووضعها (الصفحة ٦٥٢):

أ– توحيد مصطلحات العلوم [1]: يتابع برنامج توحيد مصطلحات العلوم وفق المنهجية التي وضعت له والأساليب المتبعة فيه. وللاستعانة بالخبراء في تنفيذه دور أساسي، بينما يقتصر دور لجان المصطلحات في المجمع على المراجعة والتوجيه والمتابعة وتطوير المنهجية والأسلوب.

بدأ تنفيذ هذا البرنامج منذ عامين، وقد رتبت أولويات التنفيذ مع وزارة التعليم العالي (لجنة من معاون الوزير الدكتور محيي الدين عيسى وأمين المجمع)واتفق على أن تكون الأولوية للعلوم الأساسية، تليها العلوم التطبيقية الهندسية. واستبعدت علوم الطب البشري وطب الأسنان والصيدلة في هذه المرحلة لوجود المعجم الطبي

(1) بدأ تنفيذ البرنامج في عام ٢٠٠٢ بتطبيق المنهجية التي اختيرت له، على مصطلحات الفيزياء، ثم امتد تطبيقه إلى العلوم الطبيعية والزراعية في أوائل عام ٢٠٠٤.

الموحد المستمر التطوير. وسينظر في ضوء النتائج في ترتيب الأولويات في المجالات الأخرى.

سترد منهجية العمل في البرنامج وأساليبه، في مقدمة مشروع توحيد مصطلحات الفيزياء منقحةً بما سيتم اكتسابه من الخبرة في إنجاز المرحلة الأولى منه، في مطلع عام ٢٠٠٥.

وتؤلف منهجية العمل وأساليبه وترتيب أولويات التنفيذ، والاستعانة بالخبراء وتحديد دورهم ودور لجان المصطلحات مجمل آليات تنفيذ توحيد مصطلحات العلوم.

ب– إثراء منهجيات وأساليب وضع المصطلح بدراسات وبحوث فيما يلي من المجالات:

- المصطلحية والمعجمية.
- مصطلحات السلف: دراسة أصولها وتطورها وأسبابه، واستنباط كيفية توجهه.
- معجمات المعاني: إعادة وضع هذه المعجمات وفق تبويب يستوحى من أولويات خدمة أغراض المجمع في وضع المصطلح.
- مشروع الذخيرة اللغوية: المساهمة في تنفيذه لما له من أثر بيّنٍ في توسيع ذخيرة المصطلحات العلمية واستكمال إخراج معجمات المعاني على أفضل وجه.
- تطبيقات المعلوماتية في المصطلحية والمعجمية.

وتتلو آليات تنفيذ ما تقدم بالترتيب، على الوجه الآتي:

في المصطلحية والمعجمية: أ– تكليف العاملين اللغويين في المجمع إعداد دبلومات في المصطلحية والمعجمية وفق خطة توضع بالتعاون مع أعضاء هيئة التدريس المختصين في أقسام اللغة العربية في الجامعات السورية، وبخاصة جامعة دمشق (لسهولة الاتصال والتعاون)، وتوجه فيها أطروحاتهم إلى:

– تطبيق الدراسات النظرية في المصطلحية و المعجمية على اللغة العربية.

– تطبيق النظريات الموضوعة، والمطبقة على اللغات الأوربية، على ما تصلح له في اللغة العربية، والتركيز على ما يمكن أن يؤدي إليه البحث في أسباب تعثر التطبيق، من تطوير لتلك النظريات لتتسق مع ما تتطلبه اللغة العربية.

ب– إيفاد بعض العاملين اللغويين الأكفياء في المجمع إلى المعاهد المختصة في بلاد الغرب للاختصاص في المصطلحية أو المعجمية أو الألسنية، ولإتقان اللغة التي يتعلّم بها الموفد ليحسُن فهمه في هذه الاختصاصات لما تعلم، ويحسِنَ من ثَمَّ تطبيق ما تعلم على اللغة العربية.

في مصطلحات السلف: إن تطبيق النظريات الموضوعة في الغرب على اللغة العربية، وتفاعل النظريات المطورة في تطبيقهاعليها، كما ذكر قبل قليل، سيساعدنا على تحديث الأساليب التقليدية، مع الحفاظ على إيجابياتها التي يفترض أن تهيئها لنا دراسة مصطلحات السلف، في كتب العلوم الفلكية والرياضية والفيزيائية والكيميائية والطبيعية وفق المنهجية المشار إليها (دراسة أصول المصطلحات وتطورها وأسبابه، واستنباط كيفية توجهه).

في معجمات المعاني: وضع معجمات للمعاني وفق تبويب جديد يستوحى من أولويات خدمة أغراض المجمع في وضع المصطلح، كمعاني الصوت والحركة واللون والمقادير (أنواعها وحدودها وتقييسها)..، في الفيزياء والكيمياء والرياضيات، وما يقترحه المختصون في علوم الحياة الأساسية والتطبيقية من تبويب يناسب علومهم.

في مشروع الذخيرة اللغوية: المساهمة في تنفيذ مشروع الذخيرة اللغوية، ويكون ذلك بتكليف لجنة يشرف عليها المجمع أو يشارك فيها، ويدخل في عضويتها خبراء من أقسام اللغة العربية في الجامعات ومن غيرها، تحدد مهامها بالتنسيق مع الجهات المعنيّة في سورية والجهات العربية الأخرى كاتحاد المجامع اللغوية. **ويمكن التوسع في آليات**

تنفيذ هذا المشروع وتنويعها وفق الخيارات العديدة لمواصفاته التي تختلف باختلاف طاقات الشركاء ورغباتهم في سورية وفي الوطن العربي. وإن ضخامة المشروع لا توقف التقدم في تطوير خدمات اللغة العربية في المجمع، إذ يمكن وضع آليات لتنفيذه في أضيق حدود التعاون، باعتماد مبدأ التطوير التدريجي على مراحل. ويؤخذ في آليات التنفيذ أولويات استخدام نتائجه: في المصطلحات وفي المعجم التاريخي للغة العربية وفي معجمات المعاني والمعجمات اللغوية.

في تطبيقات المعلوماتية في المصطلحية والمعجمية: تأسيس وحدةٍ من المختصين بالمعلوماتية في الهيئة الفنية بالمجمع، تتدرج في ممارسة العمل في المجالات التي يمكن أن يكون فيها للمعلوماتية تطبيقات منتظرة واعدة. تبدأ بالمشاركة في الأعمال البسيطة التي يجري تنفيذها في مجال توحيد المصطلحات العلمية في مؤسسات التعليم العالي. وتسعى لتطويرها، كأن يكون ذلك على سبيل المثال، بإدخال اسم المؤسسة التي وقع الاختيار على مصطلحها في البرنامج المستخدم (ويدخل في ذلك المجمع إذا كان المصطلح الجامعي غير صحيح، فوضعه المجمع)؛ أو بذكر تاريخ وضع كل من المصطلحات الجامعية المدروسة، ليستعان به في دراسة تطور المصطلحات في التعليم العالي؛ أو بتنويع خيارات المعلومات المسترجعة، كترتيب مسرد المصطلحات عربيًا أجنبيًا عوضًا عن ترتيبه أجنبيًا عربيًا، ذلك الترتيب الذي قد يفرضه واقع العمل في توحيد مصطلحات الجامعات. وإعادة ترتيب المسرد على هذا الوجه يساعد على كشف ما يمكن أن يكون قد وقع من أخطاء بتخصيص المصطلح العربي الواحد لأكثر من مقابل أجنبي وإصلاح هذا الخطأ. هذه المشاركة ستقرب المعلوماتي إلى بيئة اللغة العربية تدريجيًا، وسيساعده زملاؤه اللغويون العاملون معه في دخول تلك البيئة، كما سيساعدهم هو على دخول بيئة المعلوماتية. وستمكّن هذه المشاركة المعلوماتيين من وضع برامج دورات التعليم

المستمر للعاملين في المجمع بجدارة. كما يمكن وضع برنامج يسرّع في تقارب اللغويين والمعلوماتيين، يشارك في وضعه ويشرف على تنفيذه خبير في تطبيقات المعلوماتية في اللغة العربية كالأستاذ مروان البواب عضو المجمع المراسل. وسيكلف المعلوماتيون في الهيئة اتباع دورات متقدمة في المعلوماتية وتحضير دبلومات في الاختصاصات المناسبة لمعالجة المشكلات التي يلقونها في عملهم وسيتوافر لذلك تدريجيًا في الهيئة الفنية، من المعلوماتيين واللغويين فئة يمكنها، بإشراف مجمعيين وأساتذة جامعيين أو بمشاركتهم، التصدي لتطبيقات المعلوماتية في مجالات عديدة من مجالات اللغة العربية: في المصطلح والمصطلحية والمعجمية، وفي قواعد المصطلحات والمعجمات الحاسوبية، وفي الذخيرة اللغوية الحاسوبية، وفي اشتقاق الكلمة العربية بالحاسوب، وفي التحليل الصرفي والنحوي، وفي قواعد المعطيات للمصطلحات والمعاني، وغيرها... وسيكون للهيئة الفنية المعلوماتية اللغوية دورها في تيسير تعليم اللغة العربية وتعلمها.

٣– تيسير تعليم اللغة العربية وتعلمها (الصفحة ٦٥٢):

لابد من دراسة أسباب تراجع تعلّم اللغة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين وتحليلها، ومقارنة سيرة تعلم العربية وتعليمها في سورية بسيرة مثيلاتها في البلاد العربية الأخرى أو في بعضها على الأقل. ويقترح ما يمكن أن يقدّم من مقترحات لتنفيذ هذه التوصية، يرجّى في تطوير الأستاذ الدكتور محمود السيد مقترحاته التي قدمها إلى المجمع حول "أساليب النهوض باللغة العربية الفصيحة في مراحل التعليم العام في الوطن العربي" لتشمل جميع مراحل التعليم وتشمل أيضًا إعداد المعلم للنجاح في مهمته هذه.

٤– متابعة لغة الصحافة والإعلام وتقويم الأخطاء والأغلاط (الصفحة ٦٥٣):

آلية تنفيذ هذه التوصية تكون على غرار آلية تنفيذ توصية وضع مصطلحات الحياة العامة: تؤلف لجنة فرعية تبدأ بمتابعة لغة الصحافة (الصحف اليومية الثلاث، وإذا ما اتسعت طاقة اللجنة تمتد إلى الصحف اليومية في المحافظات، والصحف الأسبوعية، فالإعلانات) وتحيل حصيلة ما تجده من أخطاء وما تقترحه من تصحيح على لجنة الأصول، ويمكن الاستعانة بالخبراء في اللجنة الفرعية وفي لجنة الأصول. تنشر الحصيلة في الجرائد اليومية، وفي زاوية خاصة ثابتة في مجلة المجمع. ويمكن التوسع في هذا العمل وتطوير محتواه وآليات تنفيذه واستيحاء صور أخرى له تناسب أحوالاً أخرى.

وتجدر الإشارة هنا إلى إمكان دمج مهام رصد الألفاظ الجديدة ورصد أغلاط الصحافة والإعلام في مراحله الأولى على الأقل في لجنة فرعية واحدة أو مكتب واحد.

٥– تحقيق التراث (الصفحة ٦٥٣):

وآلية تنفيذ التوصية تكون بوضع برنامج لدراسة تطور المصطلحات العلمية في الحضارة العربية الإسلامية، زمنيًا (تاريخيًا) في كل اختصاص على حدة، بدءًا من بدايات عصر النهضة العربية الإسلامية. ويمكن تمييز تطور مصطلحات المترجمين فيه عن تطور مصطلحات العلماء المختصين. وبعد إنجاز مرحلة من البرنامج تعمد الجهة المكلفة إلى مقارنة مصطلحات عِلْمَين أساسِيَّين، بينهما تقاطع (بعض المشاركة) في المصطلحات، أو مقارنة مصطلحات علم أساسي بنظيره التطبيقي وتحليل أسباب التطورات والتغيرات وسرعة حدوثها، واستخلاص ما يمكن أن يفيد من المؤشرات في وضع المصطلحات دلالة وتقييسًا، وفي تعرف ما تضمنته من مفاهيم المصطلحية. وتكلف لجنة تنسيق المصطلح باحثًا أو أكثر اقتراح البرنامج الذي يتضمن الاختصاص والمؤلفات المنشورة فيه وترتيب تاريخ تأليفها (أو ترجمتها)

ولو على وجه التقريب. فإذا ما قبلته اللجنة ووافق عليه المجلس، يصبح جزءًا من خطة المجمع العلمية. وتجدر الملاحظة أن آلية التنفيذ تفترض تقسيم المرحلة الزمنية التي ستشملها الدراسة، إلى شرائح مناسبة كأن تنتهي الشريحة الأولى مع نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، وقد يكتفى بهذه الشريحة، كما قد تجزأ هي أيضًا...

أما المحاور الأخرى في تحقيق التراث فتقترحها اللجنة المختصة كالمعتاد، ويستحسن أن تكون مقترحاتها هادفة تخدم تحقيق توجهاتٍ واضحة في خدمة أغراض المجمع وتؤلف محاور في تحقيق التراث بعيدة المدى.

هذا ويستحسن تنظيم دورة (أو دورات) تدريبية في أصول التحقيق وقواعده، يقوم بها بعض المختصين (ومنهم الأستاذة الشهابي) ويتَّبِعها بعض العاملين في المجمع ممن يرغبون في التخصص في التحقيق.

* * *

إن اقتراح آليات تنفيذ التوصيات هذا، يبقى هو أيضًا، بحاجة إلى آلية تنفيذ عملية لمجمل ما في التقرير من توصيات. فقد تقصر طاقة المجمع البشرية عن القيام بتنفيذ التوصيات كلها دفعة واحدة، مع أن جزءًا هامًا مما يتطلبه تنفيذها من المجمع، لا يتعدى الإشراف والتخطيط والتنسيق والمتابعة وانتقاء شركاء في الإشراف والتنفيذ من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات، ومنفذين من الخبراء والعاملين في المجمع (على قانون العاملين أو على قانون الموظفين في الهيئة الفنية). وهذا يتطلب أيضًا، **اعتماد التخطيط في تطوير المجمع وأساليب العمل فيه:** تطوير تنميته البشرية وطاقاته العلمية والإدارية والمالية، وتنمية قدراته على التنسيق والمتابعة والتقويم.

نشير أخيرًا إلى أن المقترحات التي جاءت في نهاية التقرير الشامل (الصفحات ٦٥٣-٦٥٦) حول ما يوجب استكمال بعض جوانب التحديث التي جاء بها القانون، قد تضمنت آليات تنفيذها فهي لاتحتاج إلى آليات تنفيذ.(١)

أمين المجمع
الدكتور عبد الله واثق شهيد

(1) قد يكون من آليات تنفيذ توصيات التقرير الهامة في مجال تنشيط التعاون مع الجامعات السورية الحكومية أو الرسمية في المحافظات، فتح باب العضوية في المجمع للعلماء السوريين المقيمين في المحافظات، أو على الأقل في المدن السورية التي فيها جامعة حكومية، ولو في أضيق الحدود. ذلك لأن مشاركة المعهد الطبي العربي للمجمع في تعريب التعليم كانت مشاركة تاريخية قوية، وكانت غنية غزيرة الإبداع، ونال فيها كثير من أساتذة المعهد عضوية المجمع بجدارة بل أصبحوا من أعلامه، وامتد عطاء تلك المشاركة إلى الكليات المحدثة في دمشق في عام ١٩٤٦. أما كلية الهندسة التي أنشئت في حلب فقد كانت مشاركتها في نقاش مشكلات تعريب التعليم العالي على صفحات مجلة المجمع قليلة وتفاعلها مع مجتمع تعريب التعليم العالي ضعيفاً.
لقد قصرت ذكر هذه الآلية على حاشيةٍ في التقرير لأنها لم تطرح للمناقشة فيه، نظراً لما يثير موضوع فتح باب العضوية في المجمع لغير المقيمين في دمشق، مدينة مقر المجمع، من جدل لم تستوف بعد فيه جميع الحجج.

التقرير السنوي عن أعمال المجمع
في دورته عام ٢٠٠٣م

إعداد: أ. عدنان عبد ربه

يعرض التقرير أهم ما قام به مجلس المجمع ومكتبه ولجانه ومديرياته من أعمال.

١ – مجلس المجمع

عقد مجلس المجمع في عام ٢٠٠٣م إحدى وعشرين جلسة بحث فيها الأمور الآتية:

– احتياجات المجمع من الأعضاء في الاختصاصات العلمية المختلفة، وانتهت دراسة المجلس إلى تحديد الحاجة في هذه الدورة إلى عضو واحد في القانون، وآخر في علوم اللغة العربية وثالث في العلوم الطبيعية. وفي جلسة المجلس الثالثة عشرة المنعقدة بتاريخ ٢٠٠٣/٦/٢٥ انتخب من المرشحين في اختصاص القانون الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري، ومن المرشحين في علوم اللغة العربية الأستاذ عاصم البيطار.

– إقرار الخطط العلمية للجان المجمع للعام ٢٠٠٣م

– قبول ترشيح وزارة الثقافة المجمع لنيل جائزة الشارقة للثقافة العربية.

– إقرار مشروع قانون حماية اللغة العربية في القطر، ورفعه إلى رئاسة مجلس الوزراء لاستكمال صدوره.

– إقرار موضوع المؤتمر الثاني للمجمع بعنوان «اللغة العربية في مواجهة المخاطر» ، ويواكبه إقامة احتفال في ذكرى مرور خمسين عامًا على وفاة الأستاذ محمد كرد علي، مؤسس المجمع.

– متابعة دراسة قواعد الإملاء التي وضعها المجمع.

– إقرار التقرر السنوي عن أعمال المجمع في دورة عام ٢٠٠٢م.

– إعادة انتخاب الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد أمينًا للمجمع لأربع سنوات قادمة.

– إعادة انتخاب الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان، عضوًا في مكتب المجمع لأربع سنوات قادمة.

– إقرار عدد من المصطلحات التي وضعتها لجنة ألفاظ الحضارة وتنسيق المصطلحات وتوحيدها.

٢– مكتب المجمع

عقد مكتب المجمع في هذه الدورة ثمانيًا وثلاثين جلسة، بحث فيها شؤون المجمع ودار الكتب الظاهرية، وقرر إهداء مجلة المجمع إلى عدد من المؤسسات والشخصيات، ورشح عددًا من العاملين المناسبين لدورات تدريبية مختلفة. وأهم ماقام به من أعمال في هذا العام:

– إقرار المشاركة بمجموعة من مطبوعات المجمع في معرض الكتاب العربي السوري في الخرطوم – السودان الذي أقيم ضمن مناشط الأسبوع الثقافي العربي السوري في شهر كانون الثاني ٢٠٠٣م.

– تأليف لجنة مؤقتة مهمتها وضع قواعد عامة لتنفيذ قرار تحديد تعويضات الإنتاج الفكري.

– الموافقة على الاشتراك بخدمة (الانترنيت)

– الموافقة على شراء مقسم هاتفي جديد للمجمع، وتم شراؤه.

– دراسة التقرير السنوي عن أعمال المجمع لعام ٢٠٠٢م، وإحالته على مجلس المجمع.

– البحث في حاجات المجمع من الأعضاء وترشيح أشخاص مؤهَّلين ليكونوا أعضاء فيه.

- البحث في حاجة المجمع من العاملين بعد صدور مرسوم توسيع ملاك المجمع بإضافة عدد من الشواغر إليه، واتخاذ قرار بإجراء مسابقة لانتقاء عاملين من الفئتين الأولى والثانية.
- استكمال تجهيز غرف السادة أعضاء المجمع بعددمن المواد والأثاث.
- اتخذ قرارًا بشراء سيارتين لنقل السادة الأعضاء.
- الاقتراح على مجلس المجمع ألا يوافق على تغيب العضو الجديد عن أعمال المجمع مدة دورة كاملة إلا بعد مضي ثلاث سنوات على استقباله.
- إقرار قواعد إهداء مطبوعات المجمع ومجلته.
- إقرار أسماء أعضاء مؤتمر المجمع الثاني والباحثين المشاركين فيه.
- الموافقة على بناء مرأب في حديقة المجمع ووجيبته الغربية الجنوبية.
- تأليف لجنة مهمتها متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر الأول للمجمع والندوات التي أقامها المجمع.
- الموافقة على اقتراح لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية التعاقد مع بعض الخبراء لدراسة مصطلحات الفيزياء وعرضها على اللجنة.
- مناقشة ما نفذ من الخطة الخمسية للمجمع والموافقة على إجراء بعض التعديلات عليها.
- إقرار شراء مجموعة من التجهيزات الحاسوبية.
- تحديد موعد استقبال عضوي المجمع الجديدين الأستاذين: عاصم البيطار بتاريخ ٢٠٠٤/١/١٢م، والدكتور محمد عزيز شكري بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٨م.

٣- لجان المجمع

١ - لجنة المجلة والمطبوعات

بلغ عدد جلسات اللجنة في عام ٢٠٠٣ ست عشرة جلسة، درست فيها

المقالات المرسلة إليها، لنشرها في المجلة، فقبلت منها ما يناسب خطة المجلة، وأخرجته في المجلد الثامن والسبعين، واستبعدت منها ما لا يناسب خطتها.

– وقررت أن تطبع البحوث التي ألقيت في الندوات و المؤتمرات التي يقيمها المجمع في كل عام في جزأين من المجلة، كما تطبع منها (١٠٠) نسيلة مستقلة.

– واطلعت على كتاب أمانة لجنة المخطوطات وإحياء التراث المتضمن موافقتها على طبع الكتب الآتية:

– ديوان ابن النقيب، تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري (إعادة طبعه)، فوافقت على دفعه للطبع بعد إعادة النظر فيه، وهو لايزال في مرحلة التنضيد.

– المجلد (٦٢) من "تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي وقررت دفعه للتنضيد، ولايزال قيد التنضيد.

– واطلعت اللجنة على قرار رئاسة مجلس الوزراء ذي الرقم (١٠٩٩) تاريخ ٢٠٠٣/٢/٣ المتعلق بمنح تعويضات الإنتاج الفكري، وكلفت الأستاذ جورج صدقني اقتراح القواعد التنفيذية لماله صلة بمهامها وإحالتها على لجنة مكتب المجمع لاعتمادها.

- **الكتب التي نجز طبعها ودخلت مستودع المجمع**

– «**تاريخ مدينة دمشق**» **لابن عساكر**، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦٠.

- **الكتب التي في مطبعة دار البعث**

١ – «**تاريخ مدينة دمشق**» **لابن عساكر**، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي الجزء ٦١.

٢ – **استدراك الغلط الواقع في كتاب العين للزبيدي**، تحقيق الدكتور صلاح الفرطوسي.

٢ – لجنة المخطوطات وإحياء التراث

عقدت اللجنة في هذا العام أربع عشرة جلسة، كان من أبرز ما تم فيها:

– النظر في كتاب: «ديوان أبي النجم العجلي» صنعة الدكتور محمد أديب جُمران، واقتراح الموافقة على طبعه.

– اقتراح خطة عمل اللجنة للعام ٢٠٠٤ وإحالتها على السيد نائب رئيس المجمع.

٣– لجنة ألفاظ الحضارة وتنسيق المصطلحات وتوحيدها

– انضم إلى عضوية اللجنة السيدان الأستاذ شحادة الخوري، والدكتور موفق دعبول.

وعقدت اللجنة في هذه الدورة ستًا وعشرين جلسة، كان مما تم فيها:

– إرسال مشروع معجم مصطلحات ألفاظ الحضارة الصادر عن مكتب تنسيق التعريب إلى مقر المكتب بالرباط بعد أن راجعه وعدل بعض ألفاظه كل من الأستاذين الدكتور محمد زهير البابا، والدكتور محمد مكي الحسني الجزائري.

– وضع مقابلات عربية وتعريفات لبعض الألفاظ الأجنبية الشائعة.

– اقتراح تزويد قاعة المصطلح وألفاظ الحضارة بعددٍ من المعجمات والموسوعات المتخصصة.

– متابعة العمل على دراسة كتب الجامعات السورية لتوحيد مصطلحاتها وتأكيد ما يلي:

- الاتفاق على منهجية واحدة تعتمدها جميع لجان المصطلحات، والاستنارة – من أجل ذلك– بالمنهجية المتبعة في لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية.
- ضرورة تنسيق المصطلحات المتشابهة بين مختلف العلوم.
- تأليف لجنة مصطلحات العلوم الطبيعية والزراعية على أن يكون تجميع المصطلحات من الكتب الجامعية بطريق تأليف لجانٍ وقتية اختصاصية وفقًا للمادة (٣٥)

من اللائحة الداخلية، يعهد إليها أن تقوم بالعمل على التوالي، فتكون هناك لجنة وقتية لمصطلحات علوم الأحياء الحيوانية، ولجنة وقتية لمصطلحات علوم الأحياء النباتية، ولجنة وقتية لمصطلحات العلوم الجيولوجية، ولجنة وقتية لمصطلحات العلوم الزراعية. وفي هذه الحال ينضم إلى أعضاء اللجنة نحو ثلاثة من خبراء هذه العلوم. وقد ألفت لذلك لجنة موقته لمصطلحات علوم الأحياء الحيوانية.

– الموافقة على إعداد معجمٍ لألفاظ الحضارة يصدره مجمع اللغة العربية بدمشق بإشراف لجنة مؤلفة من كلٍّ من الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا، والأستاذ جورج صدقني، والأستاذ شحادة الخوري، والأستاذ الدكتور موفق دعبول وانتخب الأستاذ الخوري منسقًا لهذه اللجنة.

ويشمل هذا المعجم ألفاظ الحضارة التي يتداولها الناس، ويولى فيه الحديث منها عناية خاصة دون التطرق إلى المصطلحات التي يحتاج إليها المتخصصون في مختلف العلوم.

ويقسم المعجم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: العلوم والآداب والفنون.

القسم الثاني: البيئة والاقتصاد والتربية.

القسم الثالث: الحياة اليومية.

ويصدر في ثلاثة مجلدات بعنوان: (معجم ألفاظ الحضارة) القسم الأول ثم الثاني والثالث على أن يبدأ العمل بالثالث فالثاني فالأول.

– الاطلاع على ما أنجزته لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية من مشروع توحيد مصطلحات الفيزياء بين الجامعات السورية، وإبداء الرأي في طريقة العمل المتبعة للاستفادة منها في مشروع آخر من مشاريع توحيد المصطلحات الجامعية التي يزمع المجمع إعدادها.

– اقتراح خطة عمل اللجنة وإدراجها في مشروع الخطة العلمية للمجمع للعام٢٠٠٤م.

٤– لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية

عقدت اللجنة في هذه الدورة المجمعية أربعًا وعشرين جلسة كان مما تم فيها:

– دراسة المصطلحات المبدوءة بأحرف (C,D,E,F,G,H,I) وكانت قد أنجزت في الدورة المجمعية السابقة دراسة المصطلحات المبدوءة بحرفي A وB من مشروع توحيد مصطلحات الفيزياء بين الجامعات السورية.

– التعاقد مع الخبراء: الدكتور أحمد الحصري، والدكتور محمد قعقع، والأستاذ أنطون مارين للانضمام إلىاللجنة وتكليفهم إعداد دراسة المصطلحات وعرض ما يتوصلون إليه على اللجنة.

– وأقرت خطة عملها في توحيد مصطلحات الفيزياء للعام المقبل بمتابعة ما بدأت به في العام ٢٠٠٣م

٥– لجنة مصطلحات العلوم الطبيعية والزراعية

شرعت اللجنة تنفذ مهمتها فاقترحت تأليف لجنة وقتية لتوحيد مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية ووافق المجلس على تأليفها، ثم تلاها اقتراح بتأليف ثلاث لجان وقتية لتوحيد مصطلحات كل من علوم الأحياء النباتية والعلوم الزراعية والعلوم الجيولوجية.

أ – لجنة وقتية لمصطلحات علوم الأحياء الحيوانية

ألفت هذه اللجنة في شهر تشرين الثاني من هذا العام، وعقدت ثلاث جلسات في الشهرين الأخيرين منه وبدأت بوضع خطة عملها، بجمع المصطلحات من كتب علوم الأحياء الحيوانية في الجامعات السورية وإدخالها إلى الحاسوب وفق برنامج خاص بها يتيح الحصول على المصطلح المطلوب بيسر، ولا يزال العمل جاريا.

٦– لجنة النشاط الثقافي

عقدت اللجنة في عام ٢٠٠٣م تسعًا وعشرين جلسة. وكان موضوع المؤتمر الثاني للمجمع أهم ما بحثته فيها، فقررت أن يكون الموضوع «اللغة العربية في مواجهة المخاطر» وتاريخ انعقاده من ٢٠–٢٣ تشرين الأول لعام ٢٠٠٣م في قاعة المحاضرات بمجمع اللغة العربية بدمشق، وحُددت محاور المؤتمر بما يلي:

١– المخاطر من الداخل والخارج ووسائل مجابهتها.

٢– دور مجامع اللغة العربية في حماية العربية

٣– اللغة العربية وآفاق المستقبل.

وتقرر أن يرافق المؤتمر حفل تذكاري بمناسبة انقضاء خمسين سنة على وفاة مؤسس المجمع الأستاذ الرئيس محمد كرد علي.

وأقرت اللجنة تأليف لجنة وقتية من أعضاء المجمع مهمتها تقويم بحوث المشاركين ليصار إلى طباعتها في أقرب حين، وحددت موعد المؤتمر الثالث للمجمع في المدة من ٩– ١٢ تشرين الأول للعام ٢٠٠٤م، واقترحت أن يكون موضوعه (قضايا المصطلح العلمي) وأحالت الاقتراح على مجلس المجمع لدراسته، وإبداء الرأي فيه.

– أما بشأن الموسم الثقافي للمجمع في عام ٢٠٠٣، فقد ألقيت محاضرة للأستاذ الدكتور نقولا زيادة بعنوان «المساقات الفكرية في الحضارة العربية الإسلامية» مساء الأربعاء ٢٠٠٣/٦/١١م في قاعة المحاضرات بمجمع اللغة العربية بدمشق.

وارتأت اللجنة تحديد مواعيد المحاضرات الثقافية للعام ٢٠٠٤م وتوجيه كتاب إلى أعضاء المجمع للمشاركة في إلقاء محاضرات ثقافية تحدد مواعيدها وعناوينها في وقت مبكر. واتفق على دعوة الباحثين من سورية وخارجها للمشاركة في محاضرات الموسم الثقافي والاتصال بهم بكل الوسائل الممكنة، واستقطاب الحضور بالدعاية الإعلامية بجميع أنواعها.

٧– لجنة اللغة العربية وأصول النحو

عقدت لجنة اللغة العربية وأصول النحو ستًا وعشرين جلسة أثناء العام ٢٠٠٣م، تمّ فيها ما يلي:

أ – وضع قواعد الإملاء بالاستعانة بملاحظات بعض أعضاء المجمع، وملاحظات الأستاذ عاصم البيطار والدكتور مازن المبارك، والتقرير المقدَّم من لجنة وزارة التربية، وإحالتها لتعرض على مجلس المجمع للموافقة على طبعها، ثم إرسالها إلى وزارة الإعلام ووزارة التربية ووزارة التعليم العالي وسائر الجهات المعنية.

ب – تصحيح طائفة من الأخطاء اللغوية الشائعة.

ج – دراسة طائفةٍ من بحوث المؤتمر الأول للمجمع «تيسير تعليم النحو» لإفادة الدارسين والباحثين من القواعد المستخلصة منها، وبحث وسائل تنفيذ المقترحات الواردة في بحوث المشاركين في المؤتمر .

د – متابعة عَرض مشروع قانون حماية اللغة العربية على رئاسة مجلس الوزراء.

٨– لجنة المعجمات

عقدت لجنة المعجمات في هذا العام تسع عشرة جلسة، كان من أهم ما تم فيها:

– وضع خطة لإعداد معجم لغوي وافٍ، على أن يبدأ العمل فيه عند توفر أسباب إعداده.

٩– لجنة المكتبة

بلغ عدد جلسات لجنة المكتبة في هذه الدورة تسع جلسات ، بحثت فيها واقع مكتبتي المجمع والظاهرية. فكان مما أنجزته الأعمال الآتية:

التصنيف الموضوعي للمكتبة العربية في المجمع: بعد قيام المجمع بإدخال فهرسة الكتب في الحاسوب، وتأليف لجان من العاملين للقيام بالتصنيف الموضوعي للكتب حسب تصنيف ديوي العشري، وقد شارفت هذه اللجان على إتمامه لتبدأ

عملية إدخال البيانات الجديدة في الحاسوب. وبذلك تتكامل عملية حوسبة المكتبة باستخدام البرنامج الإلكتروني للمكتبة الذي أعده المهندس مازن غراوي، والذي يقدم خدمات تسهل عملية البحث عن الكتاب.

البدء بطبع سجلات الكتب الخاصة بدار الكتب الظاهرية التي أدخلت في الحاسوب تمهيدًا لإجراء عملية الجرد العام لكتب الظاهرية في عام ٢٠٠٤م. بعد انتهاء الامتحانات الجامعية.

متابعة السعي لاسترداد الكتب المفقودة بسبب الإعارة.

شراء كتب من معرض الكتاب في العلوم المختلفة، وشراء الأجزاء الجديدة من الموسوعة الإسلامية ، وبعض مطبوعات مجمع القاهرة ، ومجموعة من المعجمات العلمية باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

٤– دار الكتب الظاهرية

أهم ما يذكر في هذا الموضوع: الكتب والمطبوعات والدوريات التي دخلت الدار، رواد الدار، ترميم الأبنية.

آ– الكتب والمطبوعات: بلغ عدد الكتب المشتراة للدار هذا العام (ستة وأربعين ومئة كتاب)، وأهدي إليها (ثلاثة وثمانون كتابًا) جميعها بالعربية.

وبذلك يصبح مجموع الكتب في الدار (واحدًا وتسعين وخمسمئة وستة وسبعين ألف) كتاب.

ب– الدوريات والمجلات: بلغ عدد الدوريات والمجلات العربية المهداة إلى الدار. إحدى عشرة ومئة مجلة ودورية تحمل أربعين عنوانًا، منها سبعون مجلة ودورية مما يطبع في داخل القطر ، وما تبقى جاء هدية من الدول العربية الشقيقة. وبذلك يصبح عدد المجلات والدوريات العربية في الدار (ثلاثة عشر وسبعمئة وتسعة وثلاثين ألف) عدد.

ج- رواد المكتبة: بلغ عدد القراء المشتركين في الدار (ثلاثين وأربعمئة وأربعة آلاف) مشترك. ويقع عدد الرواد المطالعين ما بين أربعة عشر مطالعًا يوميًا في الصيف ومئة مطالع في الشتاء. والعدد الوسطي للكتب المعارة في اليوم هو أربعون ومئة كتاب في شتى أنواع العلوم والمعارف. ويزور الدار عدد غير قليل من المواطنين والسائحين للاطلاع على معالمها التاريخية وآثارها العمرانية.

د- التجهيزات والإصلاحات: زودت الدار بعدد كبير من الكراسي ومناضد المطالعة، وجُلِّد نحو ثلاثمئة كتاب من كتبها. ولا يزال العمل جاريًا في ترميم المدرسة العادلية التابعة للدار.

٥- مؤتمر المجمع ومشاركاته العلمية

أ- مؤتمر المجمع

برعاية كريمة من سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية عقد مجمع اللغة العربية بدمشق مؤتمره الثاني بعنوان «اللغة العربية في مواجهة المخاطر» وذلك في المدة من ٢٠-٢٣ تشرين الأول للعام ٢٠٠٣م في قاعة المحاضرات بالمجمع، وقد شارك في هذا المؤتمر باحثون مختصون من الجمهورية العربية السورية ومن مختلف الأقطار العربية الشقيقة،وألقيت بحوث المؤتمر في إطار المحاور الثلاثة التي اقترحتها لجنة النشاط الثقافي.

وقد أقيم حفل افتتاح المؤتمر في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٢٠٠٣/١٠/٢٠م في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، وحضره السيد الدكتور محمد زهير مشارقة، نائب رئيس الجمهورية ممثلاً لراعي الحفل السيد رئيس الجمهورية العربية السورية، كما حضره السادة أعضاء القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية والسادة أعضاء القيادتين القومية والقطرية، والسادة الوزراء، والسفراء العرب، ورئيس مجمع اللغة العربية، وأعضاء المجمع، ونخبة مصطفاة من الباحثين المختصين في

موضوع المؤتمر من الأقطار العربية، وجمهور غفير من المدعوين والمعنيين باللغة العربية.

وألقيت في هذا الحفل الكلمات الآتية :

١– كلمة الدكتور محمد زهير مشارقة، ممثل السيد بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية

٢– كلمة الأستاذ الدكتور هاني مرتضى، وزير التعليم العالي.

٣– كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس مجمع اللغة العربية.

٤– كلمة أمين المجمع الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد (حول ما أنجزه المجمع بعد مؤتمره الأول).

٥– كلمة ممثل الباحثين الضيوف

وعقدت جلسات المؤتمر الست طوال ثلاثة أيام بدءًا من يوم الثلاثاء ٢٠٠٣/١٠/٢١ وحتى صباح الخميس ٢٠٠٣/١٠/٢٣م، تناول فيها الباحثون محاور موضوع المؤتمر.

وعقدت لجنة الصياغة المؤلفة من السادة مقرري جلسات المؤتمر عدة جلسات درست فيها مجمل البحوث وما اشتملت عليه من أفكار، واستعرضت الاقتراحات التي وردت في المناقشات التي جرت عقب إلقاء البحوث. وخلصت إلى صياغة مجموعة من التوصيات ستنشر في المجلة مع وقائع المؤتمر وبحوثه.

ب – مشاركات المجمع

– شارك الأستاذ شحادة الخوري، عضو المجمع، في اللقاء الذي دعت إليه مؤسسة الحريري، إحياء لليوم العالمي للغة الأم، تحت شعار «لغتنا أمنا، لغتنا هويتنا» وذلك في مجمع بهاء الدين الحريري في صيدا، بلبنان، وقد عقد هذا اللقاء بتاريخ ٢٠٠٣/٢/٢١م.

وقد قدم الأستاذ شحادة الخوري إلى مجلس المجمع ملخصًا عن أهم

الأعمال التي بحثها اللقاء، والكلمات التي ألقيت فيه مؤكدة حماية اللغة العربية من الهجمات الشرسة عليها وبخاصة في القطر اللبناني الشقيق، ومنافسة اللغات الأجنبية، واللهجات العامية لها على كل صعيد.

– شارك الأستاذ عبد الله واثق شهيد، أمين المجمع، والأستاذ شحادة الخوري، عضو المجمع في ندوة «التعريب في التعليم العالي» التي أقيمت في المدة من ١١/٣٠ إلى ٢٠٠٣/١٢/٢م في وزارة التعليم العالي، برعاية المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، في الوزارة ، والجمعية المغربية لقدماء طلبة سورية.

٦– أمور إدارية وتنظيمية

ألف المجمع في عام ٢٠٠٢ لجنة وقتية قامت بوضع قواعد محددة لتعويضات الإنتاج الفكري في المجمع، ورفعت هذه القواعد – بعد موافقة مجلس المجمع عليها – إلى رئاسة مجلس الوزراء، وصدر بها قرار الرئاسة ذو الرقم /١٠٩٩ تاريخ ٢٠٠٣/٢/٣م.

ثم ألف مكتب المجمع لجنة وقتية وضعت قواعد تنظيمية لتنفيذ القرار ذي الرقم /١٠٩٩/ وقدمت هذه القواعد إلى مجلس المجمع في جلسته السابعة والعشرين المنعقدة بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٣ فأقرها ، وصدر بها قرار المجمع ذو الرقم /٢١/ تاريخ ٢٠٠٣/١١/٣.

كما وضعت اللجنة مشروعًا لتعديل بعض فقرات القرار ذي الرقم /١٠٩٩/ ورفع إلى الرئاسة لاستكمال أسباب صدوره.

وتقوم اللجنة بتعديل بعض مواد اللائحة الداخلية للمجمع ذات الرقم /٢ت.ع /تاريخ ٢٠٠٢/١/١٥ بما يناسب التطور الذي يشهده المجمع في جميع مجالاته.

٧– مكتبة المجمع

تم إغناء مكتبة المجمع في هذا العام بستة وثلاثين وثلاثمئة وألف كتاب باللغة العربية، منها تسعة وثلاثون وتسعمئة كتاب إهداء، وسبعة وتسعون وثلاثمئة كتاب شراء. فأصبح عدد الكتب العربية في المكتبة: اثنين وسبعين وتسعمئة وستة وعشرين ألف كتاب. كما زودت المكتبة الأجنبية بواحد وسبعين وأربعمئة كتاب شراء وإهداء. ودخل قسم المجلات والدوريات العربية ثمانٍ وعشرون ومئة مجلة ودورية.

٨ – حفلات الاستقبال والتأبين

أ – حفلات الاستقبال

أقام المجمع مساء الأربعاء ٢٠٠٣/٣/١٩م حفل استقبال الأستاذ الدكتور موفق دعبول عضوًا في المجمع، وذلك في جلسه علنية في قاعة المحاضرات بمبنى المجمع.

حضر الحفل نخبة من جال العلم والأدب، وجمع غفير من زملاء المحتفى به وأصدقائه وطلابه.

وكان مجلس المجمع قد انتخب الأستاذ الدكتور موفق دعبول عضوًا في المجمع في جلسة عقدها بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٢٠، وصدر بتسميته المرسوم الجمهوري ذو الرقم /٣١٧/ تاريخ ٢٠٠٢/٩/١٦.

وقد ألقى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع، كلمة في استقبال العضو الجديد. وألقى الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد،أمين المجمع كلمة قدم فيها الدكتور موفق دعبول. ثم ألقى الأستاذ الدكتور موفق دعبول كلمة تحدث فيها عن سلفه عضو المجمع الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد، مشيدًا بعلمه وفضله.

وفي ختام الحفل قام السيد رئيس المجمع بتقليد عضو المجمع الجديد الشارة المجمعية.

ب – حفلات التأبين

أقام المجمع مساء الأربعاء ٢٠٠٣/٢/٥ بالتعاون مع جامعة دمشق، ووزارة

الثقافة، واتحاد الكتاب العرب حفلاً تأبينيًا لفقيده الأستاذ الدكتور عادل العوا، الذي وافته المنية بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/٢٧.

أقيم الحفل في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد الوطنية، وحضره كوكبة من رجال العلم والأدب والفلسفة، وجمع غفير من أهل الفقيد وأصدقائه وطلابه. فألقت الأستاذة الدكتورة نجوة قصاب حسن، وزيرة الثقافة كلمة الوزارة في تأبين الفقيد. ثم ألقى الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع، كلمة المجمع، ثم ألقى الأستاذ الدكتور سمير حسن، عميد كلية الآداب كلمة الكلية في هذه المناسبة. وألقى الأستاذ الدكتور علي عقلة عرسان، رئيس اتحاد الكتاب العرب، كلمة في تأبين الفقيد. وألقى الدكتور عزت السيد أحمد، من طلاب الفقيد، كلمة وأنشد أبياتًا أشاد فيها بفضل الفقيد وعلمه.

وختم الحفل بكلمة نجل الفقيد الدكتور نبوغ العوا، الذي شكر للقائمين على الحفل والمشاركين فيه حسن عزائهم، وصدق وفائهم لوالده فقيد العلم والفلسفة.

٩ – موازنة المجمع

أ- مجموع الاعتمادات المخصصة (الجارية والاستثمارية) لعام ٢٠٠٣م ٢٦.٧٧٥.٠٠٠ ليرة سورية.

ب- مجموع ما أنفق من هذه الاعتمادات في عام ٢٠٠٣م ١٩.٥٨٣.٠٤١ ليرة سورية

ج- وكانت النسبة المئوية للإنفاق في عام ٢٠٠٣م : ٧٣ %

وأسباب تدني نسبة الإنفاق بالقياس إلى نسبة إنفاق العام الماضي كثيرة منها:

- عدم الموافقة على تخصيص القطع الأجنبي لشراء سيارتين كان قد رصد لهما مبلغ ثلاثة ملايين ليرة سورية.
- التقيد بتعليمات رئاسة الوزراء القاضية بتخفيض الإنفاق على عدة بنود

بنسبة ٢٥ %.

- عدم إيفاد أحد من أعضاء المجمع أو العاملين فيه طوال العام.
- وانخفاض عدد المشاركين في مؤتمر المجمع أدى إلى انخفاض نفقات الضيافة فيه، وكذلك انخفاض عدد الكتب المشتراة في هذا العام، وتخفيض المكافأة التي تمنحها الإدارة للعاملين عقب المؤتمر الذي عقده المجمع هذا العام، وعدم استكمال ملء شواغر الملاك الجديد.

قرار رقم / ٥٢ /

رئيس مجمع اللغة العربية

بناءً على أحكام قانون مجمع اللغة العربية رقم /٣٨/ تاريخ ٢٠٠١/٦/٦.

وعلى أحكام القرار رقم /٢/ت.ع تاريخ ٢٠٠٢/١/١٥ المتضمن اللائحة الداخلية للمجمع.

وعلى قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم /١٠٩٩/ تاريخ ٢٠٠٣/٢/٣ المتضمن تحديد تعويضات الإنتاج الفكري و جلسات اللجان في مجمع اللغة العربية.

وعلى قرار مجلس المجمع في جلسته التاسعة المنعقدة بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٦ المتضمن إعادة تأليف لجان المجمع.

يقرر مايلي :

مادة ١- تؤلف لجنة المجلة والمطبوعات من الأعضاء السادة:

- الأستاذ الدكتور شاكر الفحام.
- الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص.
- الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد.
- الأستاذ الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة.
- الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا.
- الأستاذ جورج صدقني.
- الأستاذة الدكتورة ليلى الصباغ.
- الأستاذ الدكتور محمود السيد.
- الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري.
- الأستاذ عاصم البيطار.

ومن ترى اللجنة أن ينضم إليها من الخبراء من خارج المجمع.

مدة اللجنة سنتان قابلة للتجديد بدءًا من تاريخ صدور هذا القرار.

مادة ٢– مهمة اللجنة كما هو محدد في اللائحة الداخلية للمجمع الصادرة بالقرار رقم /٢/ت. ع تاريخ ٢٠٠٢/١/١٥م.

مادة ٣– يجتمع أعضاء اللجنة وينتخبون رئيسًا من بينهم ومقررًا في الجلسة الأولى، وتحدد اللجنة مواعيد اجتماعاتها وتضع خطة عمل لها.

مادة ٤– يتقاضى كل من الأساتذة أعضاء اللجنة التعويض المنصوص عنه في الفقرة /ب/ من المادة الأولى من القرار /١٠٩٩/ المتضمن تحديد تعويضات الإنتاج الفكري.

مادة ٥– تصرف النفقة الناجمة عن هذا القرار من الاعتمادات المخصصة لهذه الغاية في موازنة مجمع اللغة العربية.

مادة ٦– يبلغ هذا القرار من يلزم لتنفيذه.

١٢/٥/ ١٤٢٥هـ — **رئيس مجمع اللغة العربية**

٢٩/ ٦/ ٢٠٠٤م — **الدكتور شاكر الفحام**

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ٢٠٠٤م

أ – الكتب العربية

خير الله الشريف

– **آكل اليقطين**/ بنيلوب مورتايمر، ترجمة: محمد أبو خضور – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: روايات عالمية ٩٣).

– **أبجدية القلب**/ إبراهيم عباس ياسين – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١١).

– **ابن فارس اللغوي: منهجه وأثره في الدراسات اللغوية**/ د. أمين محمد فاخر – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩١– (سلسلة: نشر الرسائل الجامعية ٥).

– **الاتجاهات الأساسية للثورة العلمية التقنية**/ د. معن النقري – ط١– دمشق: دار التوحيدي، ٢٠٠٣.

– **الاتجاهات والتحديات السكانية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا**/ المكتب المرجعي للسكان – القاهرة: مؤسسة الأهرام، ٢٠٠٢.

– **أسئلة التعريب ورهاناته في التعليم العالي بالمغرب وسوريا**/ مجموعة من الباحثين – فاس: جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ٢٠٠٠.

– **الإشراقات**/ رامبو، تقديم وشرح: سوزان برنار، ترجمة: قيس خضور – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.

– **أعلام الفلك في التاريخ العربي**/ د. علي حسن موسى – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.

– **الأفق والصدى: قراءات في الشعر السوري المعاصر**/ مفيد نجم – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.

– **الإقليد: شرح المفصل**/ الجندي، تحقيق: د. محمود الدراويش – ط١ – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٢ – ٤ مج.

– **إلياذة هوميروس: الملحمة الأنموذج**.../ د. أحمد عثمان – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٣ – (سلسلة: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، رسالة ٢٠٩).

– **أنا وغريفن والسينما**/ ليليان غيش، ترجمة: عدنان مدانات – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.

– **الأوامر السلطانية لولاية دمشق**.../ إعداد وتحقيق: دعد الحكيم – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة الدراسات التاريخية).

– **إيجاد التوازن: السكان وندرة المياه** .../ فرزانة رودي فهيمي وآخرون – القاهرة: المكتب المرجعي للسكان، ٢٠٠٢.

– **باب خشبي قديم**/ نيروز مالك – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٢٢).

– **برنامج تنظيم الأسرة في إيران**.../ فرزانة رودي فهيمي وآخرون – القاهرة: المكتب المرجعي للسكان، ٢٠٠٢.

– **بلطة على الثلج**/ عارف حديفة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة قصص عربية ٢٤).

– **بيسان**/ محمود حامد – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر

العربي ١٢٢).

– **تأملات في اللغة والثقافة**/ د. معن النقري – ط١– دمشق: دار الشام القديمة، ٢٠٠٠.

– **تداخل الثقافات والكتابة الأدبية**.../ مجموعة من الباحثين – ط١– قرطاج: بيت الحكمة، ٢٠٠٣.

– **تدريب المشاعر: التوازن الانفعالي**.../ بيتر بوبر، ترجمة: د. إلياس حاجوج – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: دراسات فلسفية ونفسية ٤٥).

– **تطوير تعليم الكبار في الوطن العربي**/ مجموعة من الباحثين – تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢.

– **تعاطي المواد المؤثرة في الأعصاب**.../ د. فريح عويد العنزي، د. الحسين محمد عبد المنعم – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٣ – (سلسلة: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، رسالة ٢٠٧).

– **التقرير الختامي للسنة المجمعية ١٩٩٤–١٩٩٥**/ د. صالح أحمد العلي – بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٥.

– **تكريم وليد الخالدي: آفاق السلام في الشرق الأوسط**/ إدارة برامج الثقافة والاتصال – تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٣.

– **التكنولوجيا والاتصالات والإنترنيت**.../ د. معن النقري – دمشق: مطبعة اليازجي، ٢٠٠٣.

– **الثقافة والإبداع والملكية الفكرية**/ د. معن النقري – دمشق: مطبعة اليازجي، ٢٠٠٣.

– **الثورة الفرنسية في السينما**/ روجيه إيكار، ترجمة: محمد علي اليوسفي –

دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: الفن السابع ٥٧).

– **جنة صغيرة**/ بيان الصفدي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١٥).

– **الحب أولاً**/ ماري رشو – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٢٩).

– **حداثة العرب وعرب الحداثة**.../ د. محمد علي جمعة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢، (سلسلة: الدراسات الفكرية ٧٦).

– **حفل تكريم المعجمي الأستاذ أحمد شفيق الخطيب**/ مجموعة من الأساتذة – بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٣.

– **حفل تكريم وتقدير للشاعر المرحوم أحمد المجاطي**/ مجموعة من الأساتذة – الرباط: الجمعية المغربية لقدماء طلبة سورية، ٢٠٠٣.

– **حكايات لأطفال غير هادئين**/ جاك بريفر، ترجمة: وفاء شوكت – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: قصص عالمية ١٩).

– **حواف خشنة**/ عمر قدور – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: روايات عربية ٩٩).

– **خذي دحرجات الغيوم**/ طلعت سقيرق – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١٨).

– **دخان التلاشي**/د. صاحب خليل إبراهيم – دمشق:وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسة: من الشعر العربي ١٢١).

– **دمعة فقط**/ عبد الناصر حداد – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١٣).

– **رسائل عبد الرحمن الشهبندر**/ إعداد وتحقيق: دعد الحكيم – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: الدراسات التاريخية).

– **السرديات: مقدمة نظرية**/ د. مرسل فالح العجمي – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٣ – (سلسلة: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٤، رسالة ٢٠٦).

– **سقوط هرقلة** / عمر الحمود – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٢٦).

– **سيرة الآس: شعر**/ سميرة عزام – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١٢).

– **سيناريو فيلم المرآة**/ الكسندر تشارين وآخرون، ترجمة: يونس كامل ديب – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: الفن السابع ٦٣).

– **السيناريو الكامل لفيلم: المدرعة بوتمكين**/ إخراج: سيرغي م. إيزنشتين، ترجمة: صالح علماني – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: الفن السابع ٥٥).

– **سينما الإنسان: قراءة...**/ إبراهيم العريس – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: الفن السابع ٥٩).

– **شارلز بن ديكنز**/ أحمد عمر – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣– (سلسلة: قصص عربية ٣١).

– **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب**/ تحقيق: د. حسن الحفظي، د. يحيى مصري – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٣-١٩٩٦– ٤مج – (سلسلة: نشر الرسائل الجامعية ١٥).

– **شرح اللمع**/ الأصفهاني الباقولي، حققه: د. إبراهيم أبو عباة – ط ١ – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٠ – ٢ج – (سلسلة: رسائل جامعية ١).

– **شهب نفس مشبوبة** / د. عبد الكريم الحصني – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٦).

– **الصحافة السورية ماضيها وحاضرها: الصحافة في اللاذقية**/ هاشم عثمان – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – ج ٢ – (سلسلة: دراسات فكرية ٦٧).

– **الصهيونية وفلسطين** / د. لطف الله حيدر – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: الدراسات التاريخية).

– **صور**/ إنغمار برغمان، ترجمة: زياد خاشوق – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: الفن السابع٦٠).

– **طريق بلا أقدام**/ د. حمزة رستناوي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٤).

– **الطفل ياحبيبي**/ سيسيليا ميريليز، ترجمة: مها عرنوق – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: قصص عربية ١٨).

– **الطوفان**/ علي شعبان سليمان – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: قصص عربية ٢٣).

– **العرب وتجربة المأساة**/ صدقي إسماعيل – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣– (سلسلة: آفاق ثقافية١).

– **العرب وعولميات العصر الراهن**/ د. معن النقري – دمشق: مطبعة اليازجي، ٢٠٠٣.

– **على البخار**/ بشار البطرس – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٣٠).

– **علا وحارس الماء**/ حسين ورور – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة:

من الشعر العربي ١٠٦).

– **العولمة (الكوكبة) منهجياً ونظرياً وتطبيقياً**/ د. معن النقري – دمشق: مطبعة اليازجي، ٢٠٠٣ .

– **عيناك** / طلعت سفر – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١٤).

– **غرفة بملايين الجدران: شعر**/ محمد الماغوط – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: مختارات ٣).

– **الغريق السومري**/ موفق مسعود – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: قصص عربية ٢٥).

– **فتيات صغيرات من العصور القديمة**/ ج. جاكان، ترجمة: ميساء الحفار – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: قصص عالمية ٢٠).

– **فصول النوى**/ عبد الرحمن عمار – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: من الشعر العربي ١٠٨).

– **فلسفة وسوسيولوجيا التقانة الجديدة**/ د. معن النقري – دمشق: مطبعة اليازجي، ٢٠٠٣.

– **الفوضى والحتمية** / داهان دالمديكو وزميلاه، ترجمة: هاني حداد – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: دراسات فلسفية ٥٠).

– **في ظلال العدد: إيقاعات الوجود (١)**/ كمال القنطار– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: دراسات فلسفية ٤٨).

– **في محددات العقل العمراني الخلدوني**/ د. محمود بن الحبيب الذوادي – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٣ – (سلسلة: حوليات الآداب والعلوم

الاجتماعية ٢٤، رسالة ٢٠٨).

– **قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم**/ موسى ديب الخوري – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: الدراسات التاريخية).

– **قضايا النقد الأدبي في مقدمة شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي**/ د. عبد العزيز الشعلان – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٢.

– **قطر الندى**/ عبد الكريم شعبان – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٥).

– **كارمن و ١٣ قصة أخرى**/ بروسبير ميريميه، تقديم: بيير جوسران، ترجمة: زياد العودة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – ج٢ – (سلسلة: روايات عالمية ٩٢).

– **كتاب الحصى والماس**/ محمد القيسي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٣).

– **كفر تخاريم: ماضيها وحاضرها**../ صلاح الدين كيالي، تقديم: عبد المجيد همو – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: الدراسات التاريخية).

– **ك كاف الكمون**/ مناة الخير – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢– (سلسلة: من الشعر العربي ١١٦).

– **كولومبا وقصص أخرى**/ بروسبير ميريميه، تقديم: بيير جوسران، ترجمة: زياد العودة– دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢–ج١– (سلسلة: روايات عالمية ٩١).

– **لقطة مقربة: السينما الإيرانية ماضياً حاضراً مستقبلاً**/ حميد دباشي، ترجمة: عارف حديفة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣– (سلسلة: الفن السابع ٥٦).

– **اللون الأسود يحرق** / آرنست. ج. غينز، ترجمة: محمد أبو خضور – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: روايات عالمية ٨٨).

– **مباهج اللغة والأدب**/ د.عبد الكريم اليافي –دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.

– **المبهمات ودلالاتها الأسلوبية في شعر المتنبي**/ حميدة مناع العنزي – ط١ – الكويت: رابطة الأدباء، ٢٠٠٣– (سلسلة: مدارات أدبية ٢٢).

– **محاور في المسرح العربي**/ هيثم يحيى الخواجه، تقديم: د. رياض عصمت – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.

– **مختصر لآلئ العرب**/ سالم خليل رزوق، حققه: خير الدين محمود قبلاوي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ –ج ٤– (سلسلة: إحياء التراث العربي ١١٠).

– **مخرجون واتجاهات في السينما الأوربية**/ سمير فريد – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: الفن السابع ٦٢).

– **مدارس من أجل التفكير: علم تعلم في الصف**/ جون ت. بروبير، ترجمة: د. كهيلا بوز، مراجعة: د. علي سعود حسن، دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: الدراسات الفكرية ٧٧).

– **مدينة بلا سماء**/ مروة حلاوة – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٧).

– **المرآة السحرية**/ غريد بليتون، ترجمة: إيمان يحيى – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: قصص عالمية ١٧).

– **مساهمة الأستاذ أحمد عبد السلام في إثراء الثقافة التونسية**/ محمد اليعلاوي – قرطاج: بيت الحكمة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: منبر بيت الحكمة).

– **مستقبل تعليم الكبار في الوطن العربي**/ مجموعة من الباحثين – تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠٠٢.

– **مسرح الإنترمس**/ ترجمة: علي إبراهيم أشقر – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢

– (سلسلة: المسرحيات العالمية ٦٤).

– **مشاغبات صغيرة**/ موفق نادر – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٨).

– **المعرفة والحكمة: فعاليات الدورة السادسة لملتقيات قرطاج الدولية**/ مجموعة من الباحثين – قرطاج: بيت الحكمة، ٢٠٠٣.

– **مقام العقل عند العرب**/ قدري حافظ طوقان – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: آفاق ثقافية ٣).

– **مكاشفات عابر سبيل**/ فؤاد كحل – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١١٩).

– **الملك والملكة**/ رامون. خ. سندر، ترجمة: علي أشقر – دمشق:وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: روايات عالمية ٨٩).

– **من الإبستمولوجيا إلى المجتمع** / فؤاد محمود ناصيف خير بك – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: دراسات فلسفية ٤٩).

– **من أعمال أحمد عبد السلام** / أحمد عبد السلام –ط١– قرطاج: بيت الحكمة، ٢٠٠٣.

– **مناهج دراسة الأدب العربي وتدريسه في الجامعات العربية** / د. خيرية السقاف – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٢ – ٢ج – (سلسلة: نشر الرسائل الجامعية ١١).

– **من التقليد إلى التجديد: في الأدب المسرحي السوري**/ فرحان بلبل – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢.

– **من المجهولة إلى مايا**/ ع. آل شلبي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ –

(سلسلة: آفاق ثقافية ٢).

– **الموت الأصغر**/ ماجد رشيد العويد – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٢٨).

– **الموجز التعليمي العالمي ٢٠٠٣**/ معهد اليونسكو للإحصاء – مونتريال: المعهد، ٢٠٠٣.

– **موسوعة العامية السورية** ../ ياسين عبد الرحيم – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – ٤ ج.

– **نحت فراتي لتمثال الغريب**/ طالب هماش – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: من الشعر العربي ١٢٠).

– **ندوة دور المثقفين الشاميين في النهضة الفكرية للمغرب الحديث**/ مجموعة من الأساتذة – الرباط: الجمعية المغربية لقدماء طلبة سورية، ٢٠٠٣.

– **نهاية التاريخ**/ هنري لوفيفر، ترجمة: د. فاطمة الجيوشي – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: الدراسات الفكرية ٧٥).

– **الهجرة من القدر** / سحر سليمان – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٢٧).

– **الهوفمانية: سيناريو لم ينفذ**/ أندريه تاركوفسكي، ترجمة: د. نديم معلا – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣ – (سلسلة: الفن السابع ٦٤).

– **الوافي بمعرفة القوافي**/ العنابي، تحقيق: د. نجاة نولي – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٧ – (سلسلة: الرسائل الجامعية ١٦).

– **الورل: سرير الملكة.. تاج الملوك**/ إبراهيم الخليل – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٢ – (سلسلة: قصص عربية ٢١).

ب– المجلات العربية

ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الأسبوع الأدبي	٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤		سورية
صوت فلسطين	٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣	٢٠٠٤	سورية
الضاد	٩، ١٠، ١١، ١٢	٢٠٠٣	سورية
عالم الذرة	٨٨، ٨٩، ٩٠	٢٠٠٣	سورية
مجلة جامعة تشرين	١٠، ١١ مج ٢٣	٢٠٠١	سورية
مجلة جامعة دمشق للعلوم الزراعية	١ مج ١٩	٢٠٠٣	سورية
مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية	٣+٤ مج ١٨	٢٠٠٢	سورية
مجلة الموقف الأدبي	٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥	٢٠٠٤	سورية
نضال الفلاحين	٣٠	٢٠٠٣	سورية
مجلة فكر وفن	٧٨	٢٠٠٤	ألمانيا
دراسات/ العلوم الإنسانية	٣	٢٠٠٣	الأردن
المجلة المغاربية للتوثيق والمعلومات	١٢	٢٠٠٢	تونس
الأمن والحياة	٢٥٧ مج ٢٣	٢٠٠٣	السعودية
مجلة الحج والعمرة	١	٢٠٠٤	السعودية
مجلة عالم الكتب	٣، ٤ مج ٢٥	٢٠٠٤	السعودية
المجلة العربية	٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤ مج ٢٨	٢٠٠٤	السعودية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مستخلصات بحوث مجلة الدارة	مج ١+٢	٢٠٠٤	السعودية
مجلة مجمع اللغة العربية السوداني	٥	٢٠٠٤	السودان
دراسات فلسطينية	٥٦، ٥٧	٢٠٠٣	لبنان
الشراع	١١١٦	٢٠٠٤	لبنان
شؤون الأوسط	١١١	٢٠٠٣	لبنان
فصلية إيران والعرب	٥	٢٠٠٣	لبنان
التجديد	١٤	٢٠٠٣	ماليزيا
مجلة صوت الأمة	١ مج ٣٦	٢٠٠٤	الهند
الرسالة الجديدة	٣	٢٠٠٣	اليونسكو

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

طهران صارم

BOOKS:

- The Mind and Heart of Love/ by: M.C. D'Arcy.
- Style and Stylistics/ by: Graham Hough.
- The Mirror and The Lamp/ by: M. H. Abrams.
- Alexander pope/ by: Reuben A. Brower.
- Classical Influences on English poetry/ by: J. A. K. Thomson.
- Romanticism in Perspective/ by: Lilian R Fuurst.
- Lowell's Poetical works/ by: William Michael.
- The Poetry of Alexander pope/ by: G. Wilson knight.
- The Living Milton/ by: Frank kermode.
- Romance and Realism/ by: C. Gudwell.
- From virgil to Milton/ by: C. M. Bowra.
- The Lyric Mood/ by: R.K. Mottram.
- Drama and Society in The Age of Jonson/ by: L.C. Knights.
- Modern English literatur/ by: W.W. Robson.
- Ancient Greek Literature/ by: C.M. Bowra.
- Shelley/ by: R.B. Woodings.
- Milton/ by: E. M. W. Tillyard.
- The Identity of yeats/ by: Richard Ellman.
- The Art of T.S. Eliot/ by: Helen Gradner.
- The Poetic Image/ by: C. Day Lewis.
- The Nature of Poetry / by: Donald A. Stuffer.
- Lukács/ by: George Lichtheim.
- Joyce/ by: John Gross.
- Yeats/ by: Denis Donoghue.
- Camus/ by: Conor Cruise.
- The Long Revolution/ by: Raymond Willims.
- The Necessity of Art/ by: Ernst Fischer.
- The Modern Writer and his world/ by: G. S. Fraser.
- Aspects of the Novel/ by: E. M. Forster.

PERIODICALS:

- Acta Orientalia, Vol. 57, No. 2, 2004.
- Ajames, No. 19, 2004.
- Deutsch land, No. 5-6, 2004.
- East Asian Review, Vol. 16, No. 3, 2004.
- MA'ARIF, Vol. 174(3), 2004. (باللغة الفارسية).
- Le Muséon, Tome 117- Fasc. (1-2).
- The Muslim World, Vol. 94, No. 4, 2004.
- Population and Development Review, Vol. 30, No. 3, 2004.
- Resistance No. (8-9-10), 2004.

فهرس الجزء الثالث

من المجلد التاسع والسبعين

(المقالات)

تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي	د. عبد الله واثق شهيد	٤٦٧
العناصر البلاغية والنقدية في شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي	د. إلهام السوسي العبداللوي	٤٩١
إسهامات علماء التعمية في اللسانيات العربية	د. يحيى مير علم	٥٢١
المتنبي ومشكلة السرقات الأدبية	د. أحمد محمد علي	٥٤٧
حول نسبة منظومة نحوية للخليل بن أحمد الفراهيدي	د. عمر عبد الرحمن الساريسي	٥٧٥
تطور مفهوم العدد عند علماء العرب والمسلمين	د. محمد سويسي	٥٩٧
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق ١٩)	د. وفاء تقي الدين	٦٠٧

(التعريف والنقد)

كتاب المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية	د. عزة حسن	٦٣٧

(آراء وأنباء)

تقرير عام شامل حول أعمال المجمع السنوية	٦٤٧
التقرير السنوي عن أعمال المجمع في دورته لعام ٢٠٠٣	٦٦٧
قرار إعادة تأليف لجنة المجلة والمطبوعات رقم /٥٢/	٦٨٣
الكتب والمجلات المهداة في الربع الأول من عام ٢٠٠٤	٦٨٥
الفهرس	٧٠٠